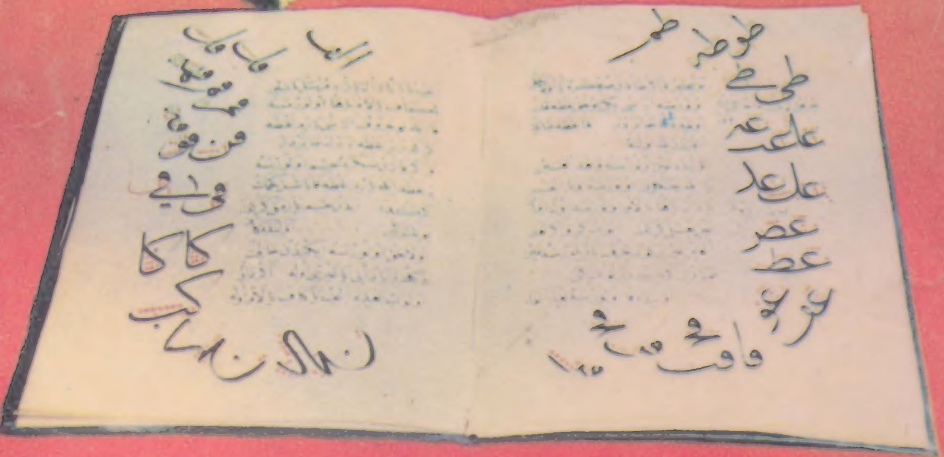
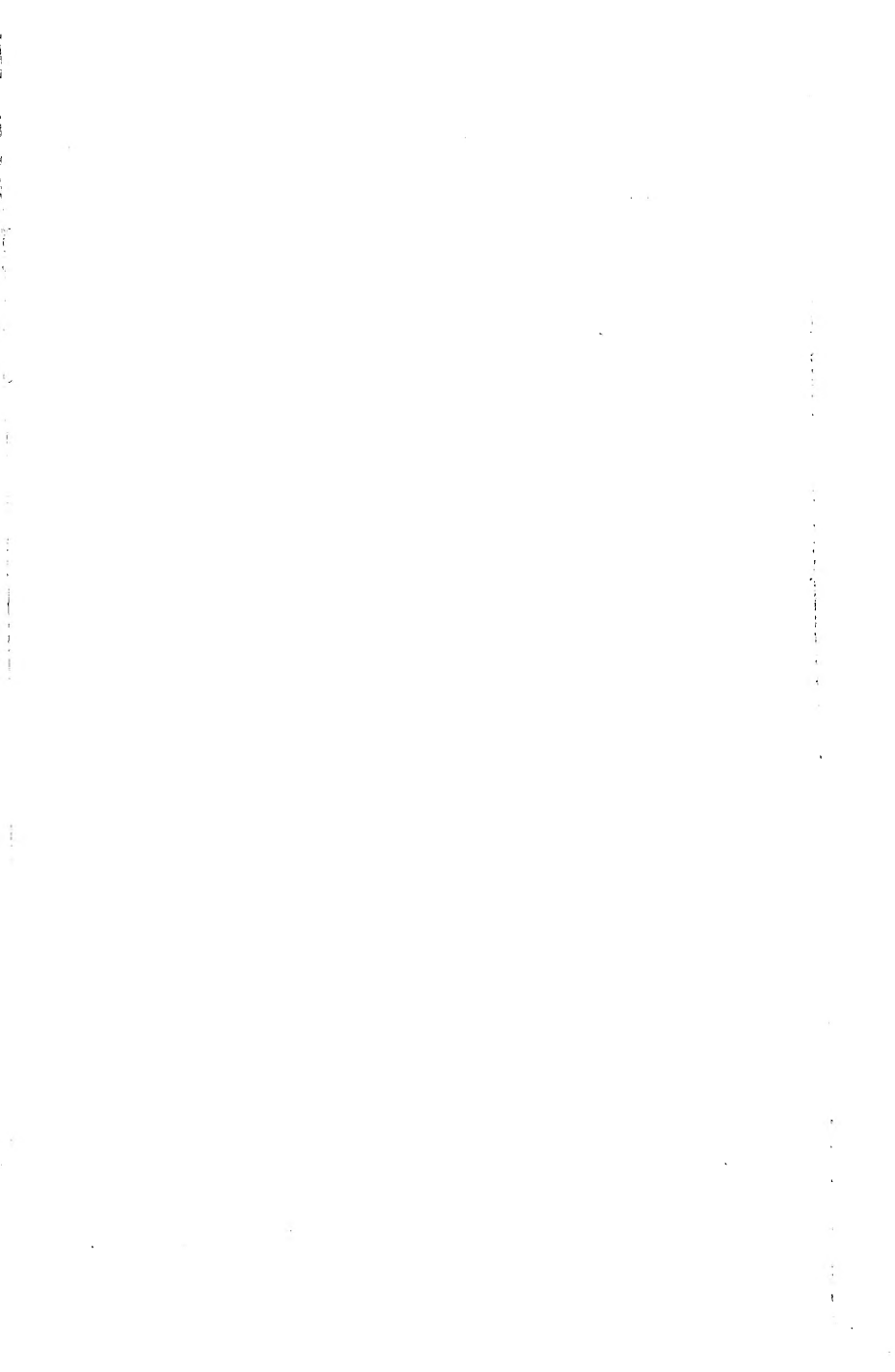


# ١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ٢- تاريخ اللغة العربية



جرجي زيدان





## تكملة

من أسرة دار الحديث

الى السيد : صالح صالح المحرم  
بيروت في ١٩٠٠

١- الفلسفة اللغوية

والألفاظ العربية

٢- تاريخ اللغة العربية

دارُ الحِزَّةِ

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

لبنان - بيروت ص.ب. ٥٦٣٦/١٤



جرجي زيدان

مكتبة  
دار الحديث  
من  
إلى  
السيد

# ١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ٢- تاريخ اللغة العربية

المركز الإسلامي الثقافي  
مكتبة سماحة آية الله العظمى  
السيد محمد حسين فضل الله دامته  
السلامة



حقوق الطبع محفوظة لدار  
الحدّاة

طريق المطار - شارع مدرسة القتال  
بناية حلمي عويدات - تلفون  
٨٣٣٩٨٩ - ص.ب. ١٤/٥٦٣٦

الطبعة الأولى  
١٩٨٧

# الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية

|    |                      |
|----|----------------------|
| ٧  | تقديم الكتاب         |
| ١٥ | مقدمة الطبعة الأولى  |
| ١٨ | مقدمة الطبعة الثانية |
| ٢١ | اللغة                |
| ٤١ | أصل اللغات           |
| ٥١ | ما هي اللغة العربية  |
| ٥٥ | كم هي العلوم اللغوية |
| ٥٨ | تمهيد                |
| ٥٩ | موضوع هذا الكتاب     |
| ٦٣ | القضية الأولى        |
| ٦٣ | القلب                |
| ٦٤ | الإبدال              |
| ٧٢ | القضية الثانية       |
| ٧٦ | النحت                |
| ٩٣ | إشتقاق وتصاريف جديدة |

|     |  |
|-----|--|
| ٩٥  | مزيدات الأفعال وتصاريدها                   |
| ١٠١ | تصارييف الأسماء                            |
| ١٠٦ | القضية الثالثة                             |
| ١١٢ | كيف حصلت هذه التنوعات                      |
| ١٢٢ | القضية الرابعة                             |
| ١٢٢ | الألفاظ المطلقة قابلة للرد                 |
| ١٢٣ | الضمائر في امهات اللغات السامية            |
| ١٣١ | إسم الإشارة وإسم الموصول                   |
| ١٣٧ | القضية الخامسة                             |
| ١٤٠ | النتيجة                                    |
| ١٤٠ | هل اللغة توفيقية أو اصطلاحية               |
| ١٤٣ | الطريقة الطبيعية للتكلم                    |
| ١٤٥ | الدور التقليدي                             |
| ١٤٦ | التفاهم بالإشارات                          |
| ١٥٠ | التفاهم بالأصوات                           |
| ١٥٤ | الدور النطقي                               |
| ١٧٣ | اختراع الكتابة                             |
| ١٧٧ | تاريخ الأقلام التي استعملها الناس حتى الآن |
| ١٨٩ | العد والأرقام                              |

١٨٨

# تقديم الكتاب

## بقلم الدكتور مراد كامل

علم اللغة أو الفلسفة اللغوية - كما اسماه جرجي زيدان - علم حديث نوعاً . لقد ظهر علم اللغة الحديث في مطلع القرن التاسع عشر ، وكان مظهره في صورة نحو تاريخي مقارن . ووضحت في هذا القرن خصائص جوهرية للغات الرئيسية التي كانت تستخدمها الحضارات القديمة في العالم القديم ، وتحدد ما بينها من صلة وقرابة . وبالرغم من ذلك فقد ظل علم اللغة على حاله فترة طويلة . وحوالي سنة ١٨٧٠ تأثر علم اللغة بنظريات « داروين » والعلوم الطبيعية ، وأدخل علماء اللغة - نذكر منهم « شليشر » - على علم اللغة ، مناهج جديدة قائمة على أن طبيعة التغيرات اللغوية هي نفس طبيعة التغيرات المشاهدة في العالم الطبيعي ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن اللغات تتغير بفعل قوانين عمياء . وأخذ العلماء في الكشف عن القوانين التي تخضع لها لغة الانسان في تطورها وارتقائها من حيث أصواتها ، وقواعد تصريفها ، وما إلى ذلك .

وكان لازماً أن يصل العلماء في تتبعهم لأصول اللغات ومراحل ارتقائها إلى تعبير الانسان الأول ، ومنشئها ، والأسس التي قام عليها التخاطب بالأصوات ذات الدلالات الوضعية ، وذهبوا إلى أن الظواهر

اللغوية لا تسير وفقاً لإرادة الأفراد أو المجتمعات أو تبعاً للأهواء والمصادفات . . وإنما تسير وفقاً لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس الخاضعة لها ظواهر الفلك والطبيعة . فقد يكون في استطاعة الفرد أو في استطاعة الجماعة اختراع لفظ أو تركيب ، ولكن بمجرد أن يلقي بهذا اللفظ أو بذاك التركيب إلى التداول اللغوي وتتناقله الألسنة يفلت من إرادة مخترعه ويخضع في سيره وتطوره وحياته لقوانين ثابتة لا يستطيع الفرد ولا الجماعة إلى تعويقها أو تغييرها سبيلاً . وبالتالي ، فليس في قدرة الأفراد أو الجماعات أن يقفوا تطور لغة ما ، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص ، أو يحولوا دون تطورها على الطريقة التي ترسمها قوانين علم اللغة .

ونتج عن المناهج الجديدة التفريق الواضح بين فقه اللغة - أي دراسة الوثائق المكتوبة ولغتها - وبين علم اللغة الذي يبحث في دراسة اللغة من حيث هي لغة ، مكتوبة أو غير مكتوبة .

هذه هي النتيجة التي وصل إليها العلماء في أواخر القرن الماضي ، والتي دفعت بجرجي زيدان حين استوعبها وألم بما كتبه العلماء على اختلاف ألسنتهم بهذا العلم ، أن يقدمها إلى أبناء العربية مطبقاً عليها العربية . . فجاء كتابه في طبعته الأولى سنة ١٨٨٦ ، ثم في طبعته الثانية سنة ١٩٠٤ وفيها تحسينات وإضافات ، وفي الثالثة سنة ١٩٢٣ دون تغيير ، رسالة علمية رائعة . وظلت مدة طويلة المرجع الأول في هذا العلم باللغة العربية .

وقد ذكر في مقدمة الطبعة الثانية ، أن موضوع الكتاب البحث التحليلي في : كيف نشأت اللغة العربية وتكونت ، باعتبار أنها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام .

ثم ختم بحثه بكلمة تدل على أصالة العلم وخلق عالم كريم ، قال : « إن البحث في علم اللغة لا يزال جديداً عندنا يحتاج إلى تمحيص وانتقاد ، فنتقدم إلى أرباب الأقلام أن ينتقدوه ، ونستلفت انتباه أئمة اللغة إلى النظر فيه والتوسع في موضوعه لالانتفاع بنتائج أبحاثهم وثمار قرائحهم » .

وفي أوائل هذا القرن ظهرت بشائر ما يذهب إليه علماء اللغة من المعاصرين من أن اللغة بناء . واستطاع « مورييس جرامون » و « انطوان ميينه » و « جوزيف فندريس » أن يثبتوا أن التغيرات الصوتية وغيرها من التغيرات اللغوية لا يمكن القول بأنها مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي ، كما ذهب إليه علماء اللغة خلال القرن التاسع عشر ، ولكنها تدل على تفاعل بين الدوافع النفسية الفسيولوجية وبين نظام اللغة الذي يطرأ عليه التغيرات . والتغيرات تحدث في الأفراد في اللاشعور أو على هامش الشعور . وقد أرجع « فان جينيكن » هذه الحقائق معتمداً على نتائج بحث « بير جانيه » في التلقائية النفسية . ووضح « ميينه » الصفة الاجتماعية للنظام اللغوي ، وبين أنها تطابق تعريف « دوركيم » للظاهرة الاجتماعية . فعملية التغير تحدث في الفرد ، ثم تعمم في الجماعة . أما علة التغير ، فتقع خارج الفرد وتنتمي إلى المحيط الاجتماعي .

وتوصل « جول جيرون » إلى منهج جديد في علم الجغرافية اللغوية ، وبين بكل وضوح أن التصور الدارويني للغات واللهجات على أنها كائنات يمكن حصر عددها ، وأنها تتطور تطور النبات والحيوان ، تصور لا أساس له إطلاقاً . فالتطور اللغوي أشد تعقداً من هذا ، وذلك بسبب التفاعل الدائم بين الاتجاهات الخارجية والداخلية . وأدت الآراء الجديدة إلى الاعتقاد بأن الحقيقة الهامة عن اللغة هي أنها تكون نظاماً في عناصره المختلفة يعتمد بعضها على بعض ، وبأن هذا النظام لازم لفهم كل من

التغير اللغوي ، واللغة في ذاتها ، والدور الذي تقوم به اللغة في المجتمع . والواقع أن ما يبدو لعقل المتكلم العادي ليس إلا النظام اللغوي ، أما فكرة التغير اللغوي فأمر لا يطرأ له على بال . وأظهر « فرديناند دوسوسور » أهمية الفصل بين هاتين النظريتين : بين اللغة من حيث هي نظام مستقر ، وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي : ثم وضع المناهج الخاصة في دراسة كل من النظريتين ، ونبه على ضرورة الفصل بين اللغة باعتبارها لغة وبين الكلام ، أي بين النظام اللغوي الذي تشترك فيه جماعة من الجماعات وبين الاستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم باللغة لهذا النظام . وذهب أيضاً إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وقال : إن اللغة نظام من العلامات التي تتكون من مسموع ومن تصور يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً . وتتصف هذه العلامات بأنها تحكمية ، أي لا باعث طبيعي عليها ، ولكنها تكتسب قيمتها عن طريق التقابل . وهو لا ينظر إلى اللغة على أنها جوهر بل على اعتبار أنها صورة .

وأدت مناهج العلم الطبيعي إلى دراسة نطق الكلام دراسة دقيقة . . لا عن طريق الأذن فحسب ، ولكن باستخدام آلات خاصة ، وبذلك نشأ علم الأصوات التجريبي . وحاول كثير من العلماء عن هذا الطريق أن يصفوا ويحللوا أكبر عدد ممكن من درجات النطق على اختلافها ودقتها ، تلك التي يجدونها في اللغات واللهجات ، وذلك دون اعتبار لوظيفتها ، وكان « دوسوسور » قد أوضح قبلاً أن أية لغة لا تحتوي إلا على عدد محدود من نماذج الأصوات أو الوحدات الصوتية . وتوصل « تروبتسكوي » بعده إلى تعريف دقيق للوحدة الصوتية على أنها أصغر وحدة للصوت تتخذ للتمييز بين المعاني ، وحاول أن يحدد طبيعة النظم المختلفة للوحدات الصوتية والعلاقات المتبادلة بينها ، وأهمية صفاتها لفهم التغير اللغوي . وبذلك ميز بين علم الأصوات اللغوية ، أي علم



الوحدات الصوتية ، وبين علم نطق الكلام . وكون « هيلمسلف » نظرية دلالية في اللغة على أساس أن اللغة صورة أكثر من كونها مادة . وهو يرمي إلى تعريف اللغة بما ينتفي فيه التناقض ، ويكون بسيطاً وشاملاً . ويرى للوصول إلى غايته أن يستخدم منهجاً يستطيع به تحليل أي نص أو كلمات متتابعة ملفوظة طبقاً لهذه المبادئ ، على أن تكون نتيجة التحليل تكوين النظام الكامن وراء النص ، ووراء أي نص في اللغة المدروسة . ويهدف « هيلمسلف » بهذه العملية الاستدلالية إلى أن يجد منهجاً يمكن تطبيقه على اللغة عموماً . ووضع النقط الرئيسية للتحليل يحدد بها العلاقات القائمة بين العناصر ، ومدى اعتماد بعضها على بعض ، وذلك بتقسيم النص إلى مجموعات يأخذ في تضيق دائرتها حتى يصل إلى الوحدات الصغرى فيها . واللغة عنده مجموعة من العلاقات لا تهم الابانة عنها . . فالقيم اللغوية لا تتأثر بالابانة عن اللغة في الكلام أو الكتابة أو في الاشارات التلغرافية أو في اشارات الصم والبكم ، وإنما هي مسألة حسابية .

ولقي « هيلمسلف » معارضة من اللغويين المعنيين بالتغير التاريخي ، ومن علماء الأصوات اللغوية ، ومن أصحاب نظرية البناء ، فعلماء الأصوات اللغوية وأصحاب النظرية القائلة بأن اللغة بناء خالفوه فيما ذهب إليه بأن الجوهر لا أهمية له في اللغة . وعلى المبادئ الرئيسية التي تقوم عليها نظريات علماء الأصوات اللغوية وجماعة هيلمسلف ، تقوم أبحاث كثير من علماء اللغة في العصر الحاضر . . وقامت مدرسة اللغويين الأمريكية وعلى رأسها « بلومفيلد » و « ادوارد سابير » . وقد ميز « بلومفيلد » بين دراسة اللغة من الناحية التاريخية وبين دراستها من حيث هي مستقرة ، وكون نظرية بنائية في اللغة قائمة على معرفة واسعة بالحقائق اللغوية . و « بلومفيلد » من أصحاب نظرية السلوك الذين ينكرون كل

عملية ذهنية ويذهبون إلى أنه لا يمكن ملاحظة شيء من هذا القبيل ملاحظة موضوعية ، ويتجاهلون نتائج البحوث النفسية والطبية الهامة التي تثبت أمام الاختبار ، وهم يتخلصون من المعنى على قدر الامكان . وهو يرى أن معنى أية صورة من الصور اللغوية هو الحالة التي ينطق بها المتكلم بهذه الصورة ، والأثر الذي يحدثه في السامع . وهكذا بدأ « بلومفيلد » من الصور اللغوية لا من معاني الصور ، وكوّن على أساس مقاييس صورية خالصة ، نظاماً كاملاً من الوحدات الصوتية ومن تحولاتها ، ومن الصلات العامة والصور النحوية والصرف وأنواع الجمل . وتبين فائدة هذا المنهج عند دراسة لغة تختلف عن لغة الباحث ، وفي دراسة البناء اللغوي . ولكنه لا يصلح حين يطبق على التطور التاريخي . فالتغير اللغوي يبدأ في فرد ، أو في طائفة قليلة العدد ، ثم يعمم في الجماعة . وهذه التغيرات تتضمن عملية نفسية فسيولوجية هي عادة ذات طبيعة بسيطة ، وأن هذه العملية هي التي تقدم الأساس اللازم لتصنيف التغيرات في الوحدات الصوتية . أما التصنيف الذي يقوم على أساس مقاييس خارجية تماماً ، فلا يعدو أن يكون تسجيلاً أجوف للحقائق ، وهو لا ينطوي على أي تفسير .

أما « ادوارد سابير » فلم يكن سلوكياً ، بل دلتل على أن الباحث اللغوي يجب أن يعول في بحثه على ما يسمى بالوعي اللغوي ، وبين أن بعض العناصر الهامة للنموذج الاجتماعي للسلوك عناصر لا شعورية ، وأن الذي يظهر لعقل المتكلم العادي بشكل لا شعوري متفاوت من حيث الدرجة ، هو الوحدات الصوتية والنظام الذي تكونه أكثر من الاختلافات في نطق الوحدات الصوتية ، أي الاختلافات التي ليس لها أهمية وظيفية . واقتراح « سابير » تصنيفاً بنائياً عاماً ممتازاً للنظم اللغوية والتي يمكن النظر إليها من حيث درجة تركيب الكلمات ودرجة استكمالها لهيئتها . ومن

حيث الارتباط الآلي الذي تتحد فيه عناصر الكلمات . ثم أكد « ساير » الصفة الاجتماعية للغة دون أن يهون من أهمية العامل الفردي الذي أورد عليه تعليقات قيمة . . فعنده أن اللغة هي في الأرجح أعظم قوة من القوى التي تجعل من الفرد كائناً اجتماعياً لا يمكنه بدون اللغة الاتصال الاجتماعي الدال ، فضلاً عن أن وجود لغة مشتركة هو رمز قوي للتضامن الاجتماعي بين من يستخدمون اللغة ، ولا تقتصر الدلالة النفسية لهذه الحقيقة على ربط لغات خاصة بقوميات ، أو بهيئات سياسية ، أو بجماعات محلية أصغر ، بل تتعدى ذلك . وظل « ساير » متشككاً في مدى اعتماد النموذج الاجتماعي على اللغة واعتماد اللغة على النموذج الاجتماعي . ولم يدخل في حسابه الأقسام الكبرى للصور اللغوية والتي تعرف بأقسام الكلام ، لأن البحث الحديث أظهر أن كثيراً من اللغات لا تميز بين نفس أقسام الكلام التي تميز بينها اللغات الأوروبية مثلاً ، أو أنها تحددها بشكل آخر . وربما لو كانت لدينا مادة كافية ، لأمكن اثبات نوع من التضايف العام بين النظام اللغوي وبين درجة التأليف الاجتماعي .



يقول « ادوارد سابير » : « يأتي يوم تبدو فيه محاولة التمكن من حضارة بدائية دون الاستعانة بلغة بيئتها محاولة غير جذية ، مثل جهود المؤرخ العاجز عن أن يفهم الوثائق الأصلية للمدنية التي يصفها » والواقع أن الشعور يزداد يوماً بعد يوم عند دارس المدنية بأهمية اللغة لفهم الحضارة حق الفهم . والنظام اللغوي تعبير عن طريقة جماعة من الجماعات في ادراك نفسها وما يحيط بها ، وإن لم يكن هذا التعبير كاملاً . ومن العسير أن نفهم مدنية من المدنيات كل الفهم ما لم نعرف وسيلتها اللغوية في التعبير . ولا يمكن دراسة الانسان ما لم ندرس كيفية تعبيره .

عملية ذهنية ويذهبون إلى أنه لا يمكن ملاحظة شيء من هذا القبيل ملاحظة موضوعية ، ويتجاهلون نتائج البحوث النفسية والطبية الهامة التي ثبتت أمام الاختبار ، وهم يتخلصون من المعنى على قدر الامكان . وهو يرى أن معنى أية صورة من الصور اللغوية هو الحالة التي ينطق بها المتكلم بهذه الصورة ، والأثر الذي يحدثه في السامع . وهكذا بدأ « بلومفيلد » من الصور اللغوية لا من معاني الصور ، وكوّن على أساس مقاييس صورية خالصة ، نظاماً كاملاً من الوحدات الصوتية ومن تحولاتها ، ومن الصلات العامة والصور النحوية والصرف وأنواع الجمل . وتبين فائدة هذا المنهج عند دراسة لغة تختلف عن لغة الباحث ، وفي دراسة البناء اللغوي . ولكنه لا يصلح حين يطبق على التطور التاريخي . فالتغير اللغوي يبدأ في فرد ، أو في طائفة قليلة العدد ، ثم يعمم في الجماعة . وهذه التغيرات تتضمن عملية نفسية فسيولوجية هي عادة ذات طبيعة بسيطة ، وأن هذه العملية هي التي تقدم الأساس اللازم لتصنيف التغيرات في الوحدات الصوتية . أما التصنيف الذي يقوم على أساس مقاييس خارجية تماماً ، فلا يعدو أن يكون تسجيلاً أجوف للحقائق ، وهو لا ينطوي على أي تفسير .

أما « ادوارد سابير » فلم يكن سلوكياً ، بل دلل على أن الباحث اللغوي يجب أن يعول في بحثه على ما يسمى بالوعي اللغوي ، وبين أن بعض العناصر الهامة للنموذج الاجتماعي للسلوك عناصر لا شعورية ، وأن الذي يظهر لعقل المتكلم العادي بشكل لا شعوري متفاوت من حيث الدرجة ، هو الوحدات الصوتية والنظام الذي تكونه أكثر من الاختلافات في نطق الوحدات الصوتية ، أي الاختلافات التي ليس لها أهمية وظيفية . واقتراح « سابير » تصنيفاً بنائياً عاماً ممتازاً للنظم اللغوية والتي يمكن النظر إليها من حيث درجة تركيب الكلمات ودرجة استكمالها لهيئتها ، ومن

حيث الارتباط الآلي الذي تتحد فيه عناصر الكلمات . ثم أكد « سابير » الصفة الاجتماعية للغة دون أن يهون من أهمية العامل الفردي الذي أورد عليه تعليقات قيمة . . فعنده أن اللغة هي في الأرجح أعظم قوة من القوى التي تجعل من الفرد كائناً اجتماعياً لا يمكنه بدون اللغة الاتصال الاجتماعي الدال ، فضلاً عن أن وجود لغة مشتركة هو رمز قوي للتضامن الاجتماعي بين من يستخدمون اللغة ، ولا تقتصر الدلالة النفسية لهذه الحقيقة على ربط لغات خاصة بقوميات ، أو هيئات سياسية ، أو جماعات محلية أصغر ، بل تتعدى ذلك . وظل « سابير » متشككاً في مدى اعتماد النموذج الاجتماعي على اللغة واعتماد اللغة على النموذج الاجتماعي . ولم يدخل في حسابه الأقسام الكبرى للصور اللغوية والتي تعرف بأقسام الكلام ، لأن البحث الحديث أظهر أن كثيراً من اللغات لا تميز بين نفس أقسام الكلام التي تميز بينها اللغات الأوروبية مثلاً ، أو أنها تحددها بشكل آخر . وربما لو كانت لدينا مادة كافية ، لأمكن اثبات نوع من التضايف العام بين النظام اللغوي وبين درجة التأليف الاجتماعي .



يقول « ادوارد سابير » : « يأتي يوم تبدو فيه محاولة التمكن من حضارة بدائية دون الاستعانة بلغة بيئتها محاولة غير جدية ، مثل جهود المؤرخ العاجز عن أن يفهم الوثائق الأصلية للمدنية التي يصفها » والواقع أن الشعور يزداد يوماً بعد يوم عند دارس المدنية بأهمية اللغة لفهم الحضارة حق الفهم . والنظام اللغوي تعبير عن طريقة جماعة من الجماعات في ادراك نفسها وما يحيط بها ، وإن لم يكن هذا التعبير كاملاً . ومن العسير أن نفهم مدنية من المدنيات كل الفهم ما لم نعرف وسيلتها اللغوية في التعبير . ولا يمكن دراسة الانسان ما لم ندرس كيفية تعبيره .

ولو تم التعاون بين العلماء للنهوض بعلم اللغة الذي يعتبر من أضبط الدراسات الانسانية ، لوصلوا إلى نتائج هامة في جميع ميادين الفكر الانساني نقول ذلك لأنه بالرغم من الجهود التي يقوم بها علماء اللغة في العالم ، فعلم اللغة لا يزال في أوله ومسائله لا تزال تشغل الأذهان ، تحل حيناً وتتعثّر أحياناً . ففي سنة ١٩٤٨ في مؤتمر اللغويين الدولي السادس في باريس ، طرح الأعضاء للمناقشة موضوع الصلات بين علم المفردات وعلم البنية وبخاصة بين علم التنظيم وعلم البنية ، ولم يصل الأعضاء فيها إلى رأي . وتقوم مسألة « هل يقتضي التغيير التام للحالة الاجتماعية لطائفة من الناس تغييراً في بناء لغتهم ؟ » ويكون هذا ، موضوع نقاش في روسيا ، التي تغير مجتمعتها في القرن العشرين تغييراً كاملاً واحتفظت اللغة الروسية ببنائها القديم ، ويذهب « ستالين » سنة ١٩٥٠ ، إلى أن اللغة في مجلتها لا يمكن أن تعتبر بناء ظاهراً يحده أساس اقتصادي واجتماعي .

\* \* \*

ومن هذا ترى أن علم اللغة لا يزال في حاجة إلى ما دعا إليه جرجي زيدان في أوائل هذا القرن من تضافر جهود العلماء .

وإني لسعيد أن تتاح لي الفرصة لمراجعة هذا الأثر الجليل ، لأني مدين للمؤلف بفضل الأستاذية . . فكان هذا الكتاب أول ما قرأت في علم اللغة ، ولا أزال أنهل من نبعه .

مراد كامل

# مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله مفرق اللغات

هذه دراسة أرفعها إلى أهل النظر والتحقيق لينظروا فيها ، فإن أعجبهم مثاها تقدمت إليهم أن يزيدونا من مثلها مما تعم به الفائدة وتشحذ له الأذهان ، فليني عالم أن الموضوع رحب لا تستوعبه إلا المجلدات الضخمة ، وأعلم أيضاً أن في السويداء رجالاً لهم من العلم وسعة الاطلاع في اللغة وغيرها مما يؤهلهم لبسط الكلام في هذا الموضوع بأكثر مما بسطت والاسهام فيه بأكثر مما اسهمت . وربما كان ما استوقفهم إلى الآن عن البحث من الناحية التي بحثت فيها الخوف في أن لا يجدوا من القراء من يقدر لهم موضوع أبحاثهم حق قدره ، ويقبل عليه بما هو أهل له من الأمان والتروي . .

وربما كان لخوفهم هذا مسوغ يقضي عليهم معه بالتوقف إذا نظروا إلى عائده المادية ازاء ما يضحون من الوقت أثناء الكتابة والتأليف ، إلا أن أمثال هؤلاء الأفاضل قد لا يعبأون بما يعود عليهم من الفوائد المالية ، وذلك حباً في العلم وتنويراً للأذهان ، ويمتثلون من كل ذلك بما يكون من الفائدة الأدبية لعموم أفراد الهيئة التي هم بينها ، وهم في الغالب يدركون كلا الغائتين ولا تفوتهم إحدى الفائدتين إذا مر عليهم من الزمن ما تنبه لهم في أثناءه أذهان القراء من مواطنهم أو غيرهم . وعليه أعود

فأتقدم إليهم أن يزيدونا في هذا الموضوع ، زادهم الحق علماً وخيراً . وأن يؤخذوني بما وقع مني من الخطأ فيصلحوه وينتقدوني حيث يجدون محلاً للنقد حباً ببيان الحقيقة ، وأكون لهم من الشاكرين . ولا يزعم بي أن أقول ما أقول إيهاماً وتمويهاً فمعاذ الله إلا أن أشكر لأهل فضل وعلم همهم كشف الحقائق واجلاؤها حق الجلاء من أين أتت . وأحسب لهم عليّ في ذلك منة يكاد لا يستطيع ايفاؤها لأني عالم بقصور باعي وامكان تطرق الخطأ والخلل إلى ما كتبت أو ذهبت إليه كنت لا أرى محل ذلك الآن .



هذا ولا أنكر أي كتبت ما كتبت على غاية من السرعة ، فلم يتسع لي الوقت الكافي لمزيد النظر والتأمل في مراجعة ما كتبت وتصفيته من شوائب الغفلة والنقصان ، وربما غفلت في مواضع عن ذكر ما كان يهم أو يجب ذكره ، وذكرت في أخرى ما كان جديراً أن لا يذكر أو لا دخل له بالموضوع . وأكثر من ذلك أني تارك الكتاب وهو لم ينجز عن آخره ، ووكلت إلى أحد الخلان مراقبة إنجاز الطبع الأخير والتجليد والتوزيع . وكل ذلك لما تدعوني إليه الدواعي من مزيد السرعة ( لأني على شفا رحلة بعيدة الشقة ) وفي جميع هذا ما يوجب لي بعض العذر لدى أهل الفضل المحققين الذين رغبت إليهم في المؤاخذه والانتقاد تجلية للحقيقة وتمحيصاً لها . .

وهنا أسأل فضل القراء أن يرمقوا سطوراتي هذه بعين القبول ويوجهوا إليها وجه المقبل - لا أقول ذلك حباً في رواج الكتاب هادفاً للريح إنما حباً مني في اطلاعهم على هذه الملاحظات ، فينظروا لما أخذي الذي أخذت به في اللغة فأعلم إن كنت أصبت أم أخطأت ، أو كان كلا الاصابة والخطأ معاً ، مع بيان مواقع كل منهما . وأتوسل إلى الحق أن ترجح مواقع



الاصابة على مواقع الخطأ ، وأن يفيد الكتاب بعض الافادة . . أفله في  
توجيه الأنظار إلى هذه المباحث من الناحية التي أخذت بها وهو حسبي  
وإليه أنيب . .

١٥ يوليو سنة ١٨٨٦

# مقدمة الطبعة الثانية

سنة ١٩٠٤

لم يخطر لنا يوم نشرنا الطبعة الأولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٦ ، إنه سيأتي يوم نعيد طبعه فيه ، لأن موضوعه فلسفي جديد لا يرتاح إليه إلا فئة قليلة من خاصة الأدباء وذوي الاطلاع ممن يلتذون بالأبحاث العقلية الفلسفية ، وهم قليلون في كل زمان ومكان وخصوصاً في بلادنا لقرب عهدها من العلم والأدب . . فكيف بالأبحاث الفلسفية اللغوية وهي جديدة حتى في لغات الافرنج . فنقاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب يدل على تكاثر الخاصة من أهل هذا اللسان . أما أدباء الألسنة الأخرى فأنهم أحلوا هذا الكتاب محل القبول منذ أول ظهوره ، وكنا قد بعثنا منه أمثلة إلى بعض جمعيات المستشرقين في أوروبا فجاءتنا كتبهم وملؤها التنشيط والاستحسان وانتخبنا « الجمعية الآسيوية الإيطالية » يومئذ ( سنة ١٨٨٧ ) عضواً عاملاً فيها من أجل هذا الكتاب - إذ لم يكن لنا مؤلف سواه - وعينت مجلة « مكتب » العلمية التي تصدر في الاستانة بنقله إلى اللغة التركية ونشرته تباعاً في أعدادها لسنة ١٨٩٣ وما بعدها على أن نشره بعد ذلك في كتاب .

وموضوع هذا الكتاب البحث التحليلي في كيف نشأت اللغة العربية وتكونت ، باعتبار أنها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام . ومدار البحث على خمس قضايا ونتيجة وهي :

القضية الأولى : إن الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد . .

القضية الثانية : إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها ( كحروف الجر والعطف وأحرف الزيادة ونحوها ) إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها .

القضية الثالثة : إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية احادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية .

القضية الرابعة : إن جميع الألفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الإشارة ونحوها قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد أو بضعة ألفاظ .

القضية الخامسة : إن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ ، وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية .

النتيجة : إن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة احادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً .

\* \* \*

والكلام في ذلك كله مؤيد بالنواميس الطبيعية ، ومسند إلى عوامل لا تزال عاملة في لغتنا إلى هذا اليوم .

وقد أدخلنا في هذه الطبيعة تحسينات ذات بال خطرت لنا بعد ظهور الطبعة الأولى . وأضافنا إليها فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها ، وأصل الخطوط المعروفة الآن في أقطار العالم المتقدمين ، وفصلاً في كيف تعلم الانسان العد ، وكيف توصل إلى اختراع الأرقام ، وأصل الأرقام الهندية ، وكيف تنقلت في العالم .

والبحث في فلسفة اللغة لا يزال جديداً عندنا يحتاج إلى تمحيص وانتقاد ، فنتقدم إلى أرباب الأقلام أن ينتقدوه ، ونستلفت انتباه أئمة اللغة إلى النظر فيه والتوسع في موضوعه لالانتفاع بنتائج أبحاثهم وثمار قرائحهم .

وسنشفع هذا الكتاب بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي نامٍ خاضع لناموس الارتقاء العام ، نقصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من التنوع والنمو والارتقاء في ألفاظها وتراكيبها بعد أن تم تكوينها وصارت ذات قواعد وروابط . ينطوي تحت ذلك النظر في ما دخل هذه اللغة من الألفاظ الأعجمية والتراكيب الغريبة على اختلاف العصور من الجاهلي فالإسلامي إلى هذا اليوم ، ونأتي بأمثلة مما دخلها أو تولد فيها من الألفاظ الإدارية والعلمية والفلسفية والطبية والدينية واللغوية على اختلاف أدوارها . .

والله المستعان أن يجعل أقوالنا أقرب إلى جانب الإصابة وهو حسبنا .

# اللغة

اللغة أصوات يعبر بها<sup>(١)</sup> كل قوم عن اغراضهم ، وقد تعددت أنواع الأصوات وطرق التعبير بتعدد الأمم واختلاف أصواتها . . فنشأت عن ذلك لغات تفوق الآلاف عدداً<sup>(٢)</sup> ، متفاوتة بياناً ومتباينة دلالة ولفظاً ، فإن من الأصوات ما هو عادي عند هذه الأمة وشاق التللف به عند تلك ، مما يلاحظه كل منا عند من حاول دراسة اللغة العربية من أبناء المغرب . . فقد قل بينهم من استطاع بعد العناية الشديدة لفظ الحاء أو العين أو الغين أو الضاد وما شاكلها ، وكثيراً ما يعاني أحدها في لفظ ج غ أو خ اليونانيين أو ف أو ب الرومانيين . ومن القبائل المستوطنة في أواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية « ف ب م و . . . » في لغتهم . وبعض هنود

---

(١) ليست اللغة مجرد أصوات يعبر بها فحسب ، بل تمتاز بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر اللغة منها ( مركز اصدار الألفاظ ، مركز حفظ الكلمات المسموعة ، مركز الكلام ، مركز حفظ الأصوات ، مركز الكلمات المرئية وغيرها )

(٢) قدر « اميه وكوهين » عدد اللغات الحية في العالم - في كتاب لغات العالم ( طبعة ثانية ١٩٥٢ ) - بما يتراوح بين ٢٥٠٠ لغة و ٣٥٠٠ لغة . وهذا يتفق مع رأي « جراي » في كتابة أصول اللغة ( طبعة ثانية ١٩٥٠ ) ومن بين هذه اللغات ما يقتصر التحدث بها على عدد قليل من الناس نسبياً في حين ان لغات اخرى يتحدث بها ملايين من الناس .  
وعد « تيسنير » ( سنة ١٩٢٨ ) ٢٩ لغة يتكلم كلا منها أكثر من عشرة ملايين ، منها ٢٥ لغة لها اهمية من حيث انتشارها ونتاجها المدون .

كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع « ب ف ج د ب و » وأكثر أهالي استراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية « س ز ش ث ص ظ » والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف « ب س د ف ح ج ل ق ض و ي » واللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » خالية من هذه المقاطع « ب ج د ز ظ ض »<sup>(١)</sup>.

وجملة القول أن لهذه الاختلافات آثار تشير إلى ما هي عليه اللغة من التعرض للمؤثرات الخارجية التي طالما غيّرت ولم تزال تُغيّر في سائر أحوالنا عملاً بناموس الارتقاء العام . وهذا التباين اللفظي يُشاهد بين أفراد الأمة الواحدة المتكلمين بلغة واحدة لعلّة طبيعية في أعضاء النطق .

فيظهر مما تقدم أن الأحرف « ت م ن هـ » مما يسهل لفظه على كل ناطق بدليل وجودها في جميع اللغات على اختلاف أنواعها ( إلا الهاء في اليونانية ) . على أن النظر في طريقة التلفظ بها يبين كونها طبيعية ، فإن الهاء لا تكلف في لفظها مطلقاً لأنها تحدث بواسطة الزفير الاعتيادي والفم مفتوح . والتاء بإيقاف الزفير بالصاق اللسان بما وراء القواطع . أما الميم فبإخراج الصوت من الأنف والفم مجوف والشفتان مطبقتان . والنون تلفظ كالميم بالصاق اللسان بسقف الحلق وفتح الفم .

أما التفاوت الحاصل في دلالة هذه الأصوات ومركباتها ، فقد نشأ عنه تكاثر اللغات وتعدد اللهجات فحسبوا منها آفاقاً ولم ينتهوا إلى جميعها ، غير أن فيلولوجي هذا العصر قسموها باعتبار درجات تهذيبها إلى « مرتقية » و « غير مرتقية » . وهذه الأخيرة تتضمن أدنى اللغات بياناً وأبسطها ألفاظاً ، منها اللغات الزنجية التي يتفاهم بها قاطنو جنوبي افريقيا . والأمريكية التي يتكلم بها هنود أمريكا . والشمالية الشرقية

(١) الباء موجودة ، والجيم موجودة بنطقها المصري فقط ، والدال موجودة .

الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغاليين وشبه جزيرة كمشتكا وما جاورهما . والصينية وهي لغات الصين ومن أهم صفاتها أن ألفاظها احادية المقطع لا فرق فيها بين الأسم والفعل والحرف . فاللفظة الواحدة تكون فعلاً أو اسماً أو نعتاً باضافة ألفاظ أخرى ذات معان مستقلة إليها . والحامية ومنها المصرية القديمة والحبشية القديمة والبربرية<sup>(١)</sup> . وقد عد بعض اللغويين المصرية من اللغات الشرقية<sup>(٢)</sup> لأنها تقرب منها في بعض أحوالها ، وقال آخرون : لا بل هي أمها ، وقد دعت بالحامية لاعتقادهم أن المتكلمين بها من نسل حام بن نوح .

أما المرتقية فتمتاز بسعة نطاقها واحتوائها على أكثر ما يحتاج إليه الانسان من أنواع التعبير ، ومنها لغات العالم المتمدن ، وتُقسم باعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق إلى « متصرفة » و « غير متصرفة »<sup>(٣)</sup> . وهذه

---

(١) اللغات الحامية تنقسم إلى أربع مجموعات كبرى :

١ - المصرية القديمة - القبطية ب - الليبية ج - البربرية د - الكوشية أما اللغة الحبشية القديمة ( الجعز ) فهي من اللغات السامية .

(٢) يقصد المؤلف باللغات الشرقية ، اللغات السامية .

واللغة المصرية القديمة من المجموعة الحامية . وقد ظن بعض العلماء أنها تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية لبعض صفات مشتركة بينها وبين اللغات السامية . وما لا شك فيه أن هناك صفات مشتركة بين مجموعتي اللغات السامية واللغات الحامية ، ولهذا يعدمها علماء اللغة حين يقسمون لغات العالم مجموعة واحدة يطلقون عليها : الحامية - السامية .

(٣) حاول علماء اللغة أن يرجعوا اللغات إلى مجموعات ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . . ذهب بعضهم - ومنهم « شليجل » - إلى تقسيم اللغات من ناحية التطور والارتقاء إلى ثلاث مجموعات - تختلف درجة رقي كل منها ، وتمثل كل منها مرحلة خاصة من المراحل التي مرت بها اللغة وهي في سبيل تطورها : اللغات غير المتصرفة أو العازلة ، واللغات اللصقية أو الوصلية ، واللغات المتصرفة أو التحليلية .

فاللغات غير المتصرفة أو العازلة تمتاز من ناحية علم البنية بأن كلماتها غير قابلة للتصرف لا عن طريق تفسير البنية ولا عن طريق لصق حروف بالأصل . وكل كلمة فيها تقوم على مقطع واحد وتلازم شكلاً واحداً ، وهي قائمة بذاتها تدل على معنى ثابت لا يتغير . وتمتاز من ناحية علم التنظيم وبعدم وجود روابط بين أجزاء الجملة ، تدل على وظيفة كل جزء منها وعلاقته بما =

## الأخيرة تشتمل على اللغات الطورانية ، ومنها الفروع التركية ويتفاهم بها

= عداه من الاجزاء ، بل توضع هذه الأجزاء بعضها بجانب بعض ، وتستفاد وظائفها وعلاقتها ببعضها من ترتيبها أو من سياق الكلام . وسميت هذه اللغات « بغير المتصرفة » لأن كلماتها لا تتصرف ولا يتغير معناها ، و « بالعازلة » لأنها تعزل اجزاء الجملة بعضها عن بعض ولا تظهر بما يربطها من علاقات .

أما اللغات اللصقية أو الوصلية فتمتاز من ناحيتي علم البنية وعلم التنظيم بأن تغير معنى الأصل وعلاقته بما عداه من أجزاء الجملة يشار إليهما بحروف تلصق به . وتوضع هذه الحروف أحياناً قبل الأصل فتسمى « سابقة » وأحياناً بعده فتسمى « لاحقة » . وبعض هذه الحروف السابقة أو اللاحقة ليس لها دلالة مستقلة ، ولكن معظمها كان في الأصل كلمات ذات دلالة ، ثم فقدت معانيها وأصبحت لا تستخدم إلا لتساعد على تغير المعنى الأصلي الذي تدخل عليه أو للإشارة إلى علاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض . وسميت هذه اللغات « باللصقية » أو « الوصلية » للطريقة التي تتبعها حيال الأصل ، إذ تلصق به حروفاً زائدة عن حروفه الأصلية لتوضيح المعنى المقصود منه أو للإشارة إلى علاقته بما عداه من أجزاء الجملة . أما اللغات المتصرفة ، فتمتاز من ناحية علم البنية بأن معاني كلماتها تتغير تبعاً لتغير البنية ، وتنتاز من ناحية علم التنظيم بأن أجزاء الجملة تصل بينها روابط قائمة بذاتها تدل على مختلف العلاقات .

وسميت « بالمتصرفية » لتغير أبنيتها بتغير المباني . و « بالتحليلية » لتحليلها أجزاء الجملة وربطها بروابط تدل على العلاقات . هذا ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الانسانية في مبدأ نشأتها كانت غير متصرفة ، ثم ارتقت إلى لصقية ، ولم تصل إلى حالة المتصرفة إلا في آخر مرحلة قطعها في هذا السبيل . غير أن بعض اللغات قد وقفت في نموها فلم تتجاوز المرحلة الأولى أو لم تتجاوز المرحلة الثانية . ويستدل أصحاب هذا الرأي على صحة نظريتهم بأدلة مستمدة من لغة الطفل ولغات الأمم الدولية .

وقد اقام علماء اللغة من المحدثين الأدلة على فساد هذا التقسيم ، فإن هناك لغات لا تدخل تحت قسم من هذه الأقسام الثلاثة . وقد تدخل تحت قسمين منها أو تحت الأقسام الثلاثة . وكذلك ظهر خطأ هذا التقسيم في أنه لا يدل على مرحلة تطور اللغة من غير المتصرفة إلى اللصقية إلى المتصرفة كما يريد أصحاب هذا التقسيم . فإن المقطع الواحد في اللغة لا يدل على المرحلة الأولى فيها ، كما نعرف ذلك من اللغة الصينية مثلاً . وكذلك نجد في اللغات المتصرفة استعمالات وصلية . ونجد عند بعض الشعوب البدائية مثل سكان الاندمان ( في المحيط الهندي ) استعمالات لصقية .

ووجد المحدثون من علماء اللغة أن الاساليب الثلاثة توجد مجتمعة في كل لغة ، فنظروا إليها من ناحية أنها أساليب مستخدمة في جميع اللغات ، وليست مجموعات لغوية متميزة . ثم وجهوا دراستهم إلى تبويب اللغات بحسب صلات القرابة التي تجمع بين كل فصيلة منها ، =



القاطنون بين آخر حدود النمسا الشرقية وآسيا الصغرى ، فالتتر إلى ما وراء أواسط آسيا وشمالاً إلى الحدود الشمالية لسيبيريا . ومنها أيضاً اللغات المنغولية والتنقاسية والاوغرافية .

ومن أهم صفات اللغات المرتقية « غير المتصرفة » أنها مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً ، وإن الاشتقاق يقوم فيها بالحق أدوات لا معنى لها في نفسها في آخر تلك الأصول ، وهذه تبقى بدون تغيير . مثال ذلك لنا في التركية « ياز » وهو الأصل الدال على الكتابة فيصيغون منه فعلاً ماضياً بالحق « دى » في آخره ، فيقولون

= فأخذوا في دراسة كل لغة على حدة دراسة دقيقة ، وراعوا في اثبات القرابة بين اللغات المختلفة قواعد اللغة التي هي العامل الأول في اثبات القرابة بين لغات الفصيلة الواحدة ثم المفردات . وشرع « مكس مولر » في تقسيم لغات العالم إلى ثلاث فصائل : الهندية الأوروبية ، السامية الحامية ، الطورانية .

وكانت الأسس التي بنى عليها هذا التقسيم هي أن يجمع أفراد كل فصيلة تربطها صلات قرابة لغوية ، أي تتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل وما إلى ذلك ، كما تكون من الشعوب الناطقة بها مجموعة انسانية متميزة ، ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة ، وتؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية .

وقد كان القسم الثالث من هذه الأقسام - وهو الذي أطلق عليه « مكس مولر » اسم الفصيلة انطورانية - يضم طائفة من اللغات الاسيوية والاوربية التي لا تدخل تحت فصيلة من الفصيلتين السابقتين . فالفصيلة الطورانية ليست اذن فصيلة بالمعنى الصحيح لهذا الاصطلاح ، أي مجموعة من اللغات ترجع إلى أصول واحدة ويجمع بين أفرادها صلات تشابه وقرابة ، بل هي لغات لا يؤلف بينها إلا صفة سلبية هي عدم دخولها في احدى الفصيلتين السابقتين . وكذلك لم تدخل تحتها جميع اللغات الخارجة عن الفصيلتين السابقتين ، بل قصرت على طائفة منها وهي بعض اللغات الاسيوية والاوربية .

ولما كان هذا القسم غير قائم على أساس غير شامل لما بقي من لغات العالم ، فقد عدل المحدثون من علماء اللغة منذ أوائل هذا القرن عن استخدام مصطلح التقسيم الثالث أي اللغات الطورانية، وعمدوا إلى ما بقي من اللغات الانسانية خارجاً عن الفصيلتين الهندية والسامية الحامية ، فقسموه إلى فصائل تجمع أفراد كل فصيلة منها صلات تشابه لغوية ، كما فعل « مكس مولر » في قسميه الأول والثاني .

وقامت جماعة علم اللغة بباريس بتقسيم لغات العالم على هذا الاساس في موسوعتها « لغات العالم » إلى احدى وعشرين فصيلة .

« يازدى » كتب ثم إذا أرادوا الماضي السابق يضيفون « دى » أخرى فيقولون « يازديدى » أي كان قد كتب . وإذا أرادوا الجمع أضافوا أدواته « لر » فقالوا « يازديدير » كانوا قد كتبوا ثم إذا أرادوا النفي أدخلوا أدواته بين الأصل وما أضيف إليه ، فقالوا « يازمديدير » أي ما كانوا قد كتبوا . وهكذا بين طلب وتمن واستفهام ، بحيث تبلغ هذه اللاحقات العشرة عدداً مع بقاء الأصل الفعلي على بنائه في أول اللفظ .

واللغات المتصرفة تمتاز بقبول أصولها التصريف الحاقاً وإدراجاً ، وتقسم إلى طائفتين عظيمتين : ١ - الطائفة الآرية : أو الهندية الأوروبية وتدعى أيضاً « اليافنية »<sup>(١)</sup> نسبة إلى يافث بن نوح ، وتقسم إلى

(١) اهندية الأوروبية : تشمل هذه الفصيلة ثماني طوائف من اللغات :

١ - اللغات اهندية - الايرانية أو اللغات الآرية ، وتشمل شعبتين : شعبة اللغات الهندية ( السنسكريتية والبراكريتية واللغات اهندية الحديثة الخ ) . وشعبة اللغات الايرانية ( الفارسية القديمة والزند والبهلوية والفارسية الحديثة الكردية والاسيتية والافغانية الخ ) ولكثرة وجوه الشبه بين هاتين الشعبتين عددهما علماء اللغة طائفة واحدة سموها طائفة « اللغات اهندية الايرانية » أو طائفة « اللغات الآرية » فيطلقونها على جميع طوائف الفصيلة اهندية الأوروبية .

٢ - اللغات الارمنية .

٣ - اللغات اهيلينية ( اليونانية الاثنية ، والدورية ، والايلوية ، واليونانية الحديثة الخ ) .

٤ - اللغات الابانية .

٥ - اللغات الايطالية : الاسكية ، والامبرية السمنية ، واللاتينية ، والرومانية وهي المتفرعة من اللاتينية ( الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة رومانية الخ ) .

٦ - اللغات الكلتيية ( كان يتكلمها شعوب الكلث وبقي منها آثار في لهجات محلية بارلنده وويلز والبريتون بفرنسا )

٧ - اللغات الجرمانية وهي ثلاث شعب : شعب الجرمانية الشرقية وهي القوطية ، وشعبة الجرمانية الشمالية وهي لغات آيسلنده والدانمارك والسويد والنرويج ، وشعبة الجرمانية الغربية وتشمل : الانجليزية السكسونية والانجليزية الحديثة واهولندية واللغات الالمانية الخ .

٨ - اللغات البلطية السلافية وتشمل شعبتين : شعبة اللغات البلطية وهي الليتوانية والليتية والبروسية القديمة ، وشعبة اللغات السلافية وهي السلافية القديمة ، والروسية والبولونية والتشكية والسربية الكرواتية والبلغارية .

« جنوبية » وهي لغات جنوبي آسيا منها السنسكريتية وفروعها الهندية .  
والفارسية والأفغانية والكردية والبخارية والأرمنية والأوستية . و« شمالية »  
ومنها لغات أوروبا وتقسم هذه إلى كلتية ، ومنها اللغات المستعملة في  
جزائر بريطانيا إلا انجلترا . وإيطالية ومنها اللاتينية وفروعها لغات فرنسا  
 وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال . وهيلينية ومنها اليوناني القديم والحديث .  
ووندية ومنا لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا . وتيوتونية وتتضمن لغات  
انجلترا وألمانيا وهولندا والدانمارك وإيسلاندا .

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية أنها مؤلفة من أصول قابلة  
التصريف أدراجاً ، وأن الأشقاق فيها يقوم بإضافة أدوات معظمها ذات  
معنى في نفسها ، وهذه الأدوات تلحق غالباً في آخر الأصل وأحياناً في أوله  
مثال ذلك في الانجليزية «Thank» شكر ومنها «Thankful» متشكر أو  
شكور أو كثير الشكر ، ثم «Unthankful» غير متشكر أو غير شاكر ، ثم  
«Unthankfulness» عدم تشكر أو عدم شكر . ومثلها «Capable» كاف  
أو قادر و«Incapable» غير كاف أو غير قادر ، و«Incapability» عدم  
كفاءة . وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية .

٢ - الطائفة السامية : نسبة إلى سام بن نوح وإشارة إلى كون<sup>(١)</sup>  
القسم الأعظم من المتكلمين بها هم من نسله ، وتتضمن ما يسمى أحياناً  
باللغات الشرقية . وهي بوجود اللغة العربية بينها تعد من أرقى اللغات  
بياناً وأوسعها نطاقاً وأدقها تعبيراً ، وتمتاز بكونها الحافظة لأقدم التواريخ  
أعني التوراة مكتوبة بالعبرانية . ومن المعلوم أن التمدن نشأ أولاً بين

---

(١) فصيلة اللغات السامية تنقسم جغرافياً إلى شمالية وجنوبية ، والشمالية تنقسم إلى شرقية  
وغربية . فالشرقية هي اللغة الأكديّة ( الآشورية والبابلية ) والغربية تشتمل على اللغة  
الاجريتية ( لغة نقوش رأس شمرا ) ، والكنعانية ( الفينيقية والمزابية والعربية والآرامية ) . أما  
القسم الجنوبي فيضم اللغة العربية ولغة نقوش بلاد العرب الجنوبية واللغات السامية الموجودة  
في بلاد الحبشة .

المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين<sup>(١)</sup> والفينيقيين وغيرهم . وهي تقسم إلى ثلاثة أقسام<sup>(٢)</sup> :

(١) اتفق العلماء منذ القرن الثامن عشر على تسمية اللغات في منطقة الشرق الأدنى ، والتي تدل قرابتها على أن هناك لغة "أشتقت منها كل هذه اللغات ، باللغات السامية ، وهي تسمية اصطلاحية ، فلا توجد أمة تسمى بالسامية وقد اعتمد العلماء في هذه التسمية على ما جاء في سفر التكوين من أن أولاد نوح هم سام وحام وياث .

(٢) البابليون والاشوريون ويعرفون بالاكديين لم تعرف لغتهم إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين تمكن العلماء من قراءة ما وجد من نقوش في العراق . والاكديون من الشعوب السامية التي تركت الجزيرة العربية واستقرت بالعراق ، وكانت حركتهم هي الحركة الأولى لتجولات العصر السامي . . بدأت في الألف الرابع قبل الميلاد ووصلت إلى الألف الثاني ثم استقرت في العراق . وكان سكان العراق قبل دخول الساميين من الشوميريين الذين استقروا في العراق منذ الألف الخامس قبل الميلاد ولا يعرف من أين جاءوا .

في حوالي سنة ٣٠٠٠ ق . م قامت في العراق مملكة أكّد السامية وكان أهم ملوكها سرجون الأول ، واتسعت مملكته بفضل فتوحه حتى شملت العراق والجزيرة والشام . . وكانت مملكته أول مملكة شرقية عرفت في الشرق الأدنى . ويظهر أن مدينة بابل لم تؤسس إلا حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . وكان مؤسسها أو من أوائل ملوكها من عرف في النقوش البابلية باسم حورابي . . وكانت دولته من أظهر ما عرفناه من الحضارة العراقية السامية ومن ابتداء الألف الثاني قبل الميلاد ، جاءت أمم غير سامية من الشرق - وهم الكشي - وخربوا بابل ، وكان ذلك سبباً في انحطاط الحضارة السامية البابلية في العراق وفي المنطقة التي تسمى ما وراء النهر ، في الموصل ونيوى مملكة الاشوريين . وفي نفس الوقت الذي انحطت فيه الحضارة البابلية ابتدأت حضارة سامية اشورية . فالفرق بين البابليين والاشوريين فرق جغرافي أولاً ، فقد كان البابليون في الجنوب والاشوريون في الشمال . وفي أثناء الألف الثاني قبل الميلاد ، انتشر الاشوريون في العراق كله وإلى الغرب في الشام ، ثم اتصلوا بالمصريين وحاربوهم . وكانت فلسطين هي الميدان الذي تدور فيه الحرب بين المصريين والاشوريين . وكان للاشوريين شأن كبير في الشام وآسيا الصغرى والبلاد الغربية من الألف الأول قبل الميلاد إلى انقراض الدولة في القرن السابع قبل الميلاد . وأعقبها ما نسميه بالدولة البابلية الحديثة مدة قرن واحد ، ثم تلتها دولة الفرس التي نسميها بالكيانية . وفي أثناء القرن الرابع قبل الميلاد فتح الاسكندر الشرق الأدنى ، وانهى بذلك تاريخ العراق السامي . .

أما اللغة الاكدية التي كتبت بالخط الاسفيني والذي أخذته من الخط الاسفيني الشوميري ، فقد اختفت لهجاتها . . فالنقوش التي كتبت قبل حورابي تغاير لغتها ما كتب بعده ، واللغة البابلية تخالف الاشورية في بعض خصائصها . ونرى أن الاشوريين استعمروا آسيا الصغرى =

## الأول - الآرامية : وفرعاها السريانية والكلدانية<sup>(١)</sup> . فالآرامية هي

في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد ، وكانت مستعمراتهم التجارية في الشام وآسيا الصغرى ، وقد وجدنا لغة النقوش التي عثر عليها في تلك الجهات تحالف في خصائصها اللغوية ما وجدناه لدى البابليين أيام حمورابي .

وكانت الآشورية حين امتدت الدولة في الألف الثاني قبل الميلاد في الشرق الأدنى لغة ثقافة ولغة دبلوماسية ، فقد وصلتنا مكاتبات بين أمراء الشام حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م وبين جميع ملوك الشرق الأدنى ، وقد عثر على ٢٥٠ خطاب في مصر في تل العمارنة . كل ذلك باللغة الآشورية والخط الآسفيني ، وكان من أثر انتشار الثقافة الآشورية والخط الآسفيني في الشرق والغرب ، أي من العراق إلى آسيا الصغرى ، أن كتب الحيثيون - ولغتهم هندية أوروبية - وكذلك الفينيقيون في الشام ، بالآشورية .

هذا وقد وصلنا الكثير من النصوص الأدبية ، فقد كانت المعابد والهياكل مركز التدوين ومهد الحضارة ، وكان أكثر الكتاب من الكهنة . والحضارة البابلية قبل كل شيء حضارة تشريعية تظهر في القوانين التي سنّها حمورابي سنة ٢٠٠٠ ق . م وقد وصلنا الكثير من العقود التجارية والمسائل الاقتصادية والمعاملات مما ساعدنا على معرفة نظام العراق الاقتصادي قديماً ، وهو يبين لنا صلة الوضع الاقتصادي الآن في العراق بالوضع القديم .

أما النصوص في الأدب والدين ، فقد وصلنا كثير من المزامير الدينية ، ثم ملاحم عرفنا منها ملحمة « جيلجمش » نرى فيها كيف حاول هذا الملك أن يحصل على الحياة الأبدية ، وفشله في ذلك . وقد جاء في فصل منها قصة الفيضان الكبير ( الطوفان ) وهي تشبه إلى حد كبير قصة الطوفان التي وردت في التوراة . وهناك ملحمة أخرى تصور تكوين العالم الذي أبدعه الإله وكيف أن اله بابل « مردوك » حارب الهة البحار « تيامة » فقتلها وخلق من جسدها العالم . وملحمة ثالثة « لعشر » وغير ذلك من الملاحم . ووجدنا عند البابليين آثاراً أخرى تدل على عنايتهم بعلم النجوم والعرافة والسحر ، وقد تبين أن الكثير مما عند أمم الشرق والغرب منه يرجع إلى البابليين .

(١) اللغة الآرامية : هي لغة الآراميين - وهم ثالث فرع نبت في شجرة الأمم السامية - أي الحركة الثالثة من تحولات العنصر السامي ، وكان خروجهم من جزيرة العرب حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م . كان أول ذكر لهم في نصوص آسفينية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهم يذكرون فيها على أنهم منتشرون في الصحراء الواقعة غربي ما بين النهرين ، وإهم كانوا في أول أمرهم قبائل رحلاً يتنقلون في البادية - كالعبريين وسائر الأمم السامية - بين نجد في الجنوب ، وحدود الشام في الشمال ، ونهر الفرات في الشرق ، وخليج العقبة في الغرب . وكانت ظروف الصحراء تضطرهم إلى الالتجاء إلى الحضر في بعض الأحيان فيدخلونه مغيرين ، وقد استطاعوا في إحدى غاراتهم أن يكونوا إمارة بين بابل والخليج الفارسي عرفت باسم كلد ، ومنها أشتق اسم الكلدانيين . وبعد سقوط دولة الميتني حوالي سنة ١٣٠٠ ق . م =

## لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا بابل وآشور بالأحرف

= دخل الاراميون ما بين النهرين ، وعرفوا باسم « آرام نهرين » أي آرام النهرين ، وكان تغلغلهم في هذه الارحاء قد سبق سقوط دولة الميتني . وترجع هجرة قبيلة ابراهيم الخليل - من «أور» في بلاد الكلدانيين إلى حران - إلى واحدة من هذه الهجرات .

أما في غربي الفرات فقد أغار الاراميون على الشام وتوغلوا فيها في الوقت الذي كان الصراع فيه قائماً بين الدويلات الكنعانية ، وتمكنوا من الوصول إلى شمال الشام وكونوا دويلات عدة ارامية صغيرة بين حلب وجبال طوروس ، ومنها امارة سمأل بين انطاكية ومرعش ، ومكانها الآن بلدة زنجري وفي أواخر القرن العاشر قبل الميلاد استولى الاراميون على دمشق وأسسوا فيها مملكة كان لها دور مهم في تاريخ ذلك الحين ، وبخاصة في محاربة الفينيقيين والاسرائيليين والتغلب عليهم ، وكذلك لعبت دوراً مهماً في شؤون التجارة . وحملت قوافل الاراميين التجارة بين المراكز المختلفة مثل دمشق وحماه وحلب إلى بلاد نهر الفرات .

وكانت تدمر في عصور متأخرة مركزاً من هذه المراكز . وتدمر واحة في صحراء الشام بين دمشق ونهر الفرات كانت محطاً كبيراً للقوافل ، واكتسبت لذلك مركزاً تجارياً ممتازاً ، وبخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد وسنة ٣٧٣ ميلادية ، حين خربها أوريلوس . وقد عثرنا على عدد من النقوش التدمرية - وهي لهجة ارامية - تصور لنا حضارة الأقسام الذين استوطنوا هذه الجهة . وقد وجدت أكثر هذه النقوش في مدينة تدمر ، ووجد الباقي في الطيب بالقرب من تدمر ، وكذلك في افريقية وروما والمجر ورومانيا وانجلترا وكان أهالي تدمر بدوا من أشرف الاراميين . والغالب أن النقوش التي وجدت في افريقية وفي البلاد الأوروبية هي من كتابة التجار والجنود التدمريين وأكثرها من كتابات القبور والتشريف وهي مكتوبة بلغتين : أما اللاتينية والتدمرية وهي الأكثر ، وأما اليونانية والتدمرية ، ولكنها كانت تشتمل في أكثر الأحيان على اسم الصانع الذي قام بعمل النقش .

وكانت قوافل الاراميين تلتقي في شمال العرب بالمعنيين والسبئيين سكان اليمن ، وكذلك باللحيانيين والشموديين من سكان شمال بلاد العرب . وكانوا ينقلون ما تحمله قوافلهم من أفوايه وحجارة كريمة إلى المراكز التجارية في الشمال . وأكثر هؤلاء الاراميين شهرة هم النبط . ومملكة النبط عرفت منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وازدهرت فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد ، وكانت عاصمة دولتهم في وادي موسى بالقرب من معان ، ولكننا لا نعرف بالضبط الاسم الذي كان يطلقه النبط عليها لأنه لم يرد في كتاباتهم ، وكان اليونان والرومان يطلقون عليها اسم « بتر » أي الصخرة وهي ترجمة اسمها « سلع » . وكانت قصتهم الجنوبية الحجر وتعرف الآن باسم مدائن صالح . وكان نبط البتراء وبصرى هم الصلة بين بلاد العرب والغرب ، وكان منهم أحد أباطرة الرومان وهو فيليب العربي ( ٢٤٤ - ٢٤٩ م ) وكانت للنبط مملكة قوية يمشاها اليهود وبقية أمم الشام حتى أهل روما ، =

## الاسفينية والانبارية . والكلدانية هي هذه بعد أن لعبت بها أيدي الزمن

= وكان ملك النبط يملك على دمشق فترة من الزمن ، ولكنه لم يتخذها قسبة له لبعدها عن مركز المملكة .

ولما كان أهل روما يحشون أن يزداد فيها نفوذ أحد غيرهم ، وخافوا أن يسطر النبط سلطانهم على المشرق كله ، أرسل امبراطور روما جيشاً لمحاربتهم أمر عليه كورنيليوس بلما ، فخرّب مملكة النبط سنة ١٠٦ ميلادية ( تعرف بخراب بصرى ولا تزال نقول في تعبيرنا خطأ بعد خراب بصرى ) . وقد وجدت نقوش نبطية - وهي لهجة ارامية - في البتراء وبصرى وتيساء والحجر ، وفي شرق الاردن ودمشق وصيدا وبعض أماكن من جبل الدروز . وكذلك وجدت نقوش منها في إيطاليا . وأغلب هذه النقوش عثر عليه في المقابر ، ومنها ما نقش بالدقة فوق أبواب المقابر المبنية ، ومنها ما خربش على الرخام . أما المنقوشة فقد وجد أكثرها في مدائن صالح وبعضها في وادي موسى وفي بلاد حوران . وأما الكتابات المخربشة فقد وجدت كلها في بلاد حوران . وكذلك وجدت كتابات نبطية في أودية شبه جزيرة سيناء وبخاصة في وادي المكتب ، وهي آخر كتابات وصلتنا نقشت بخط نبطي ولغة نبطية .

ولما كان الاراميون على صلة وثيقة بالفينيقين ، وكانت قوافلهم تنقل من صور وصيدا إلى الداخل ما كان يجلبه البحارة من الفينيقين ، فقد أخذوا عن الفينيقين الابجدية . . ولذلك نلمس اختلافاً بسيطاً بين الابجدية الارامية الاولى وبين الابجدية الفينيقية . وأقدم ما عثرنا عليه إلى الآن من نقوش ارامية ، ما وصلنا من خفائر زنجري بالقرب من انطاكية ، وهي نقوش ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد .

وقد انتشرت اللغة الارامية والخط الارامي في بلاد الشرق الأدنى منذ القرن الثامن الميلادي . ويعزى سبب انتشار اللغة الارامية إلى التجارة . فقد كانت في أيدي الاراميين ، وكانت قوافلهم تحمل البضائع بين بلاد الشرق الأدنى ، وكذلك كانت الابجدية باعثاً على انتشار الخط الارامي . وكان الكتب من البابليين والاشوريين ، لما لم يسعفهم الخط الاسفيني المعقد ، استعانوا بالخط الابجدي الارامي لتفسير الخط الاسفيني .

ولما استولى البابليون على مملكة دمشق في القرن الثامن قبل الميلاد نقلوا إلى بلادهم عدداً كبيراً من مهرة الاراميين للاستعانة بهم ، وقد عبّر القدماء عن ذلك بعبارة « السبي البابلي » . واستقر الاراميون في مدينة بابل ونشروا لغتهم حتى غلبت على اللغة الاشورية والبابلية ، وتخلد النقوش الاسفينية من عهد سرجون ( ٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م ) عدداً من الاسماء الارامية كان أصحابها يجتفون التجارة في مملكة اشور وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق . م أصبحت بلاد اشور ارامية . وكان من الشائع في بابل أن تكتب العقود باللغتين البابلية والارامية . وكذلك تمكنت اللغة الارامية أن تحل محل العبرية حتى في فلسطين وذلك منذ القرن الثامن قبل الميلاد .

وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد تم للفرس الاستيلاء على البلدة وسقطت في أيديهم مدينة =

فغيرت بعض ألفاظها . وقد كتب بها بعض أسفار العهد القديم كسفر

= بابل سنة ٥٣٨ ق . م في عهد الاسرة الكلدانية وكانت اللغة الارامية شائعة في الشرق كله حتى بين طبقة الحاكمين من الفرس ، فاستخدموها لغة للتفاهم بين أجزاء الامبراطورية ، وأصبحت بذلك لغة الادارة والمكاتبات الرسمية . ويقوم النزاع بين الفرس والروم ، وتكون بلاد الاراميين مسرحاً له ، فهي حيناً في أيدي الفرس ، وحيناً في أيدي الروم ، وتخرب الحرب بلادهم ، ويتأثرون بحضارة الفرس والروم وثقافتهم ، ويصبحون ورثة الحضارات الاشورية والبابلية والفينيقية والفارسية واليونانية وكانوا يتأثرون خطي هذه الحضارات ، ويضفون عليها نوعاً من التطور . أما لغتهم فأنها كانت تفرض نفسها على سائر اللغات فأبادت الاكدية والكنعانية . وكانت قوتها كامة في بساطة أبجديتها وسهولة نحوها وصرفها ، ولذلك فقد كانت الارامية لغة الأقوام العاملين النشطين الرحل الذين اشتغلوا بالتجارة والذين كانوا موظفين أكفاء ، أعانوا الفرس على إعادة امبراطوريتهم . ولم تكن الارامية لغة الامبراطورية الفارسية الرسمية فحسب ، وإنما كانت لغة دولية . نعلم ذلك من الكتاب المقدس أيضاً . فقد جاء في سفر الملوك الثاني ١٨ : ٢٦ وأشعيا ٣٦ : ١١ أنه في سنة ٧٠١ ق . م لما حاصر سنحاريب بيت المقدس في عهد حزقيا كان الشعب يتكلم الارامية وكانت إرستقراطية اليهود تعرف الارامية ، وكان موظفو سنحاريب يعرفونها أيضاً .

وقد تبع انتشار الارامية واتصال أصحابها بغيرهم من الأقوام إن تولدت منها لهجات عدة يمكن أن نميز بينها تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والدين والحضارة :

١ - الارامية القديمة : وهي لهجة زنجري ، والارامية التي استخدمها الفرس في دواوينهم والتي يسميها العلماء الآن بالارامية الدولية ، وارامية أوراق البردى التي وجدت في مصر ، وارامية الكتاب المقدس ( عزرا ودانيال ) ونستطيع بعد ذلك أن نقسم اللهجات الارامية إلى شرقية وغربية .

٢ - الارامية الشرقية : لهجة الرها الارامية وكان موطنها ما بين النهرين وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية ، ولهجة ارامية يهودية بابلية هي لهجة التلمود البابلي كان موطنها شمالي العراق ، ولهجة الصابئة الارامية وهي اللهجة المندعية وموطنها جنوبي العراق . ولهجة الرها ( السريانية ) هي اللهجة الارامية التي كان موطنها ما بين النهرين في الاقليم الذي كانت عاصمته مدينة الرها . وكانت تحكمها في العهد السابق لظهور المسيحية أسرة عربية ، يدل على ذلك أسماء ملوكها ، أبجر ومعن ووائل ، فلما ظهرت المسيحية وانتشرت في هذا الاقليم ، واتخذت لغته لغة أدبية لها ، كره أصحابه أن يطلق عليهم اسم الاراميين وبالتالي على لغتهم اسم اللغة الارامية ، ورأوا في هذه التسمية مرادفاً للوثنية والاحاد ، فعدلوا عنه إلى الاسم الذي أطلقه عليهم اليونان وهو « السريان » وسموا لغتهم « السريانية » .

وليس من شك في أن السريانية قد أفادت كثيراً من اتخاذ المسيحية لها لغة أدبية فانتشرت فيما بين النهرين ، ثم اتجهت في طويقها ناحية الشرق ، وكان تسربها إلى الغرب ضئيلاً جداً : =



دانيال وغيره ، وقد دعيت هناك بالارامية تساهلاً - على ما أرى - لأن بينها

ذلك أن اللغة اليونانية كانت منتشرة في الغرب ، وكانت انطاكية معقلاً لها . ولم تتمكن اللغة السريانية من الانتشار في فلسطين لأن النزاعات الدينية والسياسية التي كانت قائمة بين سكانها وسكان بلاد ما بين النهرين قد حفزت الفلسطينيين المسيحين إلى النهوض بلهجتهم وجعلها لغة أدبية . أما في الشرق فلم يكن هناك ما يمنع من انتشار اللغة السريانية فقد كانت لغة الكنيسة المسيحية في الشرق تتبعها أينما حلت ، كانت لغة المسيحية في فارس وحملها المبشرون من النساطرة معهم إلى بلاد التركستان والهند حتى بلاد الصين . وكانت اللغة السريانية لغة المسيحيين في المملكة الساسانية ، وبها درس الطب والعلوم الطبيعية في مدرسة جنديسابور وغيرها من مدارس السريان في البلاد الفارسية .

وقد دون السريان كتبهم بعدة أنواع من الخطوط ، وكان اقدمها مدوناً بالخط الاسطرنجيلي ، فلما انقسم السريان إلى نساطرة ويعاقبة وملكية ابتدع كل فريق منهم لنفسه خطاً ، ومع ذلك فقد ظل الخط القديم مستخدماً وصارت المؤلفات تكتب بالخطوط الأربعة .

واللهجة الارامية اليهودية البابلية : كان يستخدمها يهود العراق الساكنون في بابل وما حوّلها في كتب الدين بين القرنين الثاني والسابع الميلادي أي إلى أيام الفتح الاسلامي . وقد بقي لنا منها التلمود البابلي ، وشرح الكتاب المقدس الذي ألف في مدارس اليهود في بابل فيما بين القرنين الرابع والسادس الميلادي ويعرف باسم « الجمارا » . وقد تأثرت كثيرها من اللهجات الارامية اليهودية باللغة العربية .

لهجة الصابئة الارامية ( المندعية ) : واسم المندعية مشتق من الكلمة الارامية « م د ع ا » ومعناها المعرفة ، ويسمى اصحابها بالصابئين أو المندعيين . وهم طائفة من القبائل الارامية كانت تسكن منطقة نهر الاردن ، ثم هاجرت منها إلى العراق ، وكان أهل حران منهم يسمون انفسهم ناصوريين ، وهم فرقة دينية من العارفين بالله ، خلطوا في تعاليمهم بين مذاهب اليهود والنصارى ووثنية البابليين واثينية الفرس ، وأدخلوا عليها أخيراً بعض تعاليم الاسلام . وهم يدعون أنهم على مذهب يحيى بن زكريا « يوحنا المعمدان » ، ولذلك كانوا يغتسلون في الاردن كما كان يحيى يغتسل في الاردن ، فلما هاجروا إلى العراق أخذوا يسمون كل نهر وكل ماء نهر الاردن . وهم يزعمون أيضاً أنهم أهل المعرفة من النصارى ، وأن عندهم معرفة خاصة عن الاشياء الدينية والروحانية ، ولكنهم في الواقع لم يكونوا نصارى بل كانوا يعترضون على النصارى واليهود ، فحاربهم الكنيسة ، كما حاربهم اليهود . وكتبهم الباقية كلها دينية وعددها قليل وأهمها كتاب « الكنز الكبير » . وفيه أجزاء اخذت من اليهودية والنصرانية والاسلام ، ومن قول أهل المعرفة ويظهر من هذا أنهم بدعوا بجمع رواياتهم وطقوسهم الدينية بعد فتح المسلمين للعراق لكي يعدوا أنفسهم من أهل الكتاب . وقد ضاعت كل كتبهم التي ترجع إلى ما قبل الاسلام . أما العصر الذي ألف فيه ما تبقى من كتبهم فغير معروف على التحديد . ولغة المندعية منزلة خاصة بين اللغات الارامية فهي =

وبين الارامية الأصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنى . ولغة آشور أبعد عن هذه

= اللهجة الوحيدة التي لم تتأثر بمؤثرات خارجية شتى .

ولا يزال للمندعين بقية باقية حتى اليوم ويعرفون باسم الصبا ويسكنون بطائح البصرة ، ويقوم بعضهم في بغداد ويعمل أكثرهم في نقش الفضة بالصور والرسوم ، وهم متمسكون بدينهم ويتكلمون العربية والفارسية .

٣ - الارامية الغربية : تضم دولتين لسانها آرامي وهما تدمر والنبط وقد وصلت إلينا لغتهما عن طريق النقوش فقط ، وثلاث لهجات أدبية وهي اليهودية الغربية المقدسية والجليلية ، والسامرية ، والملكية أو الارامية الفلسطينية المسيحية .

واليهودية المقدسية والجليلية كانت تتكلمها العامة في فلسطين حين نسيت العبرية في زمان المسيح واتخذت لهجة ارامية غربية ، وكان المسيح يحدث تلاميذه ويخاطب العامة بهذه اللهجة مع أننا نعرف من الانجيل أنه كان يعرف العبرية . ولم يكن الكتاب المقدس قد ترجم إلى هذه اللهجة في أول الأمر فكان الاحبار يقرأون التوراة في الصلاة بالعبرية فإذا أعوه قراءة فصل قاموا بترجمته إلى الارامية على السامعين حتى أصبحت هذه الترجمة قسماً من الصلاة عند اليهود ، ثم قاموا بكتابة هذه التراجم مع بعض الشروح وانتهوا من جمعها وتصحيحها في القرن الرابع الميلادي وتعرف عندهم باسم « ترجموم » . وكذلك كتب بهذه اللهجة المدراسم والتلمود الفلسطيني أو المقدسي . وتحتوي هذه الكتب على شرائع اليهود ونبذ عن احبارهم المشهورين . والسامرية لهجة أهل السامرة ، وهم طائفة قديمة من اليهود ، استخدموا لهجة ارامية وترجموا إليها التوراة وألفوا فيها طقوساً وأشعاراً وأدعية خاصة بالصلاة . وقد تنازع السامريون مع اليهود وبأهى كل منها صاحبه بأنه على دين بني اسرائيل الصحيح ، ولم يقبل السامريون من الكتاب المقدس إلا اسفار موسى الخمسة وكانت عندهم بالخط العبري القديم ، ولم يقبلوا الخط المربع الذي استحدثه اليهود بعد الجلاء ، فلما دخلت الارامية فلسطين ترجم السامريون إليها أسفار موسى الخمسة .

وكانوا يسمون لهجتهم بالسامرية وهي قريبة الشبه من اللهجة اليهودية الفلسطينية . وقد ضاعت بعد الفتح العربي ، وتعلمت العامة اللغة العربية ولكنهم استمروا في كتابة كتبهم الدينية بلهجتهم هذه بعد أن أصبحت لهجة صناعية مختلطة بكلمات سريانية وعربية . ومنذ ذلك الحين ضعف السامريون وتناقص عددهم تدريجياً ، وهم اليوم قليلون جداً في نابلس ونواحيها . .

واللهجة الملكية أو الارامية الفلسطينية المسيحية ، ظهرت لما انقسم النصارى إلى نسطرة ويعاقبة وملكية ، وكان الملكية يخالفون أكثر النصارى الاراميين ، ولهذا السبب عدلوا عن كتابة لهجتهم بالخط السرياني واستبدلوا به خطأ هو إلى حد ما مزيج من الخطوط السريانية جميعها . وكان من أهل فلسطين ملكية وكانوا يستخدمون الترجمة السريانية للكتاب المقدس في كنائسهم مع بعد اللغة السريانية عن لغة العامة . ولهذا ترجموا الكتاب المقدس إلى =

من لغة بابل . أما ما يُدعى بين السريانيين في هذه الأيام باللغة الكلدانية ليس إلا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية هي الكلدانية المشار إليها مع تغيير في ألفاظها ودلالاتها تبعاً لما اقتضته الأحوال ، فكأن اللغة البابلية القديمة دُعيت في أول أمرها ارامية ثم تغيرت قليلاً فدُعيت كلدانية ، ثم وقع فيها تغيير آخر فدُعيت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها ، فحسبت لغتين : سريانية غربية وسريانية شرقية ، وقد حفظت اللغة الارامية الأصلية بعض التواريخ القديمة منقوشة على بقايا بابل وآشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي تُرجم إليها في الجيل الثاني بعد المسيح ، وتعرف هذه الترجمة بالترجمة البسيطة .

الثاني - العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الإشارة ويكون الناطقين بها هم أوضح الأمم منشأ . واللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً ، بل خالطها بعض الألفاظ الارامية أو الكلدانية أثناء أسرهم عند البابليين . ومحور جميع ما ألف في

---

= لهجتهم وكانت ترجمتهم حرفية دقيقة لم يراعوا فيها المعاني ولا ترتيب الكلمات في الجملة على قواعد اللغة الأرامية . ولم يبق لنا من كتبهم إلا القليل ، وكان املاؤهم غير واضح وغير مشكل بحيث يمكن الاختلاف في نطق كلماته ، وهذا هو السبب في أن اللهجة لم تلق عناية كافية . وقد ظل اصحابها يتكلمون بها في فلسطين حتى انقرضت بعد الفتح العربي .

٤ - الارامية الحديثة : وبنهاية القرن الثالث عشر انقرض استخدام اللغة السريانية تقريباً ولم يبق منها اليوم إلا بقايا في بعض نواحي العراق الشمالية ، في عدد من البلدان فيما بين بحيرة أورميا وبحيرة فان ، حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة ويسمونهم بالاشوريين . وفي شمال الموصل حيث يوجد بعض الاف من اليهود يعيشون على فلاحة الأرض . وفي طور عابدين وهي نواح جبلية في البلاد الفارسية حيث يقيم بعض البعاقبة . كذلك في ثلاث من مدن سوريا منعزلة بعضها عن بعض : الأولى مسيحية وهي معلولة ، والثانيتان سكانها من المسلمين وهما جبعدين وبخعة .

هذه اللغة إنما هو العهد القديم ، ويتفرغ عنها الفينيقيّة والقرطاجيّة كلتاهما  
مائتان(١) .

(١) العبرانية فرع من الكنعانية . والكنعانيون تحركوا من الجزيرة العربية نحو الشام وسواحل  
البحر الأبيض . والموجة الكنعانية هي الموجة الثانية من تجولات الأمم السامية . بدأت حوالي  
سنة الفين قبل الميلاد . توغل الكنعانيون في الشام وأسسوا فيها مدناً تجارية منها صور وصيدا  
وجبيل وبيروت ، ثم أسس بحارتهم مستعمرات في افريقية وآسيا الصغرى والاندلس والهند .  
وأسسوا مثل مرسيليا وقرطاجنة تدل على أنها مؤسسات كنعانية قديمة .

واخترع الكنعانيون الخط الابجدي وعنه انتشر في العالم ومن أقدم النصوص التي وصلت  
إلينا ومن أحدثها كشفاً ، نصوص رأس شمرا في شمال اللاذقية وكان يطلق عليها قديماً اسم  
«أوجريت» وأكثر هذه النصوص شعرية ، تصف رحلات الكنعانيين ومعيشتهم في تلك  
البلاد وفيها ملاحم وحكم . وهذه اللغة مكتوبة بأبجدية أسفينية مشتقة من الخط الاسفيني .

ومن أقدم النصوص التي وصلتنا بالكنعانية كلمات كنعانية كتبت بالخط الاسفيني في المكاتبات  
التي دارت بين أمراء الشام وملك مصر والتي عثر عليها في تل العمارنة مكتوبة بالبابلية وترجع  
إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وقد أضاف الكاتب هذه الكلمات الكنعانية ليوضح  
المعنى المطلوب . ومنذ سنة ألف قبل الميلاد وصلتنا نقوش مكتوبة بالخط الكنعاني .

وكان اليونان يسمون أهل السواحل من الكنعانيين بالفينيقيين . فالفينيقيون هم الشعوب  
الكنعانية التي عاشت على سواحل الشام منذ سنة ألف تقريباً . .

ومن الأمم التي تتكلم لغة شبيهة باللغة الكنعانية أمة أو قبائل المؤابيين ، استقرت هذه القبائل  
حوالي سنة ألف قبل الميلاد وأسست لها مملكة في شرق الاردن ، ونحن لا نعرف كثيراً عنها إلا  
أنها ذكرت في التوراة . وكشف في أواخر القرن الماضي نقش كبير كتب بحروف كنعانية ولهجة  
مؤابية دوت في الحروب بين ملكهم ميشع وبين بني اسرائيل وقد وصف العهد القديم تلك  
الحروب ولكن يذكر سفر الملوك أن العبريين انتصروا على المؤابيين ويذكر هذا النقش عكس  
ذلك .

وأهم فروع اللغة الكنعانية هي العبرية لغة القبائل التي انفصلت عن سائر الكنعانية وتحوّلت  
في صحاري الشام والعراق واستقرت آخر الأمر في فلسطين . وقد ترك أصحاب ابراهيم  
الخاليل حران وجاءوا فلسطين حوالي سنة ١٦٠٠ ق . م ثم تركت تلك القبائل فلسطين ،  
واستقرت زمناً في مصر ثم جرى لها ما جرى في مصر حتى ظهر موسى في القرن الثالث عشر  
قبل الميلاد ، فخرجوا من مصر وفتحوا فلسطين وتغلبوا على سكانها الاصليين وتغلبت لغتهم  
على لغة أهل فلسطين وأصبحت اللغة العبرية منتشرة في فلسطين منذ القرن الحادي عشر قبل  
الميلاد تقريباً . ولا نعرف من العبرية القديمة آثاراً إلا ما جاء في العهد القديم وما وصل إلينا  
من النقوش العبرية القديمة في فلسطين . ولا ترجع لغة العهد القديم إلى عصر واحد بل قد =

الثالث - العربية : وهي أسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لاتقان أخواتها . وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب ، فلما ظهر الاسلام أخذت في الانتشار إلى أن ملأت الخافقين بسبب الفتوح الاسلامية المشهورة ، فامتدت من الشرق إلى الغرب بين أواسط الهند وبوغاز جبل طارق ومن الشمال إلى الجنوب بين البحر الأسود وبحر العرب . وبالجمله يقال أنها عمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين . والحروف العربية

= ضم العهد القديم مجموعة من الاسفار ألقت فيها بين القرنين الحادي عشر قبل الميلاد والثاني قبله . وقد عني النقد الحديث بالفرقة بين جميع الآثار اللغوية لمعرفة القديم منها والحديث . ولعل أقدم نصوص العهد القديم الاسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى وقصيدة الشاعرة ديورا وقد أنشدتها في حروب العبريين مع الكنعانيين أثناء فتحهم البلاد ، وهي كثيرة الشبه بالشعر العربي . وظهر في بني اسرائيل منذ القرن الثامن قبل الميلاد أنبياء منذرين الأمة ومرشدين لها في شؤونها الدينية والسياسية والاجتماعية وقد وصل إلينا في العهد القديم كثير مما أوحى به هؤلاء الانبياء .

وفتح الاشوريون في القرن السابع قبل الميلاد المملكة الاسرائيلية الشمالية وهدم البابليون في القرن السادس قبل الميلاد المملكة الاسرائيلية الجنوبية وفيها عاصمتهم اورشليم وأجلوا سكانها إلى بابل . وكان العراق في ذلك الوقت مجالاً للهجات الارامية وأخذت الارامية تنتشر في شمال الشام وجنوبه ، وتأثرت اللغة العبرية منذ القرن السادس قبل الميلاد بالارامية وأخذ اليهود في بابل يتكلمون الارامية واضطر علماءهم إلى ترجمة التوراة إلى الارامية وأصبحت العبرية منذ ذلك العصر لغة العلماء والارامية لغة العامة .

ثم جاء العصر الاسلامي فدخل تجديد على اللغة العبرية في نحوها وأدبها ، ذلك أن العبريين قلدوا المسلمين وتبينوا أن العبرية أخت للعربية ، واجتهدوا أن يطبقوا قواعد العربية على العبرية وأسسوا بذلك النحو العبري وذلك في القرن الرابع الهجري حين كان النحو العربي قد كمل . وبدأ علماء اليهود في البلاد الاسلامية يستخدمون العبرية مرة أخرى في كتاباتهم . . فترى مثلاً موسى بن ميمون يؤلف كتبه الفلسفية باللغة العربية ولكنه يؤلف كتبه الدينية التي يتوجه بها إلى اليهود بالعبرية . وكذلك نجدا بن جبيرول الاندلسي يؤلف كتابه في الفلسفة « ينوع الحياة » بالعربية وينظم أشعاره بالعبرية . ويؤلف يهوذا هلاوي كتبه الفلسفية بالعبرية وديوانه بالعبرية . وكان أكثر هؤلاء المؤلفين من الاندلس أو من مصر . وتأثر الادب العبري بالادب العربي ونظمو قصائدهم على الوزن العربي . هذا شأن العبرية في العصر الوسيط . أما في العصر الحاضر فقد أصبحت اللغة العبرية بعيدة عن الاصل بما دخل عليها من تراكيب أجنبية وألفاظ أعجمية ومولدة .

المستعملة عند الأعاجم منهم ، كالترك والفرس والهنود وغيرهم ، من جملة الآثار الشاهدة على ذلك . ويتفرع من العربية لغة الحبشة وفروع أخرى تُعد مائة . ولا يخفى أن لغتنا ، لولا القرآن لتعددت فروعها قياساً على سواها<sup>(١)</sup> .

أما أصل كلمة « عرب » ففيه أقوال منها أنها « عبر » بعد القلب<sup>(٢)</sup> ، وقال آخرون بل هي مأخوذة من « عَرَب » أي فصح اعتماداً على أن العربية من أفصح اللغات وزعماً من سلفائنا بأن الذين لا يتكلمون بها عجم . وقد ذهب بعضهم إلى أنها مأخوذة من لفظة « يَعْرَب » التي هي اسم لأول من نطق بالعربية على ما يزعمون . ومن رأي أستاذنا المرحوم الدكتور فانديك من هذا القبيل قوله :

« بينما كان الساميون ساكنين في الأرض السهلة المخصبة حول رأس خليج العرب ، وفي ما سُمي بعد حين العراق العربي ، أتاهم قوم كوشيون عن طريق مهرا وحضرموت والحسا ، فطرد الكوشيون الساميين ، فنزح بعضهم نحو عيلام أي بلاد فارس ، وقوم صعدوا شمالاً على شطوط الفرات وهم التارحيون أسلاف إبراهيم ، وقوم ذهبوا غرباً نحو ما سُمي بعد حين جزيرة العرب ، وسموا عرباً من « عَرِب » بالعبرية أي أرض الظلام أو الغروب والعبرانيون لا يميزون بالصورة بين العين والغين ، ومن هذه اللفظة أيضاً أوروبا عروبا ( أوروبا ) . أنظر

---

(١) اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية الجنوبية . واللغات السامية الجنوبية تنقسم بدورها إلى شمالية وجنوبية . والشمالية هي الصفوية والثمودية واللحيانية والعربية الفصحى . والجنوبية لغات نقوش بلاد اليمن : المعينية والسبئية والحضرية والقتانية والالوسانية ، ثم لغات الحبشة : الجعز والامهرية والتيجري والتجربينا والمهرية والجراجوى .

(٢) الرأي الراجح عند العلماء الآن في أن العرب بمعنى الغرب اسم أطلقه سكان العراق من الساميين على قبائل الصحراء غربي العراق . وكما أطلق العرب على الاقليم الذي على شمالهم الشام والذي على يمينهم اليمن وكما نطلق في مصر على الوجهين البحري والقبلي .

مصنفات رولنسن وماكس مولر وقاموس فورست ، ومنهم من قال بل التسمية من « عرب » في العبرانية خلط ومزج لكونهم شعباً مخلوطاً ممزوجاً من نسل قحطان واسماعيل ومديان ومواب وعمون وعملاق ، وربما اختلطوا بالكوشيين في الجنوب . والله أعلم .

وأوضح صفات اللغات السامية أنها مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة في الاشتقاق ، أي لا يؤثر على أحرفها ، بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة . . مثاله في العربية ، « قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل ، فتغيير الحركات فيه تشتق عدة أفعال أو أسماء أو نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير ، فمنه « قَتَلَ » فعل ماض معلوم و « قُتِلَ » فعل ماض مجهول و « قَتْلٌ » مصدر و « قِتْلٌ » بمعنى العدو والمقاتل و « قَتْلٌ » جمع قتول . وقد تُمد إحدى هذه الحركات فيقال « قَاتِلٌ » و « قَاتِلٌ » و « قِتِيلٌ » و « قَتُولٌ » و « قِتَالٌ » و « قِتَالٌ » و « قَتَلِي » الخ . أما قابليتها للاشتقاق على طريق اللاحق فتشارك الطائفة الآرية فيها ، لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات ، وبأنها لا تقبل الأدوات الملحقة إذا كانت ذات معنى في نفسها .

على أن هذا التقسيم لا يدل بنفسه على وحدة أصل تلك اللغات دلالة صريحة ، نظراً لما طرأ عليها من التغيير بعد تفرعها ، ولكن الاستقراء والمقابلة يوضحان ذلك . . فإن لغات الطائفة السامية ترجع إلى ثلاثة أصول : الآرامية ، والعبرانية ، والعربية . وهذه لا شبهة بأنها ترجع كلها إلى أصل واحد يسميه علماء اللغات اللغة السامية ، ونظنه اللغة الآشورية أو البابلية . والطائفة الآرية ترجع إلى ثلاثة أصول أيضاً وهي اللغتان اللاتينية واليونانية واللغة السنسكريتية ( الهندية القديمة ) فمن اللاتينية تفرعت معظم لغات أوروبا ، ومن اليونانية تفرع بعض آخر ، وتفرع ما بقي من السنسكريتية . وترجع هذه اللغات الثلاث إلى أصل

واحد أو هي لغة واحدة مفقودة يسمونها اللغة الآرية<sup>(١)</sup>.

وتشترك هاتان الطائفتان - كما قدمنا - بقابلية ألفاظها للتصريف الحاقاً وإدراجاً ، وتشاركان اللغات غير المتصرفة بارتقائها ووجود الأدوات والاشتقاق فيها . وأما اللغات غير المرتقية ، فالبعد بينها وبين اللغات المرتقية أكثر من ذلك كثيراً ، على أن البحث والمقابلة يبينان القرابة بينها كلها ..

---

(١) اللغات السامية لا ترجع إلى ثلاثة أصول وإنما هي لغات مختلفة ترجع إلى أصل واحد يطلق عليه علماء اللغة « اللغة السامية الام » أو « اللغة السامية الاصلية » . واللغة الاشورية أو البابلية هي من اللغات السامية وليست هي أصل اللغات السامية .  
وفصيلة اللغات الآرية « الهندية الاوروبية » ثماني طوائف ترجع كلها إلى أصل واحد ولغة مشتركة واحدة .



# أَصْلُ اللُّغَاتِ

المراد بتقسيم اللغات على هذه الصورة ، إنما هو تقسيم الأمم التي تتكلم بها . . فالمراد بقولنا أنها تنقسم إلى الطورانية والآرية والسامية أن الأمم التي تتكلم اللغات الطورانية الآن ترجع إلى أصل واحد ، وأن الأمم التي تتكلم اللغات الآرية ترجع إلى أصل واحد ، وهكذا الطوائف الأخرى . . فالأمم التي تتكلم اللغات السامية ترجع إلى أصل واحد ، وهكذا الطوائف الأخرى . فالأمم التي تتكلم اللغات الآرية مثلاً بعضها في أوروبا وبعضها في الهند والفرس . فمهما تباعدت المسافة بينها واختلفت عوائدها وأخلاقها اليوم ، فلا ريب أنها كانت في أقدم أزمنة التاريخ أمة واحدة أو عائلة واحدة تعيش في بقعة واحدة ثم قضت الأحوال بتفرقها ، فانقسمت قسمين : قسماً جنوبياً وقسماً شمالياً ، فسكن الجنوبي أواسط آسيا والشمالى نزع إلى أوروبا ، ثم انقسم كل من هذين القسمين إلى أقسام بعد أزمان متفاوتة . وهكذا أيضاً اللغات السامية ، فقد كان أهلها في أول أزمانهم يقطنون ما بين النهرين وهم الآشوريون أو أجدادهم ، وكانوا يتكلمون لغة واحدة لعلها الآشورية . . ثم قضت الأحوال فهاجر بعضهم إما التماساً للرزق أو فراراً من الحرب إلى جزيرة العرب وأقاموا فيها ، وبتوالي الأزمان تنوعت لغتهم الأصلية تبعاً لناموس الارتقاء

فتولدت اللغة العربية والأمة العربية ، ثم هاجرت طائفة أخرى وأقامت في شمالي جزيرة العرب ، وتنوعت لغتها حتى صارت مستقلة وعرفت باللغة العبرانية ، ولعل ابراهيم الخليل أول المهاجرين . تلك الفروع وفي أثناء تنوعها كانت الأم الأصلية بين النهرين تنوع أيضاً ، لأنها كلها خاضعة لناموس واحد .

وقس على ذلك فروع كل من هذه اللغات ، فإن العبرانية بعد أن صارت مستقلة ، وأقدمها لغة فينيقية ، نزحت فئة من أهلها غرباً وأقاموا في قرطجنة فتنوعت لغتهم حتى استقلت وعرفت باللغة القرطجنية ، وهكذا يقال في سائر التفرعات . فاللغة القرطجنية أقرب بالفاظها وأنواع تركيبها إلى أختها الفينيقية مما إلى خالتها العربية أو إلى جدتها الأشورية ، ولكنها أقرب إلى هذه مما إلى اللغات الآرية على أنها أقرب إلى الآرية مما إلى الطورانية ، وهي أقرب إلى هذه مما إلى اللغات الصينية . . فالفرق يزيد كلما بعدت المسافة بين الأمة وزعم تفرعها عن أمها . .

ثم إذا اعتبرنا مراتب اللغة في نموها ، وقابلنا حال اللغات الحالية بها ، تتضح لنا كيفية تفرع اللغات وأزمنة تفرعها .

المشهور أن الانسان الأول نشأ على ضفاف الفرات ودجلة بين العراق وأرمينيا فنما وتكاثر ، ومن نسله تفرقت الأمم في الأرض . . ولكنها لم تتفرق دفعة واحدة . . بل كانت كلما ضاقت تلك البقعة عن القيام بمعاشهم هاجرت فئة منهم إلى جهة من الجهات . وقد ذكرت التوراة أكبر مهاجرة نشأ عنها تعدد اللغات سمتها حكاية تبلبل الألسنة ، وذكرت في مكان آخر تفرق الأمم في الأرض ، ولكنها لم تذكر إلا الأمم التي تشعبت من نسل نوح فقط بعد الطوفان ، وأغضت عن الأمم التي نشأت قبل زمن الطوفان . . فأين نسل قايين وفروعه ، وأين الأمم الأخرى التي كانت قبل الطوفان غير الذين كانوا بين النهرين وأغرقهم الطوفان ، فلا

ربب أن المدة بين وجود الانسان الأول والظوفان كانت طويلة نشأت في  
أنائها أمم كثيرة تشعبت وتفرعت وهاجرت فعمرت قسماً كبيراً من  
الأرض<sup>(١)</sup> .

فالظاهر أن المتكلمين باللغات غير المرتقية أقدم من نزح من بين  
النهرين كالصينيين والمصريين الأصليين ، فسارت فرقة شرقاً والأخرى  
غرباً . والتاريخ يساعدنا في تأييد ذلك لأن هاتين الأمّتين من أقدم أمم

---

(١) ذهب العلماء في الموطن الاصلي للساميين مذاهب شتى منها :

( أ ) كان الساميون والآريون يسكنون منطقة واحدة ويتكلمون لغة مشتركة واحدة وذهب  
بعض العلماء إلى أن هذا الموطن الأول يقع في منطقة أرمينيا على الحدود الفاصلة بين أرمينيا  
وكرديستان تقريباً . . .

( ب ) دعا التشابه بين اللغات السامية وبين اللغات الحامية بعض العلماء إلى البحث في  
الموطن الاصلي للساميين في شمال افريقيا .

( ج ) اعتمد بعض العلماء على ما ورد في نصوص الأساطير التي عثر عليها في رأس شمرا  
وذهبوا إلى أن الموطن الاصلي للساميين في شمال سوريا في بلاد الاموريين .

( د ) وذهب بعض العلماء إلى أن المهدي الاصلي للساميين يقع في ما بين النهرين أو على وجه  
التحقيق على المجرى الأوسط لنهر دجلة ومنهم من حدده في جنوبي نهر الفرات وقد اعتمدوا  
على أدلة جغرافية ونباتية وحيوانية وورود ألفاظ مشتركة في اللغات السامية لمسميات تنطبق على  
جغرافية وحيوان ونبات ما بين النهرين .

( هـ ) استدلل بعض العلماء على خصب بلاد العرب في عصور ما قبل التاريخ ووجود ثلاثة أنهر  
بها في ذلك العصر ، وذهبوا إلى أن الموطن الاصلي للساميين كان في شبه الجزيرة العربية .

هذا ما ذهب إليه العلماء في الموطن الاصلي للساميين في عصور ما قبل التاريخ ولكن مما لا  
شك فيه أن موطن الساميين في العصر التاريخي شبه الجزيرة العربية ، وأن الموجات السامية  
التي عرفناها في التاريخ خرجت من الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي أو الشمال الغربي أو  
الجنوب :

الاولى : الاكديّة بدأت من الالف الرابع قبل الميلاد نحو العراق .

الثانية : الكنعانية بدأت حوالي سنة ألفين قبل الميلاد نحو الشمال الغربي .

الثالثة : الارامية بدأت حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد نحو الشمال .

الرابعة : اليمينية والحيشية بدأت حوالي سنة ألف قبل الميلاد نحو الجنوب .

الخامسة : العربية بدأت في القرن السادس الميلادي نحو الشمال .

الأرض إن لم تكونا أقدمها كلها ولغاتها أبسط اللغات لأنها تفرعتا قبل زمن الطوفان ، واللغة لا تزال في أول أدوارها أي قبل تولد الأدوات وحصول التمييز بين الفعل والاسم والحرف . وربما كان الصينيون من نسل قايين والتوراة تصف نسل قايين بالمهارة في الصناعة والموسيقى ، والصينيون أقدم أرباب الصنائع على اختلاف أجناسها وأمهر الناس في اتقانها .

ونرى بين لفظي ( صين ) و ( قايين ) مشابهة حتى يصح القول أنها واحد لأن القاف والصاد كثيراً ما تتبادلان والحرف C في اللغات الافرنجية ينطق تارة قافا ( أو كافا ) وطوراً صاداً ( أو سينا ) ، ومثل ذلك اختلاف لفظ الجيم العربية من مصر والشام ولفظ الكاف بين بعض قبائل العرب ، فإن بعضهم يلفظها كافاً وبعضهم شيناً وبعضهم سيناً . وترى أيضاً مشابهة بين لفظ قايين واسم مصر ، فقد كان اسمها ( كيم ) أو ( كيمي ) والمبادلة بين الميم والنون مشهورة ولا عبرة بالحركات ، ولذلك بحث لا محل للكلام عليه وإنما يهمننا منه ان الأمم التي تتكلم اللغات غير المرتقية عمرت الأرض قبل زمن الطوفان . ثم هاجر أجداد الأمم التي تتكلم اللغات الطورانية فسكنوا شمالي آسيا ومنهم المغول والتتر وغيرهما . ثم نزح الآريون فأقاموا زمناً معاً ، ثم تفرقوا في جهات الهند وفارس وكردستان وأوروبا . ثم الساميون وما تفرع عنهم كما قدمنا . وكانت اللغة إذا انفصلت عن أمها أخذت تنمو بنفسها وأمها تنمو أيضاً ، وتسير كل منها تبعاً لأحوال المتكلمين بها وبيئاتهم فلا يمضي زمن حتى تبتعد كل منها عن الأخرى ، ولكن المقابلة والتدقيق يبينان ما بين هذه اللغات المتباعدة من المشابهة الدالة على وحدة أصلها . وتتفاوت هذه المشابهة بين اللغات بتفاوت أزمان انفصالها بعضها عن بعض ، فإن المشابهة بين ألفاظ العربية والعبرانية وطرق التعبير والاشتقاق فيهما ظاهرة جليلة . وهكذا بين اللغات الأوروبية المتفرعة عن اللاتينية ، لأن كلا من هذه اللغات تفرعت عن

أمرها بعد أن نمت فيها أنواع التعبير والاشتقاق ، فبقيت المشابهة ظاهرة فيها . وأما المشابهة بين العربية واللاتينية فأبعد ، لأنها اختلفتا قبل تمام ذلك النمو و نمت كل منهما على حدة وعلى أسلوب مخالف لاسلوب الأخرى ، فبعدت المشابهة ولهذا السبب ايضاً كانت المشابهة بين العربية والصينية أبعد من ذلك كثيراً ، لأن الصينيين انفصلوا عن الأمة الأصلية قبل الساميين بدهور متطاولة واللغة في أبسط أحوالها .

على أننا مع كل ذلك لا نحرم دليلاً على المشابهة من بعض الوجوه إذا التمسناها من حيث نرجو العثور عليها ، إذ لا يليق بنا أن نبحث عن المشابهة في صيغ اشتقاق الفعل بين اللغات الآرية والسامية ولا تركيب الجمل بين اللغة الصينية والعربية ، بل نبحث عن أقدم مواد اللغة في كل من أصول هذه اللغات وننظر في أوجه المشابهة بينها والغالب أن نعثر على ضالتنا . .

فمن أقدم ألفاظ اللغة الضمائر والاعداد واسماء ضروريات الحياة كالطعام والشراب والمأوى والملبس وما يتعلق بذلك :

#### ( ١ ) الضمائر :

فالضمائر ترجع إلى ثلاثة : المتكلم ، والمخاطب ، والغائب . وكل من هذه يتصرف مع علامات الجمع والتأنيث وغيرها ، فإذا جردناها من تلك العلامات ومن النون التي تلحق بها في بعض اللغات ، ظهرت المشابهة بينها كلها . فضمير المتكلم مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف ، فهو في العربية الياء أو الحاء وتظهر في الجمع ( نحن ) وكذلك في السريانية و « انكى » تلفظ « أنوخى » في العبرانية و Anok أو A في المصرية القديمة و « انكى » تلفظ « أنوخى » في العبرانية و Ego في اللاتينية و Ego أو Egon في اليونانية و Aha أو Ahom في السنسكريتية و I في

الانجليزية و Ich في الالمانية و Nga أو Ga أو A في الصينية و Na في المغولية .

أما ضمير المخاطب إذا تجرد من مميزات الجنس والعدد ، فهو حرف التاء في سائر اللغات . . ففي العربية وأخواتها ، التاء في أنت وفي اللاتينية Tu وفي اليونانية Su ( والتاء والسين تتبادلان ) . وفي الفرنسية Tu وأخواتها وفي الانجليزية Thou وفي الالمانية Du وفي السنسكريتية Tua وفي الفارسية ( تو ) . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات الشرقية والمصرية ، ففي الاشورية ( أتأ ) وفي الكلدانية ( أنت ) وفي المصرية القديمة Entuk وفي القبطية Ntok وفي الصينية Two وفي المغولية Ta . أما الغالب فالأصل فيه الهاء في اللغات الشرقية وما يقابلها في اللغات الأخرى ، ففي اليونانية I وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية Hua ومشتقاتها وفي الفارسية « وى » وفي الصينية Soh والسين زائدة . وسيأتي تفصيل ذلك في باب الضمائر من هذا الكتاب .

#### ( ١ ) الأعداد :

يظهر أن الأعداد أحدث عهداً في اللغة من الضمائر ، فالمشابهة بينها أبعد مما بين الضمائر .

فلفظ ( واحد ) يظهر أنه تولد في اللغات السامية بعد استقلالها عن الآرية . أو لعله كان في الآرية ثم فقد الا آثاراً منه باقية في اليونانية . فإن الأصل في لفظ واحد العربي ( حد ) كما هو في اللغات السامية الأخرى ، ومن تصاريف الواحد في اليونانية Heis ، وعلى كل حال فإن اللفظ الدال على الواحد في اللغات الآرية يرجع إلى الواو والنون . . فهو في اللاتينية Unus وفي اليونانية En ونحو ذلك في اللغات الآرية الأخرى . أما في اللغات الشرقية فبقي هذا اللفظ محفوظاً في ( أول )

العربية والأصل فيه الواو واللام ( واللام والنون تتبادلان ) .

و ( الاثنان ) الأصل فيها التاء وما يبدل منها كالثاء والسين والبدال ، فهي في اليونانية Dio واللاتينية Duo وفي الانجليزية Two ونحو ذلك في سائر اللغات الجرمانية ، أما الألف والنون في العربية فزائدتان علامة للثنائية .

و ( الثلاثة ) الأصل فيها بالعربية ( ثلث ) وهي كذلك في سائر اللغات السامية ونحو ذلك في اللغات الآرية ، ففي اللاتينية Tres وفي اليونانية Treis والتبادل بين اللام والراء وبين السين والثاء كثير .

و ( الأربعة ) يعسر الجمع فيها بين اللغات السامية والآرية ، وكذلك ( الخمسة ) . أما ( الستة ) فالأصل فيها ( ست ) ففي العبرانية شش وفي اللاتينية Sex وفي اليونانية Ex وفي السنسكريتية شش وفي السلافونية نست والمشابهة واضحة .

و ( السبعة ) أصلها سبع وهي في اللاتينية Septem وفي اليونانية Hepto وفي الفارسية ( هفت ) وفي السنسكريتية ( سبتا ) فالظاهر أن الأصل فيها ( سب ) والعين دخيلة في اللغات السامية والتاء دخيلة في اللغات الآرية .

وأما ما وراء السبعة فلا سبيل إلى تطبيقه ، فالظاهر أن الطائفتين الآرية والسامية انفصلتا قبل تولد ما بعد السبعة . وهناك أمم متوحشة لا تزال إلى اليوم ليس في لغتها من الأعداد ما بعد الخمسة .

وقد رأيت فيما تقدم أن الأعداد لم تتشابه إلا بين الطائفتين الآرية والسامية لأن اللغات غير المرتقية انفصلت عن أصلها قبل تولد الأعداد ، بعبارة أخرى أن أجداد الصينيين والمغول نزحوا من بين النهرين قبل أن

تولد الأعداد في لغة أهله . . فتولدت الأعداد عندهم مستقلة ، فجاءت بعيدة عن تلك . فالاثنان في الصينية ( شونغ ) والثلاثة ( سام ) والأربعة ( سى ) والخمسة ( نجو ) والستة ( لوك ) الخ . .

### ( ٣ ) أسماء ضروريات الحياة :

نريد بضروريات الحياة أقدم لوازم المعيشة فالانسان أول عهده بالتكلم وضع أسماء لما احتاج للدلالة عليه ليسد عوزه التماساً للبقاء . وقد كان ذلك قبل تولد الضمائر والأعداد ، فيجب أن تكون المشابهة بينها في اللغات ظاهرة . ولكن لا يخفى على المطالع اللبيب أن اللغة في غمو دائم ، فتتولد فيها ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة ، وأن التغير متواصل في ألفاظها نحتاً وابدالاً وقلباً . وأكثر الألفاظ تداولاً على الألسنة أكثرها تعرضاً للتغير : وأسماء ضروريات الحياة أقدم الألفاظ وأكثرها تداولاً على الألسنة ، فلا ينتظر أن نرى أمثلة كثيرة من المتشابهات ، ولا يتفق لنا أن نرى ألفاظاً تتشابه في سائر اللغات المرتقية وغير المرتقية معاً . . فربما تشابه لفظ في الطائفتين السامية والاربية وآخر في إحدهما والصينية وآخر فيها جميعاً . وهالك أمثلة مما يتشابه في كل اللغات أو في بعضها . .

١ - الأم : فإن لفظها واحد في سائر لغات العالم لأنه أول ما نطق به الانسان وأقدم ما تعلمه . فهو Mater في اللاتينية Mitir في اليونانية و Matri في السنسكريتية ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية ، والأصل فيها كلها الميم لأنهم يدلون على الأم أيضاً بقولهم Mama وهكذا في اللغات الأخرى . ففي العربية وأخواتها ( أم ) وفي لغة تيبب بين الهند والصين ( يم ) وفي الصينية ( مو ) وفي القبطية ( ماو ) .

٢ - الأب : فهو في اللغات الآرية Pater وما يشبهها والأصل فيها الباء وفي اللغات السامية ( أب ) وفي الصينية ( بو ) أو ( فو ) وفي التركية ( بابا ) .



٣ - الأكل : في اليونانية Edein وفي اللاتينية Edere والأصل فيها ( اد ) وفي السنسكريتية وفي المغولية ( ايدهو ) وفي الصينية ( وت ) أو ( ود ) وفي العربية ( قات ) أو ( قوت ) وفي القاموس اط الرجل جاع وطلب الطعام .

٤ - العطاء : فهي في اللاتينية Op ونحو ذلك في سائر اللغات الارية والأصل فيها الدال أو التاء ، وفي العربية ( أدى ) أو أعطى والعين دخيلة وفي المصرية القديمة ( طا ) .

٥ - القطع : وهو متخلف عن ( قط ) حكاية صوت القطع وعام في سائر لغات العالم . ففي اللاتينية Coedo وفي الانجليزية Cut وفي الفرنسية Casser ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي الصينية ( كت ) وبالمصرية القديمة ( خت ) وفي العربية قط أو قصر أو قطع . ومن هذا القبيل أكثر الأفعال المختلفة عن حكاية الأصوات الطبيعية مثل طفا ونفخ وغيرهما ، كما سيأتي في الكلام على تولد اللغة .

٦ - الكون : وهو الفعل الدال على الوجود في اللاتينية Esse وفي السنسكريتية As ونحو ذلك في سائر اللغات الارية . وفي العبرانية ( يش ) وفي السريانية ( بت ) وفي العربية ( ايس ) ولا توجد الا مركبة مع ( لا ) وفي ( ليس ) ومعناها نفي الوجود .

٧ - الرجل : فهو في اللاتينية Vir وفي اليونانية Anir وفي الاسبانية Hombro ونحو ذلك في معظم اللغات الارية وفي العربية ( مرء ) وفي المغولية Ere .

٨ - حرف النفي : فإنه واحد في سائر لغات الأرض ، ففي اللغات السامية ( لا ) وفي الآرية No أو أحد تنوعاتها وفي اللغات الطورانية

(ال) و (نه) أو (ما) وفي اليابانية (تا) وفي الصينية (مو) والنسبة اللفظية بين اللام والميم والنون معلومة .

هذه أمثلة مما تتشابه أصوله في معظم لغات العالم ، أما ما يتشابه في لفظها فهو كثير لا يمكننا استيفاؤه هنا . من أمثلة ذلك تشابه (كهف) العربية Cavo اللاتينية . و (أرض أو ثرى) و Earth الانجليزية و Terre الفرنسية (اله) العربية و (لها) في لغة تيب و (الماء) في العربية و (ما) في المصرية القديمة و (مو) في الصينية وقس على ذلك<sup>(١)</sup> .

---

(١) هذه المحاولة في الضمائر والاعداد واسماء ضروريات الحياة للوصول إلى التذليل على أوجه الشبه بين اللغات السامية والحامية من جهة والهندية الأوروبية من جهة أخرى حاولها العلماء ولا تزال البحوث عنها مستمرة دون الوصول إلى نتيجة . وقد وصل بعض العلماء فيها إلى نتائج من حيث القرابة بين هاتين الطائفتين وفي الاعداد والاعراب وبعض الألفاظ مما دعا إلى افتراض أن الشعب الهندي الأوروبي الأول كان يسكن مع الشعب السامي الأول أو بالقرب منه ، وذهبوا إلى أن الموطن الأول كان في جنوب روسيا أو في القوقاز . وانتشر الشعب الآري من هناك وهاجر الشعب السامي إلى بلاد العرب حيث استقر هناك ثم بدأت هجراته مرة ثانية كما بينا .

أما الفكرة التي سادت بين العلماء والتي حالوا فيها أرجاع لغات العالم إلى أصل واحد ، فقد نبذوها في أوائل هذا القرن حين بدأ علم اللغة نهضته .

# ما هي اللغة العربية ؟

هي إحدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقاً وتركيباً ، وهي من أرقى لغات العالم . . فقد تقدم أن اللغات على اختلاف أنواعها تقسم إلى مرتقية وغير مرتقية ، وأن هذه تقسم إلى متصرفة وغير متصرفة ، وأن هذه تقسم إلى ثلاث طوائف كبرى : ( ١ ) الآرية ( ٢ ) الطورانية ( ٣ ) السامية ، وفيها اللغات العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والقرطاجنية والاشورية والبابلية وغيرها . وأرقى اللغات السامية اللغة العربية . .

والمراد باللغات السامية ، اللغات التي تكلم بها نسل سام بن نوح . وقد اختلف اللغويون في كيفية تفرعها بعضها من بعض ، والظاهر أن اللغات السامية الرئيسية الحية إلى الآن وهي السريانية والعبرانية والعربية لم تشتق أحداها من الأخرى ، ولكنها فروع لأصل قد طوته يد الأيام ، وهو لغة قدماء الساميين الذين سكنوا ما بين النهرين . وقد دعاها علماء اللغة باللغة الآرامية نسبة إلى آرام أحد أبناء سام ، وهي لغة سكان ما بين النهرين . . وربما كانوا المعبر عنهم في التوراة بسكان أرض شنعار الذين عمروا ما بين النهرين بعد الطوفان .

والظاهر أن سكان أرض شنعار ، لما قضت الأحوال بتشتيت شملهم

وتبعثرهم في جهات آسيا جعلت لغاتهم تتنوع شيئاً فشيئاً بعد تشتتهم كل قوم حسب بيئاتهم وطرق معاشهم ، فسكن بعضهم سواحل سوريا وتنوعت لغتهم وعرفت باللغة الفينيقية ومنها اللغة العبرانية ، وسكن آخرون العراق العربي وحدث عن تنوع لغتهم اللغة الآشورية ومنها اللغة الكلدانية والسريانية ، وآخرون أقاموا بشبه جزيرة العرب وتنوعت لغتهم وتولد عنها اللغة العربية بفروعها . . ومنها لغة الحبشة ولغة حير وعدنان ، ومنها لغة قريش التي كتب فيها القرآن وهي التي يكتب بها المتكلمون بالعربية حتى الآن .

وتنوع اللغات السامية المتقدم ذكرها ، لم يتم دفعة واحدة بل كان تدريجياً على مقتضيات ناموس الارتقاء الجاري في الطبيعة . . فقد بقيت تلك اللغات في أول أزمان تشتت الشعب السامي زمناً غير قليل متشابهة تشابهاً كثيراً ، كما هو الحال في المتكلمين في اللغة العربية بعد انتشار الاسلام ، فإن كلاً من الشعوب العربية الآن في مصر وسوريا وبلاد المغرب وغيرهم يتكلمون العربية . . ولكن كل شعب منهم تختلف لغته عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً أو كثيراً بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم . ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية ( الفرنسية والاسبانية والاطالية وغيرها ) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع إليها في ما يكتبونه ويخطبون فيه جعل في لغاتهم المولدة مرجعاً يجمع لغاتهم إلى أصل واحد كما لا يخفى .

أما في الأزمان الغابرة ، يوم تشتت نسل سام في العالم ، فلم يكن عندهم لغة مدونة يرجعون إليها ، ولا كان بينهم رابطة يجتمعون بها لآعراقهم في الجاهلية . . فكانت العوامل الطبيعية تؤثر في تنوع لغاتهم أكثر كثيراً مما تفعله اليوم ، فأصبحت على توالي الأجيال لغات مستقل

بعضها عن بعض كل الاستقلال . على أن الباحث في أصول تلك اللغات لا يعدم وسائل في ردها كلها إلى أصل واحد لتشابه أصولها وقواعدها ، فاللغة العربية والسريانية تشابه كثيراً في اشتقاقها وتصاريفها ومعاني ألفاظها حتى لا تدع شبهة في وحدة أصلها .

ويستنتج مما نقرأه في أسفار العهد القديم أن تلك اللغات كانت كثيرة التشابه في الأزمنة الأولى إلى زمن خروج الاسرائيليين من مصر وما بعده ، فإن الاسرائيليين قضوا أربعين سنة في بركة سيناء وجزيرة العرب وكانت لغتهم العبرانية . . ولكنهم عاشروا العرب وخالطوهم وكانوا يتفاهمون بلا ترجمان . وهناك حوادث كثيرة ذكرتها التوراة تدل على تفاهم العرب والعبانيين ، من جملة زيارته ملكة سبأ - وهي من ملوك العرب - لسليمان بن داود ملك اليهود في القرن العاشر قبل الميلاد أي بعد زمن موسى بخمسة قرون ، فإنها زارت الملك سليمان وتفاهما بغير واسطة المترجمين . وكذلك نزوح اسماعيل وسكنه في بلاد العرب وقيامه بينهم وما شاكل ذلك ، وكلها أدلة على أن فروع اللغات السامية كانت إلى ذلك العهد متشابهة كل التشابه إذ لم يكن قد مر عليها الزمن الكافي لاستقلال احداها عن الأخرى . .

أما بعد تلك الأزمان ، فأخذ كل قسم منها يستقل بألفاظه وتراكيبه ويتعد عن الآخر حتى صار لغة مستقلة شأن كل شيء من أحول هذا الكون .

فاللغة العربية إذاً هي إحدى اللغات السامية المتفرعة من اللغة السامية الاصلية المفقودة الآن ، ويسمونها بعضهم اللغة الآرامية كما قدمنا . وفي اعتقادنا أن لغة اشور وبابل التي قد عثروا على آثارها منقوشة بالأحرف الاسفينية أو المسمارية في آثار مملكة آشور أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأصلية إذا لم تكن هي بقيتها . ولعل مزاولة درس تلك الآثار

## على توالي الأيام وتجديد النقب والبحث يؤيد هذا الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

(١) بينا مركز اللغة العربية من اللغات السامية في تعليقنا السابق ، أما الآثار اللغوية التي وصلتنا قبل القرن السادس الميلادي وتاريخ جزيرة العرب قبل هذا القرن فيلقين ضوءاً على تاريخ اللغة العربية وبينان ما أراد أن يوضحه المؤلف عن اللغة قبل الكشف الحديثة .

من المعروف أن اليمن كانت موطن حضارة زاهرة منذ الألف الأول قبل الميلاد . فقد عرف أهلها بمهارتهم في التجارة وبشاشتهم في تعمير بلادهم . وإذا أردنا أن نؤرخ لليمن القديم ، كان العهد القديم وما ورد فيه أول مصادرها ، فالتقوش البابلية والآشورية ثم كتابات اليونان والرومان الذين عرفوا الحضارة اليمنية واسموها حضارة جزيرة العرب السعيدة . وكل هذا قليل إذا قيس بما كشف عنه في اليمن من نقوش في العصر الأخير . وهذه النقوش تمثل لنا تاريخ هذه الجهة أحسن تمثيل . كتبت هذه النقوش بالخط المسند الذي يحتوي على ٢٨ ( أو ٢٩ حرفاً ) وهو خط أبجدي اشتق من الخط الكنعاني ذي الاثنين والعشرين حرفاً ( أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ) وأضيفت إليه الحروف ( ث خ ذ ض ظ غ ) وفي تلك الأبجدية علامتان للسين . وتبين من تلك النقوش أنه كانت في اليمن قديماً أربع دول على حرب فيما بينها : المملكة المعينية وهي أقدمها ثم السبئية والقتبانية والحضرية . ويظهر أن ملوك سبأ تغلبوا على معين في القرن الثامن قبل الميلاد وقضت مملكة سبأ كذلك على مملكة قتيان حوالي سنة ١٠٠ قبل الميلاد ، وأدالت مملكة حضرموت حوالي سنة ٣٠٠ ميلادية . وقامت الحبشة بحملات على اليمن منذ القرن الرابع الميلادي . ويهود ملوك اليمن وظهرت دولة ذي نواس سنة ٥٢٥ ميلادية ، ثم تم للفرس فتح اليمن سنة ٥٧٠ ميلادية وقضت بذلك على الحضارة اليمنية القديمة . وتصف لنا النقوش اليمنية حروب ملوك اليمن وبنائهم الهياكل وتتحدث عن قوافلهم التجارية وتعميرهم للأراضي وعن أعمال الري وتأسيس المدن وعبادة الآلهة .

أما لغة النقوش فهي وسط بين العربية الفصحى والحبشية القديمة ومن خصائصها ميم الاعراب ونون التعريف وفيها جمع التكسير والفرق بين المنصرف وغير المنصرف .

وتتفرع لغة نقوش اليمن إلى لهجتين رئيسيتين : المعينية ، والسبئية ونجد في المعينية بعض خصائص تقريباً من البابلية القديمة فضمير الغائب فيها ( سين ) وفي البابلية ( شين ) وهو في السبئية ( هاء ) وكذلك وزن أفعل فهو في المعينية ( سفعل ) وفي البابلية ( شفعل ) .

وكان المعينيين من هاجر إلى الشمال ، فقد عثر على نقوش معينة بالقرب من العلا في الحجاز ، ويظهر فيها أن منهم من استقر هناك في القرون القريبة من الميلاد .

ومن الغريب أن هذه النقوش اليمنية القديمة دونت لهجاتها المختلفة بأسلوب واحد في الفترة ما بين القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد وبين القرن الرابع أو الثالث الميلادي وهذا يوضح أن اللغة التي استخدمت في النقوش كانت لا تعبر عن لغات التخاطب .

أما في شمالي الجزيرة فقد كانت الممالك التي ظهرت منذ القرون الأخيرة قبل الميلاد ممالك =

## كم هي العلوم اللغوية

أما اللغات على العموم ، فعلومها درجات متتاليات :

الأول - يبحث عن ألفاظ اللغة من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها

ارامية حضارتها ارامية ، وكان معظم سكانها وملوكها من العرب . فكانت مدينة الرها مركز السريانية ، في القرن الاول بعد الميلاد مركز مملكة تحكمها اسرة عربية . وكانت المدينة العربية في القرون الأخيرة قبل الميلاد تختلف في الشمال باختلاف المناطق . ولم يعرف عرب الشمال الكتابة أو لم يصلنا منهم ما يدل على أنهم عرفوا الكتابة حتى قبيل الميلاد ، ولذلك لا يمكننا الجزم بما كانوا عليه . وإذا اعتمدنا على ما ذكره عنهم جيرانهم فإن هذا لا يسد النقص . جاء ذكر العرب لأول مرة في النقوش الاشورية حوالي القرن الثامن قبل الميلاد حين ذكرت أول اسم عربي هو « جندب » وهو اسم ملك العرب الذي حارب الاشوريين . وذكرت النصوص الاشورية والكتعانية بعض اسماء الاعلام والاماكن العربية . أما في القرون الاولى قبل الميلاد فقد اختلفت الحال إذ عثرنا على ثلاث لغات عربية كتبت بأقلام مختلفة هي : اللحيانية والشمودية والصفوية . أما اللحيانية فهي لغة قبائل سكنوا العلا في طريق الحج شمالي المدينة واسمها القديم « ددن » وكانت القبائل المعينية تسكنها قبل اللحيانيين ووجدت النقوش اللحيانية في العلا وفي الحجر شمالها ( مدائن صالح ) وقد كتبت بخط اشتق من المسند . ولعل صلة اللحيانيين وهم من عرب الشمال بالمعنيين وهم من عرب الجنوب ساعدتهم على كتابة لغتهم . . .

وأما الشمودية فهي لغة قبائل من عرب الشمال سكنوا المنطقة التي تمتد من جبل شمر إلى ساحل البحر الاحمر ومن تبوك إلى العلا حيث وجدت لغتهم مدونة على الحجارة ووجدت أيضاً في شبه جزيرة سيناء وفي صحراء مصر . وقد أطلق عليهم المستشرقون اسم ثمود الذي جاء ذكره في النصوص الاشورية آخر القرن الثامن قبل الميلاد وورد في الكتابات اليونانية والرومانية ثم جاء ذكرهم في القرآن الكريم . . .

أما الصفوية فقد اشتق اسمها من واحة الصفاء الواقعة وراء جبل الدروز . ووجدت النقوش الصفوية في الحرة وفي أم الجمال في جنوبي حوران وفي الصالحية على الفرات . واشتقوا قلمهم من المسند مما يدل على صلتهم بالقبائل اليمنية .

وتفاوتت هذه اللغات العربية الثلاث فيما بينها كما كانت تختلف نظمهم الاجتماعية . فلحيان مثلاً كانت تسكن واحة على نقطة التماس بين نفوذ النبط ونفوذ اليمن وكانت تحت حكم ملوك ثابتين . والصفويون هم سكان الحرة وهي أرض جدياء وملجأ للقبائل الضعيفة والحكم عندهم شوري فلم تشترط في حاكمها سلالة ملكية وكانوا رعاة فقراء قطاع طرق لا يتأثرون بحضارة جيرانهم . . .

وتختلف هذه اللغات الثلاث عن العربية الفصحى . وهذا واضح لأن مناطقها تبعد عن

واعرابها وأوجه استعمالها حقيقة أو مجازاً لمقاصد في التعبير . وهذا ما

= منطقة النفوذ العربي ومنافذ الفكر العربي مثل مكة والمدينة والطائف . ولا نرى في النقوش اللحيانية إلا حوادث التاريخ عند ملوك النبط لا عند ملوك العرب . وتقف كل هذه النقوش عند أواخر القرن الثالث بعد الميلاد وتنتهي معها المدنية العربية الشمالية .

نقف عند العصر الذي يتوسط بين المدنية القديمة في بلاد العرب وبين ظهور الاسلام . وأول أثر لهذا العصر هو نقش على قبر الملك امرئ القيس بن عمرو وهو مؤرخ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة بعد الميلاد . والملك المذكور هو امرؤ القيس ثاني ملوك الحيرة جد المناذرة وقبره في النماري الواقعة في الجرة شرق جبل الدروز ، والنمارة كانت موطن قبيلة لخم . لم يكتب هذا النقش بخط مشتق من المسند بل بقلم متأثر بالقلم النبطي أو هو وسط بين النبطي والكوفي العربي . وترد في هذا النقش عدة كلمات آرامية أو نبطية ومع هذا فهو مكتوب بلغة عربية شمالية قريبة من العربية الفصحى . ونعده أول أثر من الآثار التي وصلتنا باللغة العربية الشمالية الفصحى . أما وجود الألفاظ الآرامية في النقش فتدل على أن العرب حين كتبوا دخلت بعض ألفاظ آرامية في كتاباتهم من أثر اتصالهم بالحضارة الآرامية . وذكر النص أن امرئ القيس « ملك العرب كلها » وهذه هي المرة الأولى التي نعرث فيها على هذا اللقب الذي يشير دون شك إلى محاولة في إيجاد وحدة سياسية للعرب . وقد كانت الامم المجاورة تطلق اسم العرب على القبائل التي غلبت عليها البدواة أي أن اسم العرب كان يقابل عندهم شعوب البادية لا علماً على أمة بعينها ، واستعمال النقش لكلمة العرب استعمال خاص يخالف ما كان معروفاً من قبل ، فهو يدل هنا على أمة بعينها من أمم البدو . وقد كان العرب إلى القرن الرابع أو الثالث بعد الميلاد تغلب عليهم حضارة نبطية وآرامية وكانت نقوشهم كلها مكتوبة بلغة من اللغات الآرامية . ولهذا يعتبر هذا النقش أول نقش عربي يعبر فيه العرب عن أنفسهم وعن شمال الجزيرة فالدول العربية التي أخذت بالحضارة الآرامية زالت شخصيتها وتحولت إلى ولايات رومانية منها مملكة النبط سنة ١٠٦ ميلادية ومملكة تدمر سنة ٢٧٣ ميلادية .

رومانية منها مملكة النبط ١٠٦ ميلادية ومملكة تدمر سنة ٢٧٣ ميلادية . وتغلب الفرس في الشرق على ولايات عربية مختلفة كانت تصطبغ بالصيغة الآرامية أو اليونانية . وبزوال هذه الدويلات زالت الثقافة المختلفة التي كانت تغطي على شعوبها العربية ، ومكنت لهذه الشعوب والقبائل من الظهور وتأسيس دويلات جديدة تغلب عليها الصفة العربية .

أما في الجنوب فتحيرنا النقوش اليمنية منذ القرن الرابع الميلادي بظهور عنصر جديد في اليمن هو « الاعراب » - وأخذ هذا العنصر يندمج بالتدرج في الاهالي وغلبت لغته على لغة البلاد الاصلية وقد هيأت الاحداث السياسية من فتح الحبشة والفرس لليمن قبول الاعراب على ما يظهر .

وتكونت من هذا كله وحدة الأمة العربية قبيل الاسلام وتقاربت لهجاتها .



تُعَلِّمه المدارس في أيامنا كالصرف والنحو والمعاني والبيان مما هو ضروري لكل كاتب .

الثاني - يبحث عن تاريخ تلك الألفاظ وتنوعها ودلالاتها مع ما طرأ عليها من التغيير بتجريد بسيطها وحل مركبها وهذا ما ربما صحت تسميته « علم اللغة أو فلسفتها » وبموجبه تُرد ألفاظ كل لغة إلى أصول أو موضوعات محصورة عدداً بسيطة بناءً .

الثالث - مقابلة هذه الأصول من لغات مختلفة وردها إلى أصول قليلة مشتركة ، وهذا ما يدعى بعلم « مقابلة اللغات » وقد تمكن علماءها بواسطته من تقسيمها إلى صفوف ورتب وعائلات . وهم ينتظرون الظفر برد جميع ما ينطق به البشر إلى أصول قليلة .

الرابع - وهو أسماها ، يبحث عن كيفية توصل الإنسان إلى هذه الأصول وكيف نطق بها أولاً<sup>(١)</sup> .

---

(١) مر تاريخ علم اللغة بأطوار مختلفة ، واهتم العلماء في كل طور من هذه الأطوار بالبحث عن العلوم المختلفة التي تدخل في نطاق علم اللغة . وقد عد جرجي زيدان أربعة علوم نتيجة لما وصل إليه العلماء في هذا الطور .

ثم جاء طور بعده عد العلوم اللغوية على الوجه الآتي :

١ - علم الصوت .

٢ - علم الدلالة : ويشمل علم المفردات ، وعلم الاساليب ، والقواعد وتشمل علم البنية وعلم التنظيم . ويشمل كل من علم الاساليب والبنية والتنظيم ثلاثة علوم : التعليمي والتاريخي والمقارن .

٣ - أصول الكلمات ( ومنه أسماء الاعلام والاماكن ) .

٤ - حياة اللغة ( ومنها علم اللهجات ) .

٥ - علم الاجتماع اللغوي .

٦ - علم النفس اللغوي .

٧ - نشأة اللغة . وأكثر العلماء رأى أن يخرج من العلوم اللغوية ويلحقه بالبحوث الفلسفية وعلم ما وراء الطبيعة .

## تمهيد

اللغة مؤلفة من الألفاظ ، والألفاظ تقسم باعتبار الدلالة إلى ذات دلالة مطلقة . . وندعوها تسهلاً « ألفاظاً مطلقة » وهي التي تصح الدلالة

أما الطور الأخير فقد عد العلوم اللغوية على الوجه الآتي :

١ - علم الصوت .

٢ - علم المفردات : البحث في أجزاء الكلام الدخيل والمولد - علم البنية - علم الدلالة ( المعنى وحياة الكلمة ) .

٣ - انشاء الجملة ( علم التنظيم ) : البحث في مجموعة الكلمات والجملة - ترتيب الألفاظ - أنواع الجملة - علم التنظيم المنطقي والنفسي .

٤ - طرق التعبير ( علم الأساليب ) اللغة والأسلوب - درجات الأسلوب - الإخراج - النبر - تناسق الأصوات ونشأها - قيمة الكلمة - قيمة الصيغ - قيمة التكوين - الأسلوب والبلاغة - سيكولوجية التعبير - التصنع - الجمال .

٥ - تكوين اللغة - ( علم النحو الوصفي ) : قواعد اللغة - أثر التقليد والمنطق والاستعمال - الحدود الجغرافية للغة ومناطق الحدود ، والحدود الاجتماعية .

٦ - تطور اللغة ( علم النحو التاريخي ) الاشتقاق - ميلاد الكلمات ( الدخيل - محاكاة الصوت - المولد ) - عناصر التكوين - تسرب الكلمات - تغير الأصوات - تغير الصيغ - تطور المعاني - تطور البنية - تطور التنظيم - عوامل التطور - دور الأدب - تطور الأسلوب - حياة الكلام .

٧ - قرابة اللغات ( علم النحو المقارن ) : التشابه بين اللغات - قيمة الصلات ( ملاحظة الصدفة في التشابه وملاحظة الدخيل ) - الصلات بين الصيغ - صعوبة المقابلة - القرابة - الطوائف اللغوية .

٨ - طبيعة اللغة وقوانينها ( علم النحو العام ) : وحدة القرابة اللغوية - أنواع اللغات ( التحليلية والوصلية والعازلة واللصيقة والمتصرفية ) - المبادئ التي يقوم عليها علم النحو العام - والقوانين والاتجاهات - انتظام القوانين الصوتية - دور القوانين الأولية في النفس - توارد الخواطر والقياس - عمل العادة - عمل الحياة في المجتمع - الاتجاه إلى اللغات المشتركة - دور الدخيل - حدود التوحيد - الاتجاه إلى الاختلاف - التعبير الخاص - التعبير المحلي - حياة اللغات - أصل الكلام .

٩ - العلوم المساعدة لعلم اللغة ( العلوم التاريخية وفقه اللغة ) : صلة علم اللغة بالعلوم التاريخية - فقه اللغة - الكتابة - الأبجدية - تعويض لغة التخاطب - النصوص المنقوشة - النصوص الأدبية - تاريخ الكتابة - نقد النصوص - التاريخ الأدبي - الأوزان الشعرية - دور الشعر - اللغة الأدبية ولغة التخاطب .

بوحدة منها على أي موجود حسياً كان أو معنوياً ، وتشتمل على الضمائر وأسماء الإشارة واسم الموصول . وما شاكل ذلك . وإلى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلاً « ألفاظاً مانعة » أي لا يمكن الدلالة بأحدها إلا على قسم من الموجودات أو على نوع واحد من المعنى . فبقولنا « حيوان » مثلاً نقصد بعض الموجودات ، وهكذا لو قلنا « مادة » أو « قوة » إذ يخرج في الأولى جميع ظواهر القوة كالانفعالات والعقليات ، وفي الثانية تخرج المادة وظواهرها . ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان أو المادة أو القوة أو المحبة أو الحزن أو الفرح أو ما شاكل ذلك . وتقول « أنت » لكل ما تخاطبه جاداً كان أو حياً حسياً أو معنوياً ، وهكذا في البواقي . والألفاظ المانعة تُقسَّم إلى « دالة على معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشتقاتها و« دالة على معنى في غيرها » وهي الحروف وما شابهها .

## موضوع هذا الكتاب

سنقتصر في هذا الكتاب على بعض الملاحظات التي تراءت لنا أثناء مطالعتنا بعض العلوم اللغوية وهي تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية أي « فلسفة اللغة » في العربية ، وربما أدخلنا بعض ما يتعلق بالدرجات الأخرى تعزيزاً للبرهان .

والموضوع يقوم بخمس قضايا ونتيجة . والقضايا هي :

- ١ - إن الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد .
- ٢ - إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها ، إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها .
- ٣ - إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها ، يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية .

٤ - إن جميع الألفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد أو بضعة ألفاظ .

٥ - إن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية .

النتيجة :

إن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول محصورة عدداً أحادية المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية ، وبعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً .

فمن الواجب أولاً اثبات القضايا المذكورة وهي مقدمات خمس ، لعلنا نستطيع اثبات ما دعونا « نتيجة » وبالله التوفيق<sup>(١)</sup> .

---

(١) كان على جرجي زيدان أن يأخذ في دراسته للغة بنظرية من النظريات الأربع التي عرفت في عصره .

الاولى : إن نشأة اللغة ترجع إلى الهام الهى هبط على الانسان فعلمه النطق واسماء الاشياء (انظر ابن فارس في الصباحي) .

الثانية : إن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً (الاسفرائيني أبو اسحق - السيوطي - ابن خلدون) .

الثالثة : إن نشأة اللغة ترجع إلى غريزة خاصة زود بها في الأصل جميع أفراد النوع الانساني ، وإن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به . كما أن غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات تحمل الانسان على القيام بحركات وأصوات خاصة كلما قامت به حالة انفعالية معينة ، وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ، وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الانسانية الاولى فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم ، وأنه بعد نشأة اللغة الانسانية الاولى لم يستخدم الانسان هذه الغريزة فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت . ومن أشهر من ذهب هذا المذهب « مكس مولر » و « رينان » .

\* \* \*

=

= اعتمد « مكس مولر » في تأييد هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية . فقد ظهر له أن مفردات هذه اللغات جميعاً ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ، وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأصلية لهذه اللغات ، وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معان كلية ، وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها وما تدل عليه من فعل أو حالة . وهذا برهان على أن اللغة ليست نتيجة تواضع واتفاق ( النظرية الثانية ) لأن التواضع يتعارض مع طبيعة النظم الاجتماعية ويتوقف على وسيلة يتفاهم بها المتواضعون . ولا يعقل أن تكون هذه الوسيلة هي اللغة الصوتية ، لأن المفروض أن المتواضع عليه هو أول ما نطق به الانسان من هذه اللغة ، ولا يعقل كذلك أن تكون لغة الإشارة لأننا بصدد ألفاظ تدل على معان كلية أي على أمور معنوية يتعذر استخدام الإشارة الحسية فيها . وفي عدم وجود تشابه بين أصواتها وما تدل عليه ( انظر ابن جني في الخصائص باب امساس الألفاظ أشباه المعاني ) برهان قاطع على أن اللغة الانسانية لم تنشأ من محاكاة الانسان لاصواته الطبيعية أي أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، وأصوات الحيوانات والأشياء .

\* \* \*

وعلى هذا فإن اللغة نشأت من غريزة الانسان بالتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ومن استعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة . والاعتراض على هذه النظرية أنها لا تحل مشكلة نشأة اللغة بل تأتي بمشكلة أخرى وهي الغريزة الكلامية . والنظرية تقرر « أن الانسان قد لفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة لأنه كانت لديه قدرة على لفظ هذا النوع من الاصوات » وهذا لا يفسر المشكلة بل يقرها . فقدرة الانسان الفطرية أو المكتسبة على لفظ نوع من الاصوات لا يهم وإنما العبرة بالوقوف على المظهر الأول لاستغلال هذه القدرة والافادة منها في تكوين اللغة أي في المسلك الذي وضع به الانسان أصوات معينة لمسميات خاصة والعوامل التي دفعته إلى هذا . وذهبت النظرية أيضاً إلى أصول خمسمائة تمثل لغة الانسانية الأولى وهذه الأصول تدل على معان كلية . وإدراك المعاني الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجود مثلها في نشأة الانسانية ، وإنما هي بقايا لغة قطعت شوطاً كبيراً في سبيل الرقي والكمال .

الرابعة : يذهب اصحابها إلى أن اللغة نشأت من الأصوات الطبيعية أي التعبير عن الانفعالات ، وأصوات الحيوان ، وأصوات مظاهر الطبيعة وارتقت تبعاً لارتقاء العقلية الانسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الانسان وما إلى ذلك « انظر ابن جني في الخصائص وابن سينا في اسباب حدوث الحروف ، « وتوتى » في اللغة ودراساتها ظهر سنة ١٨٦٧ وحياة اللغة سنة ١٨٧٥ » . وبهذا تذهب النظرية إلى أن الانسان بدأ بمحاكاة الاصوات ، وقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشيء الذي يصدر عنه الصوت =

= المحاكي أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشؤون . واستخدم في هذه المحاكاة قدرته على لفظ أصوات مركبة ذات مقاطع . وكانت لغته في مبدأ أمرها محدودة الألفاظ ، قليلة التنوع قريبة الشبه بالأصوات الطبيعية التي أخذت عنها ؛ قاصرة عن الدلالة على المقصود ، ولذلك كان لا يد لها من مساعد يعين على ادراك ما ترمي إليه . وقد وجد الانسان خير مساعد لها في لاشارات اليدوية والحركات الجسمية التي سدت فراغاً في اللغة الصوتية . واتسع نطاق اللغة تبعاً لارتقاء التفكير ومظاهر الحضارة واخذ الانسان يستغني شيئاً فشيئاً عن مساعدة الاشارات . وتبعد اللغة عن أصولها الأولى تحت تأثير عوامل كثيرة مثل التطورات الطبيعية التي تعتور الصوت وأعضاء النطق الانساني والعلاقات المجاورة والمباشرة التي تعتور الدلالات وما إلى ذلك . .

\* \* \*

رأى جرجي زيدان أن النظرية الرابعة هي أقرب إلى المعقول ، وأكثر اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاصة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية ، ولم يبق أي دليل يقيني على خطئها أو على صحتها وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها وإنما يقرب تصورهما ويرجح الأخذ بها . وقد أخذ بها جرجي زيدان وحاول أن يطبقها على اللغة العربية مستعيناً بأراء أئمة فقه اللغة من العرب وبخاصة ابن جني .

# القضية الأولى

« إن الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد »

كثيراً ما أشار أئمة اللغة إلى هذا النوع من الألفاظ ، وقد ارتأوا فيه مذاهب شتى لا حاجة لسردها في هذا المقام . أما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتنا أن هذا التقارب لم يكن عبثاً بل هو دلالة قوية على أن هذه الألفاظ ليست إلا تنوعات أصل واحد وأن هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما : القلب والابدال .

## القلب

هو عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً ، وهو أقل وروداً من الابدال . ومن أمثلته قولهم بمعنى داحد . لطم ولط . وذبح وبدح . وعزق وزعق . والبهلق والبلهق ( المرأة الحمراء جداً ) . وجذب وجبذ . ورفأ وأرف . وتبرعص وتبرعرص . . بمعنى اضطرب . وعفلط وعلفط ( خلط ) وملج وملج . وبرشق اللحم وشبرقه وشبرقه بمعنى قطعه . وسكب وسبك . ويقال بشغت الأرض وبغشت أي أمطرت قليلاً . وفقاه يفقوه بمعنى قفاه يفقوه . وضب وض بمعنى سأل وكذلك صب وبص . ويضع وعضب وبعض جميعها بمعنى قطع . ويقال يضع أو بعض أيام والفرق بالمقدار فقط . والقبط والقطب الجمع باليد . وقطب الوجه وقبطه بمعنى واحد . وبكع

وكبّع بمعنى قطع . ويقال نضب الماء ونبض غار . ولعس ولسع تدلان على نوع واحد من المعنى وهكذا في ما بقي . هذا ولا يخفى أن كثيراً من الألفاظ المقلوبة تخسر معناها الأصلي بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بأنها مقلوبة . .

أما سبب القلب فهو في الغالب الميل لتخفيف اللفظ أو للتفنن فيه ، ويحدث في الغالب اعتباطاً . ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فإن معظمهم يقولون « رعبون » في « عربون » . و « اجر » في « رجل » . وبعض أبناء اللغة يقولون « أطعى » بدلا من « أعطى » . والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون « اجا » في « جاء » وكثيرون منهم لا يميزون بين « قعد » بمعنى جلس و « عقد » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قل بينهم من يلفظ كلمة « زَوْج » على حقها فإن معظمهم يقولون فيها « جوز » وهم يقولون « رَقَف » بمعنى « صفق » فوق في هذه اللفظة القلب والابدال معاً .

#### الابدال :

أما الابدال في ألفاظ اللغة فأعظم أهمية لأنه أوسع دائرة وأشد تأثيراً . وهو عبارة عن ابدال حرف من كلمة ما بحرف يقرب منه لفظاً . ويحصل الابدال غالباً بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو مخرج متقاربة .

وتقسم الحروف باعتبار مخرجها إلى حلقية ، ولسانية حلقية ، ولسانية سنانية<sup>(١)</sup> وسنانية أو صغيرية وشفوية<sup>(٢)</sup> . والابدال يحصل بين أحرف كل

(١) سنينة

(٢) مخرج الحروف العربية :

ع ، هـ ، من أقصى الحلق - ع ، ح من وسط الحلق - غ ، خ من أدنى الحلق إلى الفم - ق من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك - ك من أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف قليلاً وما يليه من الحنك - ج ، ش ، ي من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك - ض من



مخرج وبين مخارج مختلفة الأقرب فالأقرب . وهاك ترتيب الحروف باعتبار قابليتها للاببدال ع ه ي ح خ غ ق ك . ل ر ن . ض ط د ت . ج ش ث س ص ز ظ ذ . ف ب و م .

وقد يقع الابدال بين الأحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ولو كانت من مخارج متباعدة كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون لأن السامع قد يخطئ بينهما والعامة قد أبدلت ميم الجمع نوناً ، وهذه أبدلت ميماً في أماكن كثيرة . ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية أصوات الفاء والخاء والثاء ، كقوله ثلغ وفلغ بمعنى شق . . فإن الأذن لا تكاد تفرق بين لفظيهما ، وكذلك الحثالة والحفالة ( الردى من كل شيء ) واغتث الخيل واغتفت أصابت شيئاً من الربيع . ومن هذا القبيل الاشتباه بالسمع بين صوتي الكاف والثاء ، كقول بعض العامة « تان » في « كان » .

أما الأدلة على قابلية الحروف للاببدال فكثيرة ، منها ما قد طرأ على اللغات السامية بعد تفرقها لأنه من المقرر أنها - أي العربية والعبرانية والسريانية - كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد ، وأنها بعد أن قُدر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوع تبعاً لمقتضيات أحوال كل

---

= أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس - ل من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى - ن من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً - ر من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا - ط ، د ، ت من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك - ص ، س ، ز من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى - ظ ، ذ ، ث من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا - ف من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا - و ، ب ، م مما بين الشفتين . .

وأضاف علماء اللغة القدامى من العرب صفات للحروف لأن المخرج يشترك فيه أكثر من حرف ولا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد مخرجه فقط بل لا بد من تحديد صفة أيضاً فوصفوها بالمجهور والمهموس ووصفوا كلاً منها بالشديد والمتوسط والرخو ثم قسموا الحروف إلى مستعلية ومستقلة وسموا الحروف المجهورة الشديدة بحروف القلقة وبعض الحروف المستعلية « ض ، ط ، ص ، ظ » سموها بالمطقة .

فريق منهم ، فوصلت إلينا على ما نشاهدها . وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الابدال ، ويكاد يكون قياسياً بدليل ثبوت النسبة بين الأحرف المتبادلة . . لأن ما كان من الألفاظ من أصل واحد فيها جميعها ، نرى أنه إذا كان أحد مقاطع اللفظة العربية « ثاء » مثلاً يكون في مكانها في العبرانية « شين » وبالسريانية « تاء » نحو « وثب » العربية فإنها في العبرانية « يشب » وفي السريانية « يتب » . و « ثدى » في العربية فإنها « شدا » في العبرانية و « تدأ » في السريانية . وإذا كان ذالاً في العربية كان زايّاً في العبرانية ودالاً في السريانية كذكر و « زكر » و « دكر » . والألف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقاً نحو « ما » الموصولة في الأوليين فهي « مة » في الأخيرة . والسين العربية عين فيها ، فالعرب يقولون « سأل » فإنها فيها « شال » . والغين العربية عين فيها ، فالعرب يقولون « غرب » والعبرانيون والسريانيون يقولون « عرب » بالعين . والخاء العربية حاء فيها ، فنحن نقول « خرب » وهم يقولون « حرب » .

وأمثال هذا التبادل كثيرة عادية ، وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم باحداها يفهم ألفاظ الأخرى فهماً تاماً ، ولا يكون على شيء من أمرها بشرط اطلاعه على ناموس هذا التغيير<sup>(١)</sup> . وفي العبرانية

---

(١) تغيرات الحروف نسميها الآن قوانين صوتية وقد سماها قدماء العرب أصولاً مطردة . وهذه التغيرات تحدث في اللغات السامية بغير استثناء . وأن وجدت استثناءات قليلة فيجب أن يكون لها سبب خاص . وهناك تغيرات اتفاقية وهي لا تحدث في كل كلمة يقع فيها الحرف بل في بعضها فقط ولا قانون لحدوثها بل هي في الظاهر حدثت اتفاقاً وفي الباطن لا بد أن يكون لحدوثها أو عدم حدوثها سبب لا نعرفه . .

والتغيرات المطردة منها مطلقة ومنها مقيدة بشروط . أما المطلقة فمثل أبدال الياء في اللغة السامية الأصلية فاء في العربية فليس لهذا القلب من شرط صوتي يقيد ، وأما المقيدة فنشأها أن الميم الأصلية في أواخر الكلمات في اللغة السامية الأصلية صارت نوناً في العربية وذلك أن قلب الميم نوناً مطرد من حيث أنه حدث في كثير من الكلمات ولكنه مقيد من حيث أنه اقتصر على أواخر تلك الكلمات فقط ولم يتعداها إلى أوائلها ولا أواسطها ومثال ذلك التنوين في العربية فإن أصله ميم في السامية الأصلية وهي على هذه الصورة في الاكدية والسبئية . وقليل =

والسريانية ستة أحرف يستعمل كل منها لمقطعين من مخرج واحد وهي :

من الكلمات لم يطرأ على أواخرها هذا التغيير لسبب خاص مثل بقاء الميم في الضمائر أنتم وهم وسبب ذلك أن الميم فيها لم تكن في الاصل نهائية بل كانت انتمو وهو بالواو ، وعلّة التغيرات المطردة الأولى لا نعرفها معرفة يقينية إلا في بعض الحالات منها امتزاج لغتين ومنها ذوق العصر ، أما العلّة الثانوية الصوتية وبخاصة في التغيرات الاتفاقية وبعض المطردة المشروطة فنعرفها ، مثال ذلك التشابه والتماثل وهو أن حروف الكلمة مع توالي الزمن كثيراً ما تتقارب بعضها من بعض في النطق وتشابه والتشابه إما كلي وإما جزئي وهو في الحالتين إما مقبل وإما مدبر وإما متبادل . والتشابه إما أن يكون في كلمة واحدة إذا تلاحق فيها حرفان متشابهان وإما أن يكون بين كلمتين يتشابه فيها آخر حرف من الكلمة الأولى بأول حرف من الكلمة الثانية . والتشابه من أهم العوامل التي سببت ابدال الحروف وهناك نوع آخر من ابدال الحروف وهو التخالف . ويحدث التشابه بين الحروف المتصلة ويتدوين الحروف المنفصلة . أما التخالف فهو على العكس من التشابه ويرجع سبب التشابه إلى ناحية نفسية وعلى الأكثر إلى الاعصاب والعضلات وكيفية حركتها لأن التشابه يراد به تسهيل النطق واختصاره أما التخالف ففسيه يرجع إلى الناحية النفسية مثله في ذلك الخطأ في النطق فالتناس يخطئون في النطق عادة إذا تابعت حروف شبيهة بعضها ببعض لأن الانسان يتصور الحركات اللازمة على ترتيب كلمة قبل النطق بها ويصعب عليه إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة وجيزة ، ومن هذا ينشأ خطأ الانسان إذا أراد أن ينطق جملة تشتمل على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة . والتخالف نوعان : منفصل ومتصل ، فالمنفصل ما كان بين حرفيه فارق والمتصل ما تجاور فيه الحرفان وهو على الأخص في الحروف المشددة .

وهناك تغير آخر أصله قريب من أصل التخالف وهو التقديم والتأخير أي أن حرفاً من حروف الكلمة يقدم ويؤخر مكانه آخره وسببه أن ترتيب الحركات في التصورات أسهل من تغييرها الموجب للتخالف .

كل هذا عن ابدالات الحروف في اللغة عامة أما اللغة العربية ففيها بعض حروف كثر ابدالها عن غيرها وهي مجموعتان :

الأولى الحروف الصوتية المحضة ، والثانية الهمز وحروف اللين أما الحروف الصوتية المحضة وهي ل ، ر ، ن ، م فيتماثل بعضها بعضاً من ناحية أن الغالب على نطقها كلها الصوت الناشئ عن اهتزاز الاوتار الصوتية في الحنجرة ولهذا السبب كثيراً ما يستبدل بعضها من بعض أو تقدم أو تؤخر .

أما حروف اللين والهمز فكثيراً ما يحذف الهمز ويبدل واو أو ياء أو بغير عوض . وأقدم ما حدث ذلك في اللغة السامية الأصلية . وأقدم قانون صوتي لهذا الحذف هو أنه إذا توالى همزتان أولاهما في أول مقطع والثانية في آخره حذفت الثانية ومدت الحركة قبلها . ثم أتى النوع الثاني وهو أنه إذا وقعت همزتان في أول مقطعين متتاليين خففت الثانية . وهذا النوع قسمان : منه ما =

ب ج ، ك ، ف ، ت فالأول يلفظ كالباء العربية أو الفاء الفارسية ف ،  
والثاني إما جيماً أفرنجية قاسية كما في Ga أو غيناً عربية ، والثالث إما دالاً عربية  
أو ذالاً ، والرابع إما كافاً أو خاءً ، والخامس إما فاء عربية أو باء فارسية  
« ب » ، والسادس إما تاء أو ثاء . ويشاهد الابدال في اللغة الواحدة من

= يكون مقطعه الأول من الهمزة المتحركة فقط ، ومنه ما كان مقطعه الأول من الهمزة المتحركة  
وحرف ساكن .

وتخفيف الهمز من باب التخالف وسبب الحذف والابدال منه توالي حرفين متماثلين ، لكن  
يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى بأن نتيجه تسهيل النطق أكثر مما لو حذف أو أبدل  
أي حرف آخر إذ أن الهمزة أصعب اخراجاً من غيرها من الحروف إذ ينبغي لاختراجها اغلاق  
فم الحنجرة ، وهو مفتوح في غيرها ، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام .

أما الواو والياء فيسهل اتحادهما بالحركات إلى حركة واحدة ممدودة والاتحاد نوعان : الأول اتحاد  
الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها . والثاني هو اتحاد الحركة السابقة للواو أو  
الياء بالحركة التالية لها مع حذف الواو أو الياء نفسها . وللواو والياء انقلابات غير الاتحاد منها  
أنهما في بعض الحالات تحذفان إذا وقعتا بعد حرف ساكن . وحذف الواو والياء يشبه التخالف  
وذلك أن حركة الواو هي الضمة وحركة الياء هي الكسرة فيتتابع حرفان متماثلان . ومنها  
قلب الواو ياء وقلب الياء واواً . وقد تستبدل الواو والياء من الهمزة وأكثر هذا التغيير اتفاقي .  
وابدال الواو أو الياء بالهمزة إذا وقعت بعد فتحة ممدودة مطرد قديم حدث في اللغة السامية  
الأصلية ونجده في الاكدية والارامية .  
وهناك جدول يبين التبادل المطرد في اللغات السامية .

| مطبقة |   |   |   | غير مطبقة |   |   |   |       |   |   |                  |  |  |
|-------|---|---|---|-----------|---|---|---|-------|---|---|------------------|--|--|
|       |   |   |   | مهموس     |   |   |   | مجهور |   |   |                  |  |  |
| ض     | ص | ط | ط | س         | ش | ش | ت | ز     | ذ | د | السامية          |  |  |
| ض     | ص | ص | ط | س         | ش | ش | ث | ز     | ز | د | الاكدية          |  |  |
| ض     | ص | ص | ط | س         | س | ش | ث | ز     | ز | د | العبرية          |  |  |
| ع     | ص | ط | ط | س         | س | ش | ت | ز     | د | د | الآرامية         |  |  |
| ص     | ص | ظ | ط | س         | ش | س | ث | ز     | ذ | د | العربية الجنوبية |  |  |
| ص     | ص | ص | ط | س         | ش | س | س | ز     | ز | د | الحبشية          |  |  |
| ص     | ص | ظ | ط | س         | س | س | ث | ز     | ذ | د | العربية الشمالية |  |  |

هذه باختلاف أدوارها وأزمنتها من ذلك في العبرانية « زعق » و « سحق »  
كانتا تلفظان في أول أدوارها « صعق » و « سحق » ومن قواعد اللفظ في  
اللغة الاشورية أن الأحرف السنانية ( س ص ... ) متى وقعت قبل  
أحد الأحرف اللسانية ( ت د ط ... ) تقلب لأمّا . وأن اللسانية السنانية  
متى وقعت قبل « س » تقلب سينا أو صاداً ولا فرق في هذه اللغة بين الميم  
والواو لفظاً ، وحرف واحد يدل على كليهما .

ومن الأدلة على وقوع الابدال أيضاً ما نشاهده في العربية من الألفاظ  
المتقاربة لفظاً ومعنى وهي كثيرة ، تقتصر على ذكر بعضها ليقاس عليها .  
منها قولهم : بَتَكَ وَبَشَكَ بمعنى قَطَعَ وَلَنَانَتْ وَنَشَأَ بمعنى واحِدُ وَبَرَّتَكَ وَبَرَشَكَ  
بمعنى بَتَكَ . ويقال ابشعرت الخيل وابشأرت وابدعرت أي ركضت تبادر  
شيئاً تطلبه . والجبيس والضبيس بمعنى الجامد الثقيل الروح . وبذَّ وبزَّ  
نهب ، وبثَّ وبسَّ فرَّق ، ويقال بلج الماء بمعنى برَّج . ونَبَجَ الكلب ونَبَجَ .  
ويقولون بمعنى السير الشديد أَمَجَ وعمَج . وهَمَجَ وهبَشَ أي ضربَ  
وكذلك خَبَقَ وَحَبَقَ وَالحَبَقَ والعَبَقَ بمعنى البرد ( حب الغمام ) والظاهر أن  
الأولى هي الأصل لأنها مركبة من حب وقرَّ أي برد وكان يقصد بها « حب  
البرد » ثم أبدلت الحاء عيناً بالاستعمال فصارت « عبقَر » . ولحَسَ ولهَسَ  
ولعَسَ بمعنى واحد ومثله كسر وقصر . وبرَقَ وبلَقَ بمعنى شَقَّ . ونَحَزَ ومَحَزَ  
ووكَزَ بمعنى واحد . ويقال خَبَّ الرجل وغَبَّ منع ما عنده وقد أتى بهذا المعنى  
أيضاً هَفَتَ وخَفَضَ وهَبَطَ وغَمَطَ وغَمَضَ . وضيع في المكان أو قَبَعَ أو  
قَمَعَ أقام ويقال غَبَنَ الثوب وخَبَهُ وَكَبَهُ إذا عطفَهُ وخاطَهُ . وبخَسَ عينه  
وبخزها . والبصط كالبيسط في جميع معانيه . وبصعُ من الليل بمعنى  
بضعُ . ويقال بَزَقَ وَبَسَقَ وَبَصَقَ بمعنى واحد . وأفلط على لغة تميم كأفلتَ  
وفلغ رأسه أو ثلغهُ بمعنى شدخهُ وهكذا أيدَ وأكد وقصم وقَطَمَ وقضم  
وقشَمَ . وتسربلَ وتسغبلَ سواء في المعنى . وكذلك الراية والغاية والبلاغة

والبراعة وغنى وقنى . وفي العربية من هذه الأمثال ما يكاد لا يقع تحت الحصر .

فقد ثبت مما تقدم أن الابدال واقع . أما أسبابه فهي في الغالب نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق في أول الأمر ، ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الأصلي ، ويشبه ذلك ما حدث في اللغة العامة بمصر . فانهم شقوا من لفظ « ثقیل » بالابدال ثلاثة ألفاظ لكل منها معنى مستقل فاللفظة الأصلية ثقیل بالثاء ومعناها معلوم . فأبدلوا الثاء سينا فقالوا « سقیل » ومعناها عندهم ثقیل الروح . وأبدلوا أيضاً تاء وقالوا « تقیل » ويريدون بها ثقیل العقل أو الرزین . وقد حصل هذا التغير اعتباطاً . ويقال نحو ذلك في « ثبات » فقد شقوا منها « سبات » . بالسین بمعنى الصبر و « تباب » بالثاء بمعنى البلادة وثقل الروح . يساعد على حفظ هذه التنوعات افتقار اللغة في أول أدوارها للألفاظ ولأنها يساعد على حفظ هذه التنوعات افتقار اللغة في أول أدوارها للألفاظ ولأنها لم تكن محدودة مدونة والابدال جار في كل آن وزمان فكم من الأمم الذين لا يستطيعون لفظ الرائاء كما نلفظها نحن فيلفظونها قريبة جداً من الغین . ومنهم القسم الأعظم من الفرنسيين والانجليز وجميع قاطني الموصل وجوارها . ومن عامتنا من يلفظها لاما وهم في الغالب من الأحداث ، وكثيرون يستحيل عليهم التلفظ بالثاء أو الظاء أو الذال فيلفظونها تاء أو سينا وضاداً أو طاء ودالاً أو زايماً . ويقول السوريون في ظل « ضل » بلفظ الظاء ضاداً ، وبالعكس في ضبط فإنهم يقولون فيها « ضبط » وقد أبدلوا ميم الجمع نوناً فهم يقولون « هن وعليهن » في لهم وعليهم و « بينهن » في بينهم كما سبقت الإشارة . وأهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف إلا همزة مفخمة ، والمصريون أعرق في ذلك فيقولون « آل » في قال و « أمیص » في قميص . وأغرب من ذلك استبدال بعض عامتنا الحاء بالثاء ، فيقولون « صفت » في « صفح » أو الكاف همزة

فيقولون « أأل » في أكل و « آسة » في كاسة ، وبعضهم يعكس الأمر فيلفظ الهمزة كافاً كقولهم سكل في سأل .

وطالما قيل لنا أن بعض سكان البادية يلفظون الكاف شيئاً فيقولون « بيتش » في بيتك ، وهذا ما يدعى لغوياً بالكشكشة وبعضهم يقول « انطى » في أعطى أي بابدال العين نوناً ، والبعض لا يستطيعون لفظ الكاف إلا تاء فيقولون « تان » في كان ، وهكذا في كثير مما لا يسعنا المقام أستيفأؤه .

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات في اللغة قبل أن دونت ، إذ تكون أقدر على حفظها لما سبقت الإشارة إليه . وإنه نظراً لكثرة استعمالها اتخذها الجامعون ألفاظاً أصلية وهم في افتقار إليها ، لأنهم كانوا قد خصصوا كل لفظ حادث بمعنى حادث ، وإن تكن جميع هذه التنوعات قابلة الرد بالاستقراء إلى أصل واحد لفظاً ومعنى . أما بعد أن دونت اللغة وكثرت فيها التآليف ووضعت لها الروابط ، فقد قلَّت قابليتها لحفظ هذه التنوعات مدونة فبقيت محصورة بين العامة .

# القضية الثانية

« إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها »

( يشتمل هذا النوع من الألفاظ على الحروف وما يشبهها وأحرف الزيادة الداخلة على الأفعال والأسماء في الاشتقاق ) والدليل على ذلك أننا إذا استقرينا هذه الألفاظ في لغات كثيرة متفاوتة تهذيباً ، نرى أنها تقرب من الدالة على معنى في نفسها بقدر ما تبتعد عن الارتقاء والتهذيب حتى نصل أخيراً إلى أدنى اللغات ، فنراها خالية من الأدوات والحروف على الإطلاق ، ولكنها تستخدم بعض الأفعال أو الأسماء لقضاء وظيفتها . وإيضاحاً لهذه القضية أذكر بعض الأمثلة متدرجاً من اللغات الدنيا إلى اللغات الأجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عموماً ، وأخيراً العربية خصوصاً .

إن الصينيين كما سبقت الإشارة في غنى عن هذه الأدوات ، فيستعوضون عنها بالأفعال والأسماء فيعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كُوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شَاجِن أي تَنغ » مفادها حرفياً « قَتَلَ رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني أواسط افريقيا قبائل تُعرف بقبائل « مندنجو » إذا أرادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنغ »



أي عنق أو « في » قالوا « كونوا » أي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية ، وهي في الغالب أفعال أو أسماء ذات معان مستقلة .

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا أدوات فيها لتمييز الجنس أو الحال أو العدد أو الزمن أو الشخص أو ما شاكل ، والمشهور من هذا النوع البولينية . والقياس يقتضي أن لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز أصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا أنزلت كما هو ظن البعض في لغتنا .

وكان المصريون القدماء يعبرون عن « من » في قولنا « ساعة من ذهب » بلفظة « نسو » ومعناها الأصلي « لسان » ولا ندرى أي علاقة بين هذين المعنيين حتى استعملت لهما لفظة واحدة ، ولعلمهم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرج من » أي « تكوّن من » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » . وعندهم « خيم » ومعناها حرفياً « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »<sup>(١)</sup> .

والباحث في الطائفة الآرية يرى أمثالاً لا تحصى جميعها تشهد بصدق قولنا وصحة قضيتنا . ويساعد على ذلك سهولة استقراء أدواتها لتوفر المواد اللازمة لذلك ، وهي اللغات القديمة أمهاتها ، منها اللاتينية والجرمانية القديمة واليونانية والسسكريتية . وأكد لا احتياج إلى ذكر شيء من هذا القبيل نظراً لإشتهار أمرها ، لكن لا بد لي من إيراد بعض الأمثلة زيادة للإيضاح .

---

(١) « نسو » ليس معناها الأصلي لسان . وإنما مكونة من حرف « ن » ويقابله في العربية « ل » وضمير الغائب « سو » أي له أو ما يخصه . و« خيم » بالمصرية القديمة « م . خم » بدون . ومعناها الأصلي : « ما لا يعرفه أحد » .

قلما يخطر للمتكلمين بالانجليزية أن Such مثلاً ومفادها « كذا » منحوتة من أصلين يقربان من So—Like ولولا وجود اللغة الانجلوسكسونية أم الانجليزية ، لتعذر استقراؤها . فهي في تلك اللغة Swyic وفي أختها الجرمانية<sup>(١)</sup> Soich وجميعها بمعنى واحد . وهكذا في Which مفادها « أي » وهذه يمكن تتبعها على الطريقة عينها إلى ما يماثل Who Like وهي في الانجلوسكسونية Hwgie وهكذا الحال في If حرف شرط فإنها تُرد إلى Gif في الانجلوسكسونية و Give في الانجليزية أي « أعطى » فكأنهم يقصدون بقولهم If You Come ما هو الأصل Give: That: You Come ولكثرة الاستعمال نحتت إلى If واستغنى عن That فبطل استعمالها فبقيت If حرفاً لا يعرف عنه إلا كونه يستعمل للشرط . وهكذا لو بحثنا عن Iy الاداة التي تلحق أواخر الأسماء فتحولها إلى نعوت والنعوت فتجعلها ظروفناً نحو God الهه Godly الهه Generous كريم Generously كرمأ فقد استطيع تتبعها إلى Lic الانجلوسكسونية وهي في الانجليزية Like أي « مثل » وفي الجرمانية Lich وفي السويدية Lig وفي اليديش Lyk وجميعها بمعنى واحد فعلموا أن Generously كرمأ أصلها Generous—Like « مثل كريم » وهكذا فيما بقي .

أما اللغات الشرقية فتتبع ألفاظها أصعب من المتقدم ذكرها نظراً لقلّة المواد اللازمة ذلك كما هو معلوم . . . بيد أننا لا نعدم وسيلة في تقديم بعض الأمثلة تقرباً من المقصود .

يستعمل العبرانيون ( عِم ) والسريانيون ( عَم ) لما هو في لغتنا

(١) اللغات الجرمانية تشمل ثلاث شعب :

١ - الجرمانية الشرقية وهي القوطية .

٢ - الجرمانية الشمالية وهي لغات ايسلنده والدانمرك والسويد والنرويج .

٣ - الجرمانية الغربية وتشمل الانجليزية - السكسونية ( الانجلوسكسونية ) والانجليزية الحديثة والهولندية واللغات الالمانية . . . الخ والمؤلف يقصد هنا الالمانية .

( مَع ) حرف عطف واللفظة عينها في العبرانية وما يقارنها في السريانية تستعمل بمعنى شعب والعم الشرعي . فيستدل من كل ذلك أن الأصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد ، فاستعملوها اسماً وأداة عطف كما رأيت . ولا يخفى أن ( مَع ) مقلوبة عن ( عَم ) وعند العبرانيين ( مَدُوع ) بمعنى « لماذا » مركبة في الأصل من ( مَه ) الموصولة و ( يَدُوع ) عَلِمَ . وهم يعبرون عن قولنا « حسب » بقولهم ( لَفَى ) وهي مركبة من حرف الجر « ل » و ( فَي ) فم . وعندهم بالمعنى عينه ( كَفَى ) من كاف التشبيه و « في » المتقدم ذكرها . وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح ( أشِرل . . . ) مركبة من ( أشِر ) الذي و ( لام الاضافة ) بمعنى خاصة أو ملك وبعد ذلك بأجيال اختصروا لفظها حتى صارت تلفظ وتكتب ( شِل ) بالمعنى عينه ، فلو لم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك العصر لما تيسر لنا تتبع « شِل » إلى « أشِرل . . . » .

والسريانيون يستعملون ( مِكِيل ) بمعنى اذن وهي تحل إلى ( من ) حرف جر و ( كيل ) مفادها « قياس الزمن » ولديهم « هشا » بمعنى الآن مركبة من ( ها ) للتنبيه والاشارة و ( شعا ) ساعة و ( أيكنا ) كيف مركبة من « أي » الاستفهامية و ( كنا ) وهذه أصلها « كهنا » من كاف التشبيه ( هنا ) هذا أو هذه تحل إلى « ها » التنبيهية و ( نا ) الاشارة بمعنى « ذا » فكأن الأصل في « أيكنا » « أي كهانا » . وأغرب من ذلك إنهم ركبوا من « هشا » المتقدم ذكرها و « عدْ » حتى و « ما » الموصولة ما مفاده « حتى الآن » لكنهم اختصروا في لفظها حتى صارت ( عدْ مشْ ) على أن الأصل فيها « عد ما ها شعا » فتأمل .

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة « قلب » لما هو في لغتنا « وسط » وكثيراً ما نسمع بعض العامة يقولون « في قلب البيت » ويقصدون في

وسط البيت<sup>(١)</sup> . يستعمل المالبطيون « تع » للاضافة كما يستعمل الفرنسيون De والانجليز Of ، وعند البحث عن أصلها نرى أنها بقية « متاع » التي لا تزال تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة أو ملك . والمصريون أكثر استعمالاً لها وقد تصرفوا في لفظها فقالوا فيها « بتاع » .

فقد رأيت في ما تقدم أن اللفظة الواحدة تحل إلى لفظين فأكثر ، وإنه بتركيب لفظين فأكثر يحصل لفظ جديد أقل أحرفاً من مجموع أحرفها ، وقد أشرت أن هذه الألفاظ تتحول إلى لفظ واحد بالنحت . وهاك بعض ما يتعلق به زيادة للإيضاح . .

## (٢) النحت

النحت ناموس فاعل على الألفاظ ، وغاية ما يفعله فيها إنما هو

(١) هذا الاستعمال معروف في اللغة المصرية القديمة « م . حد . ايب » ومعناها : في قلب « أي في » أو في وسط ، وهي في لغة العامة من الاصل المصري .

(٢) قد تقاوم الكلمات القصيرة الانحرافات التي تصيب الكلمات الطويلة باطراد . والكلمات الطويلة على العكس من ذلك ، تقدم لنا في بعض الأحيان انحرافات خاصة ناجمة من طولها . هذه بوجه خاص هي الحال بالنسبة لكلمات كثيرة الاستعمال ، ومن ثم يمكن فهمها قبل النطق بها إلى حد أن المتكلم يستطيع أن يعفي نفسه من توضيح النطق بها ، مكتفياً بنطقها في صورة مختصرة . فاللب الصوتي واضح فيها بدرجة خاصة . هذه الألفاظ في عمومها إما أدوات مساعدة في اللغة ، وأما عبارات محفوظة متداولة ، ولذلك ليست في حاجة إلى وضوح النطق الذي تقتضيه الرغبة في الأفهام . ويوجد في كل اللغات أدوات وحروف جر وحروف وصل أصلها في غالب الأمر كلمات قائمة بنفسها تحولت إلى أدوات نحوية . وقد جرت محاولات لتفسيرها بنظرية سرعة الكلام فتحفظ اللغة تبعاً لهذه النظرية بالصيغة السريعة ( التي تؤدي إلى النحت ) وبالصيغة البطيئة ( النطق الكامل ) . ولكن هذا التفسير لا يقنع أحداً . . فالسرعة في اخراج الكلام تختلف من لغة إلى أخرى ، ومن غير الصواب أنه توجد في داخل اللغة نفسها صيغتان في آن واحد وأنه يمكن استخدام هذه أو تلك تبعاً لسرعة المحادثة . والواقع أن هناك كلمة كاملة وهي موجودة في الفكر ، وكلمة مختصرة وهي التي تنطق بها الاعضاء . ونشأت الصيغة المختصرة من اتجاه في اللغة طبق إلى أبعد الحدود ، وهي تبين إلى =

الاختصار في نطقها تسهياً للفظها ، واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم تنج من فتكه لغة من لغات البشر أذناها وأسمائها بل قد جرى فيها على السواء من أول نشأتها ، ولم يزل حتى الآن ولن يزال إلى ما شاء الله . ولا يخفى أنه مهما كان من عظيم أمره وكيفما تنوعت طرق عمله ليس للانسان في ذلك يد اختيارية ، فالتحت جار في الألفاظ عن غير قصد من الناطقين :

وهو جار في لغة عامتنا على كيفية ربما أفادت الإشارة إليها ، إذ منها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من عظيم التأثير في ألفاظ اللغة ، وتعلم أنه ليس عليه من مستعظم فأقول :

يستعمل الدمشقيون لفظة « شلون » بامالة الفتح نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام . فلو فرضنا أن لغة عامتنا جمعت في هذه الأيام بغية حفظها لغة كتابية ، وأن أحد علماء اللغة في القرن القادم أو ما بعده قصد البحث في ألفاظ اللغة بحثاً تحليلياً . . فوصل إلى هذه اللفظة ، ماذا ترى يكون رأيه فيها . لا أظنه إلا مرجحاً كونها مركبة من أصلين فأكثر . وربما اهتمدى بعد اجتهاد الفكرة إلى أنها مركبة من « لون » والشين ، ومن تحليل معناها يتبين له أن هذه الشين تتضمن معنى الاستفهام . . إذ أنه يقصد

= أي حد يصل تأثير الاتجاه الصوتي في اللغة إذا لم يعقه عائق ، فهي في الواقع من الصيغ المتطرفة في اللغة .

ومن العسير أن تكون عناصر الكلمة الصوتية متساوية القيمة في داخلها ، فمنها القوي ومنها الضعيف ، منها ما يسود ومنها ما يساد ، ومنها ما يقاوم آثار العوامل الهدامة ومنها ما يستسلم لها بسرعة . السيادة والغلبة هما الصفتان الجوهريتان اللتان على مؤرخ اللغة قبل كل شيء أن يعين حدودهما وأسبابهما في داخل النظام الصوتي للغة التي يدرسها . والواقع أن التكوين الصوتي لكل لغة يقضي بوجود أنواع من السيادة ومن المقاومة الخاصة . ولا يمكن أن تختلف اللغات بعضها عن بعض في التطور الصوتي إلا بصراع ينشأ بين الاصوات من جراء التوازن . غير أنه فيما عدا التأثيرات الخاصة بكل لغة ، توجد تأثيرات عامة تظهر في كل اللغات وهي نتيجة لاتجاهات طبيعية فسيولوجية ونفسية معاً .

من استعمالها مع « لون » الاستفهام عن الكيفية . لكنه عند ذلك لا يكون قد فعل شيئاً لأنه لم يزل جاهلاً معنى هذه الشين الأصلي . فهذا إذا كان ممن يذهبون إلى أن الألفاظ كذا أنزلت ، لا يرى بدأً من التسليم أن هذا الحرف إنما وضع للاستفهام . لأنه يراه قد ورد كثيراً في لغات بيروت ولبنان ، كقولهم « شسمك » بمعنى ما هو اسمك وما شاكل . وإن كان ممن يعتقدون الخلاف ويعلمون أن جميع الأدوات الدالة على معنى في غيرها ، إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها ، يأخذ في البحث عن ألفاظ تتضمن هذا المعنى وهذا الحرف ، وربما عثر بعد العناء العظيم على لفظة « شو » التي يستعملها البيروتيون بمعنى « ماذا » فيحكم أن تلك الشين منحوتة منها . وهناك تنقطع سلسلة بحثه فيقف متحيراً أسفاً على ما خسرت اللغة من الألفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء أصل مثل هذه الكلمات ، فيتوقف عن البحث وهو على يقين أن ثم حلقات قدّر فقدانها ، ولولا ذلك لتيسر له الاستقراء كما يشاء . أما نحن الآن نظراً لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولدينا منها لهجات عديدة ، فيسهل علينا تتبع هذه اللفظة إلى أصلها تماماً .

فإن اللبنانيين يعبرون عن « شو » البيروتية بقولهم « آيش » وبعضهم يلفظها « ايشو » ، وبعض البيروتيين تصرفوا بها على طريقة غريبة فقالوا « شُونُو » ، والسودانيون يقولون « شُونُو » ، فمن المقابلة يتضح جلياً أن الأصل فيها جميعها عبارة مؤلفة من ثلاثة ألفاظ مستقل احدها لفظاً ومعنى وهي « أي شيء هو » . وهنا يعرض لدينا سؤال آخر ، وهو هل يمكننا استقراء إحدى هذه الألفاظ إلى أكثر من أصل واحد . والجواب أننا لحد معرفتنا الحاضرة ، يصعب علينا ذلك ويلوح لي أن بعضها قابل ، وسيأتي الكلام على ذلك في آخر هذا الفصل . والخلاصة ، أفلا يستغرب ذلك اللغوي إذا قيل له أن هذه الشين منحوتة أصلاً من ثلاثة ألفاظ مستقل احدها عن الآخر لفظاً ومعنى .

وهكذا لو سألنا عن «لش» المستعملة بمعنى لماذا، فأننا نراها مؤلفة من لام الاضافة و «ايش» المتقدمة الذكر . فكأن الأصل فيها «لأي شيء هو» والبيروتيون يقولون «بدي» بمعنى أريد وهي منحوتة من «بودي» وبعضهم يقول «ماش» أي لا شيء وهي منحوتة من «ما شيء» وهم يستعملون «شحو» للتنبيه بمنزلة «ها هو» والأصل فيها «اقشع» ولم نكن لنعلم ذلك لولا أن بعض الذين يلفظونها يقربونها من الأصل نوعاً فيقولون «شعو». والمصريون يعبرون عن نفى الحال بقولهم «مُش» وبعضهم يلفظها «ماهوش» تقريباً من الأصل الذي هو «ما هو شيء». واللبنانيون يعبرون عن قولنا «الآن» بقولهم «اسا» ويلفظها بعضهم «هسع» ويقول فيها السودانيون «حسع» والأصل فيها «الساعة» أي هذه الساعة . ومن هذا النوع قولهم «لسا» وأصلها «للساعة»<sup>(١)</sup> والبيروتيون يقولون «هلا» بمعنى الآن وبعضهم يلفظها «هلق» والدمشقيون يلفظونها «هالقيت» بلفظ القاف همزة مفخمة واللبنانيون يلفظونها أقرب للأصل من الجميع فيقولون «ها الوقت» والأصل فيها هذا الوقت أو «ها الوقت». ويستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم «قدّيش» ولا يقصدون بها إلا «كم» على أن الأصل فيها «قدر أي شيء» وهكذا الحال في «كمان» المستعملة بمعنى أيضاً فيها «كما أن».

وهكذا لو تتبعنا سائر الألفاظ العامة . فتأمل كيف يفعل النحت على الألفاظ فيمسحها مسحاً ، ولا يبرح من بالك أنه يختلف في المعنى الواحد باختلاف الأحوال ، كما شاهدت في شووايش وايشو وغيرها . ولا أظنك ترتاب بأنه كان يفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل أن بوشر في جمعها بأزمان . وعليه فلا تعجب إذا ذهبنا إلى أن الألفاظ الدالة على معنى

(١) وأهل ليبيا يلفظونها «لسع» .

في غيرها إنما هي بقايا ألفاظ ذات معان في نفسها ، ولو تعسر علينا  
استقراء جميعها . .

قد مررت مر المسرع على اللغات الاجنبية ولغة عامتنا ، فذكرت منها  
بعض الأمثلة . . فهلّم ننظر في العربية الفصحى لعلها تُسعف فتعطينا أن  
نبين شيئاً من أصول هذه الأدوات ، وبالله التوفيق .

إن الحروف المنطوية تحت هذه القضية هي أحرف الجر والعطف  
والمشبهة بالفعل والمشبهة بليس وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب  
والجوازم والحروف المبنية وأحرف الزيادة .

فمن هذه الحروف ما لا يزال ملموحاً فيه معناها الأصلي الذي كانت  
تدل عليه قبلما قُدر لها فقدانه والاشتغال في ما غيرها . منها قولنا « خلا »  
و « حاشا » الاستثنائيتين وكذا « عدا » فإنها مأخوذة من عدا يعدو أي  
تجاوز . وهكذا الحال في « على » . وكثير من الأفعال والحروف قلما يُنظر  
عند استعمالها حروفاً إلى كونها أفعالاً أو أسماء ، ولو لم تكن الأصول  
المشتقة هي منها كثيرة التداول بيننا لما كنّا نحسبها إلا حروفاً أو طروفاً  
جامدة . مثال ذلك قولنا « داخل البيت » لا نقصد به اعتيادياً إلا « في البيت »  
وهكذا « خارج البيت » وقولنا « نحو البيت » لا نفهم به غالباً إلا « إلى  
البيت » مع أنها مشتقة من نحا ينحو أي قصد ومن مشتقاتها ناحية وقس  
عليها .

ومنها ما لم يعد تتبعها سهلاً لأنها خسرت بعض حروفها لكثرة  
الاستعمال ، وهذه إما أحرف مفردة كالباء واللام والكاف والواو والفاء  
والتاء أو غير مفردة وهي ما بقي منها .

فالباء حرف من حروف الجر يستعمل لافضاء معاني الأفعال إلى



الأسماء ، وهي تأتي لأربعة عشر معنى : الالتصاق والتعدي والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبويض والقسم والغاية والتوكيد . ومعلوم أنه لا يمكن أن تكون جميع هذه المعاني أصلية فيها ، وأظن لا سبيل لنا إلى معرفة ما وضعت للدلالة عليه في الأصل إلا بمقابلتها بالباء المستعملة في اخوات العربية وإذ ذاك نرى أن الباء لا تستعمل في سائر تلك اللغات إلا للظرفية فيرجح أن هذا هو الأصل في دلالتها عندنا . وما بقي من المعاني ليس إلا تفنناً عربياً . فهل تساعدنا هذه النتيجة في تتبع أصلها - نعلم بالاستقراء أن هذه الباء هي بقية كلمة ذات معنى مستقل هي ( بيت ) بدليل أن هذه الأخيرة مستعملة في السريانية ، بمعنى في أو بين ، فيقولون ( بيت قبورا ) أي في أو بين القبور ولنا ( ب ) وهي حلقة موصلة بين « بيت » والباء قد وردت في التلمود والترجوم بمعنى في البيت ، وهي في السريانية مجزوم « بيت » وتفيد الظرفية . فيكون لنا إذن سلسلة تامة الحلقات ، وهي « بيت » ثم « بي » ثم « ب » فيرجح أن الباء هي بقية « بيت » ونظراً لورود « بي » الكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع من أن تكون « في » العربية مقلوبة عنها .

واللام كالباء تستعمل لمعان كثيرة ، ومن المقابلة يتضح أن الأصل في دلالتها الاضافة والقصد أي أنها تتضمن معنى إلى ، وهي تقوم مقامها في العربية والسريانية ، ومما يؤكد ذلك أن « إلى » قد فقدت من السريانية تماماً ، أما العبرانية فتحولت إلى « ال » ثم « ل » ، فيرجح بل يؤكد أن هذه اللام بقية « إلى » . ورب قائل من أين أتيت بهذه الدلالة فأجيبه : يظهر أن الأصل في معنى « إلى » الجهة والناحية كما هو الحال في « نحو » بدليل كون هذه اللفظة ، في العبرانية جمع ما مفاده جهة أو ناحية وفي العربية « إليه » بمعنى جهة أو ناحية . والظاهر أن الأصل في « إلى » لفظ يقارب « إليه » أو هي نفسها ، وكأنهم كانوا يقصدون بقولهم « ذهب إلى المدينة » ما يفيد قولنا « ذهب نحو المدينة » .

والكاف يظهر من المقابلة أن الأصل في مؤداها التشبيه ، بدليل كونها هكذا في بقية اللغات الشرقية . أما أصلها فيظهر أنه فقد من العربية وحفظ في اخواتها . فهي في العبرانية بقية ( كن ) مفادها « كذا » وربما يقصدون بقولهم « زيد كالأسد » زيد كذا الأسد . و « كِن » هذه منحوتة من « أكن » في العبرانية بمعنى « حقيقة » في الكلدانية ( هكين ) أو ( هكي ) وقد شق العبرانيون من « أكن » أيضاً « أك » ظرفاً يفيد التأكيد . وشق السريانيون من « هكن » ( أيك ) تُلَفَظ « آخ » بمعنى كاف التشبيه وربما كان في « كنا » العربية ما يلمح فيه هذا المعنى .

فبناء على ما تقدم يرجح أن كاف التشبيه هي بقية أصل يقابل « أكن » العبرانية ، فقد من العربية ولم يزل محفوظاً فيها مركباً مع لا النافية أعني به « لكن » قال بعض أئمة اللغة أنها تفيد الاستدراك فكأن أصل مؤداها « لا حقيقة » بنفي ما ذكر وتأكيد ما هو آت . هذا ولا غرو إذا شوهد ثم شيء من الاختلاف بين مؤداها الأصلي وما هي عليه ، فإن الاستعمال لا يزال يفعل عليها حتى الآن إذ أن العامة تستعملها بمعنى « اذن » فيقول البيروتيون « شو بعمل لكن » بمعنى « ماذا أعمل اذن » فسبحان الذي يغير ولا يتغير .

والواو تستعمل لما ينيف على ٣٥ معنى جميعها ترد إلى الاستصحاب والاستثنا ، وعليه يرجح كونها منحوتة من أصل حفظ في العبرانية وهو « وَو » متعد مفاده وصل و « سَمَر » . ويرجح أيضاً أن الفاء<sup>(١)</sup> مقلوبة عن هذه الواو لأن هذه الأخيرة تؤدي معنى كليهما في العبرانية والسريانية فهم يقولون « آمن وتحمي » لما هو في لغتنا آمِن فتحي . ولا يصعب تبادلهما لأنها من مخرج واحد . أو أنها بقية « فاء » بمعنى عاد .

(١) هناك تحليل لأصل الفاء وهو أنها نحتت من كلمة « قفا » في قولك جاء فلان قفا فلان قفا فلان .

أما « التاء » ونقصدها هنا تاء القسم ، فقد قال الزمخشري في « تالله لأكيدين أصنامكم » الباء أصل أحرف القسم ، و « الواو » بدل منها و « التاء » بدل من « الواو » ، وفيها زيادة معنى التعجب ، كأنه يتعجب من تسهيل الكيد على يده . اهـ<sup>(١)</sup> .

وما بقي من الأدوات مما لا يلحق فيها معناها الأصلي ، فمؤلف كل منها من حرفين فأكثر . ومن هذه ما هو مركب من أداتين فأكثر نحو « الا » من « أن لا » بالادغام و « ألم » من همزة الاستفهام و « لم » النافية ، وهكذا في « حيثما » و « كأي » و « كذا » و « كيفما » و « اذما » و « لولا » وما شاكل .

ومنها ما يظهر بسيطاً لكنه قابل الحل إلى غير أصل واحد نحو « الآن » فهذه تحل بسهولة إلى « أل » التعريف و « آن » بمعنى الوقت وبجملتها تفيد « هذا الوقت » وكذلك « بين » فإنها مركبة من باء الجر و « أين » ظرف مكان . و « لكن » قد تقدم أنها مركبة من لا النافية و « كن » بمعنى « كذا » . و « ليت » تحل إلى « لا » النافية و « ايت » الدالة على الكون المطلق في السريانية ، وقد أبدلت في العربية « بأيس » كما سترى في محل آخر . و « منذ » تحل إلى « من » و « إذ » . ومثل ذلك « عند » فإنها مركبة من « عن » و « يد » بدليل كونها كذلك في أخوات العربية ، حيث لا تزال تستعمل مكتوبة كل على حدة أي « على يد » . واللام والنون تتبادلان بسهولة كما لا يخفى . فإن العامة تقول في العام الأول « عاملاول » و « عامناول » . وهكذا في « لدى » فإنها على الأرجح مقلوبة عن « ليد » لأنها تتضمن معنى عند تقريباً . و « كم » لا ريب في كونها منحوتة من « كاف » التشبيه و « ما » الموصلة لأنها في أخوات العربية

(١) وتعليل تاء القسم ربما دلنا عليه القسم في مصر ، في قولك وحيات ربنا فالتاء منحوتة من لفظة « حياة » .

«كما»، فكأن الأصل في مؤداها الاستفهام عن الماهية أي انه كان يقصد بها ما مفاده «مثل ماذا» وبالاستعمال خصصت للاستفهام عن الكمية العددية كما حدث في «قدّيش» المتقدم ذكرها . و «مهما» أصلها «ما وما» وهي في العبرانية «ما ومه» أي مؤلفة من ما الموصلة معطوفة على نفسها وكان المراد بها في بادئ استعمالها المبالغة في معنى «ما» . «ولن» منحوتة من لا النافية وأن المصدرية فقصدوا بها في بادئ أمرها نفي المصدر الذي يلمح فيه معنى الاستقبال ، ثم أطلقت لنفي الاستقبال ، وربما كان الأصل في «لم» كذلك «لا ام»، لكنها قد تنوع معناها بحيث يعسر الحكم عليها قطعياً . ويقال بالاجمال أن جميع الأدوات التي تفيد النفي على أنواعه تكون إما تنوعاً للأداة الأصلية «لا» أو مركبة منها وأصل آخر .

أما «لذن» فهي «لدى» بعد أن أدخلت عليها النون التي هي من تفتنات العرب ، فيلحقونها بأواخر الكلم للترخيم كالتنوين وكما هو الحال في «من» الموصلة فإنها و «ما» من أصل واحد بدليل استعمال الاشوريين هذه الأخيرة بمقام الاثنتين ، وفي العبرانية لنا (مه) اداة الموصل لغير العاقل و (مي) للعاقل . ولم يزل العرب حتى الآن يتفننون باضافة النون في أواخر الكلم ، فإن السودانيين منهم يقولون «كيفن» بدلاً من كيف و «متين» في متى . و «متي» نرجح أنها مركبة من «ما» الاستفهامية ، وأصل آخر يفيد الإشارة ربما كان «ذا» لأنها هكذا في العبرانية والسريانية ، فيقول السريانيون «مادّاتا» أي متى أتى ، وبدلاً من «مادّ» السريانية يستعمل العبرانيون «ماش» مركبة من ما الموصولة والشين التي هي بقية اسم الموصول «أشّر» . والذال السريانية هي أداة الموصول بنفسها .

فبعد هذا التجريد قلّت الأصول الناشئة عنها هذه الأدوات وأمكن

حصرها في عدد قليل جداً أهمها : « لا » و « ان » وأخواتها و « أو » و « ما » الموصولة و « من » .

أما « لا » النافية فيظهر أن النطق بها للنفي طبيعي لوجودها في سائر اللغات على السواء بمعنى واحد ، فإنها في اللغات الشرقية « لا » وفي الطائفة الآرية أو أحد تنوعاتها ، والنسبة اللفظية بين هذين اللفظين واضحة لأن اللام والنون من أكثر الأحرف تبادلاً لتقارب مخرجيهما كما مر عليك . والنتيجة أن أحد هذين المقطعين أصلي فيها والآخر مبدلٌ منه . وعندني أن النون هي الأصل بدليل أكثرية ورودها عموماً ، فهي عمومية في اللغات الآرية لأنها في اللاتينية وفروعها Ne و Nemo و No و In وفي اليونانية Ni وفي السنسكريتية An و Na و No وفي الجرمانية Nie و Nein وفي الانجليزية No و Un و Not و Nay وفي الفارسية « نا » أو « نه » و في القبطية An قد أبدلت لاماً في اللغات الشرقية لكنها تركت أثراً يشير إلى سابق وجودها . فلنا في العبرانية ( أين ) بمعنى العدم المطلق ومثل ذلك ( أون ) . وفي العربية لنا « نَهْنَه » و « نَأْنَأ » بمعنى كفكف وأبطل . ولا يخفى أن الأصل في هذين الفعلين « نا » أو « نه » كما في الفارسية وضوعفا للمبالغة كما اعتاد العرب في مثل هذه الأحوال فإنهم يقولون « عَنَنْ » فلان أي أكثر من ذكر حرف الجر « عَن » .

ولا نكتفي بذلك بل نسأل أتى لهذه اللفظة الدلالة السلبية وهل وُجِدت كما هي ، أم نحتت عن أصل سابق لها . والجواب على ما أرى أن هذا المقطع من المقاطع التي ينطق بها الإنسان غريزياً للنفي ، وإلا لما تأتى للصدفة إيجادها على هذه الصورة من المطابقة في سائر اللغات . والنفي في أبسط أحواله يحصل بمجرد رفع الصوت كما لو أردنا تقديم تفاحة إلى طفل مثلاً ، وقصدنا توجيه ارادته لأخذها فأننا نناديه بصوت منخفض قائلين : « تفاحة تفاحة » ، لكن لو أردنا زجره عن أخذها لرفعنا صوتنا قائلين أيضاً : « تفاحة تفاحة » بانتهاز فيفهم قصدنا . ويتضح

ذلك في معاملتنا الحيوانات التي دوننا في الفهم ، فإننا إذا أردنا استدعاء  
 الهر مثلاً نناديه بصوت معتدل : « بس بس . . . » فيأتي آمناً فاهماً مرادنا  
 ولو أردنا طرده من أماننا لما احتجنا إلا لنفس الصوت مرتفعاً مصحوباً  
 بنبرة تهديدية . ( ومن طرق النهي في اللغة الاشورية الحاق صوت  
 تهديدي ، هذه حكايته ( اه ) بصيغة الأمر ، فيقولون في الأمر مثلاً  
 افعل ، وفي النهي اه افعل . . . ) ولا يخفى أننا نستعمل مع رفع الصوت  
 لزجر ذلك الطفل صوتاً غتمياً حاصلاً من اطباق الفم واخراج الصوت من  
 الأنف ، إذ يسمع متوسطاً بين الميم والنون وربما قلده البعض بقولهم :  
 « هم » أو « هن » ، وتستعمله العامة لزجر الأولاد عن أخذ شيء ما ،  
 والأطفال تفهم بالبدئية دلالة هذا الصوت على النهي . ولا يبعد أن يكون  
 هو الأصل لجميع تنوعات النفي المتقدم ذكرها . ويؤيد ذلك كون هذا  
 الصوت الغتمي يستعمل في اللغة المصرية القديمة بمنزلة « لا » الناهية  
 عندنا<sup>(١)</sup> .

أما علاقة هذا المقطع بما قصد به فموكولة بالصورة الذهنية . كما أننا  
 نقصد برفع الرأس نحو الوراء السلب أو الرفض ، وباحتائه نحو الصدر  
 الايجاب أو القبول ، ولا سبيل للتعليل عن هذه الإشارة ونسبتها إلى ما  
 قصد بها على أننا نجريها طبيعياً عن غير علم منا .

ومن غرائب النفي والايجاب مما لا يمكن التعبير عنه تعبيراً واضحاً ما  
 يستعمله بعض عامتنا علامة للسلب ، وهو صوت يحاكي السين أو  
 الصاد ، ويحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق ثم سلخه عنه بطريقة  
 تحاكي لمص أو « تس » والسودانيون يستعملونه أيضاً وعندهم صوت  
 آخر يقصدون به قولنا « نعم » أو « مليح » ، والتعبير عنه بالكتابة تعبيراً

(١) في المصرية القديمة « ن ن » بمعنى لا - لا يوجد ، « م م » بمعنى لا وفي الاشورية يأتي النفي  
 بصيغة ( ai ) ويقابله في الحبشية القديمة ( اي ) وفي المصرية القديمة ( jz اي ) بمعنى لا .

واضحاً صعب جداً . وهو يحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق كالمرّة الأولى وجعل الهواء يمر بعنف في الجهة اليمنى نحو القصبة . ومهما يكن من أمر هذه الأصوات وصعوبة التعبير عنها فهي موجودة واستعمالها جار بكثرة بين ألوف من الأمم . على أننا لم نسمع بوجود حرف يدل على لفظها فالظاهر أنها حديثة العهد<sup>(١)</sup> .

هذا ولا يخفى أن ما صح على « لا » يصح على كل تنوعاتها الناهية والنافية ، أما « لو » فلكونها شرطية وتستعمل حيثما قصد امتناع الجواب لامتناع الشرط ، ونظراً لورودها في كتب اللغة مراراً للتمييز بمعنى ليت وأحياناً للعرض بدلاً من « ألا » أرجح كونها و ( لو ) السريانية شيئاً واحداً ، وهذه الأخيرة منحوتة من ( لا ) والماضي من فعل الكون الذي هو في تلك اللغة ( هوا ) فكان الأصل في استعمالها للتمييز كقولهم « لو نُميتُ التعصب فنحيي الوطن فكاننا قلنا ليتنا نُميتُ الخ » أو العرض بمعنى « ألا » نحو « لو تنزل عندنا فتصيب خيراً » والمقصود « ألا تنزل . . . » وجملة القول أن « لو » تعد من مركبات « لا » السابقة الذكر .

أما « أن » و « ان » وإخواتها و « أن » و « أم » فمن أصل واحد هو احداها والدليل على ذلك أن في سائر اللغات الشرقية لفظة واحدة هي ( ام ) في العبرانية و ( ان ) في السريانية و ( أم ) في الحبشية تقوم مقام جميعها استفهاماً وإشارة وشرطاً وتوكيداً واستداركاً .

وإذا سلمنا بوحدة أصلها يخطر لنا السؤال عن كيفية احتوائها على كل هذه المعاني والدلالات . وعند ذلك يتبين أن الأصل في دلالتها التوكيد والتحقيق فتفرع عنه الاستفهام ، وهو طلب التحقيق والإشارة وهي التحقيق بعينه ، والشرط ويقصد به حسب تعريف النحاة ترتيب

---

(١) تستخدم اللغة الحبشية القديمة كلمة « أوه » بمعنى نعم وأصلها صوتي .

وقوع أمر على وقوع أمر آخر، فكأنهم كانوا يقصدون بقولهم «إن قام زيد أقم» أي متى تأكد قيام زيد تأكد قيامي . أما الاستدراك فهو العدول عن الخطأ إلى الصواب ، وفيه معنى التحقيق وهكذا فيما بقي من مدلولات هذه الألفاظ .

أما الاختلاف اللفظي بين هذه الأدوات فلا يعتد به نظراً لسهولة التبادل بين الميم والنون ، كما قد مر في محل آخر وكما هو الحال في « ذنب » العربية فإنها مبتدلة من « ذنب » في اللغة الاشورية والعامة تقول « انتلى » عوضاً عن « امتلأ » . أما من قبيل الاسبقية بين الميم والنون فالأرجح أنها للميم لأنها من الأحرف السهلة النطق وهي كما أشرنا في أول هذا الكتاب من الأحرف المتفق وجودها في سائر لغات البشر . ولا يخفى أن الأطفال في أول أدوار حياتهم أول ما يتلفظون بها فينادون بها أقرب الناس إليهم ( أمهم ) ويطلبون أول وأهم احتياجات عيشهم فيقولون ( مما ) يقصدون الخبز ، ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في كل لغات البشر بلفظ واحد تقريباً والمقطع الأصلي فيه الميم .

وأغرب من ذلك أن الميم في اللغة المصرية القديمة تستعمل حيثما احتيج إلى ربط معنى بآخر ، فتكون حرف جر فتقوم مقام « من وإلى وعن وعلى وفي » أو حرف عطف عوضاً عن « الواو » أو ظرفاً فتقوم مقام « بين وحيثما وغيرهما » أو حرف تشبيه بدلاً من « كما ومثل » ، وللتحقيق عوضاً عن « أن وأخواتها » ، وتركب مع غيرها من الأدوات فتولد أدوات عديدة لمعان شتى ويستعملونها قبل الأسماء بدلاً مما هو في لغتنا تنوين النكرة فيقولون مثلاً Au— a Em Sera أي « كنت ولداً » فترى أن Au— a تفيد « كنت » و Sera ولد و Em للتكرير . فيظهر أن بينها وبين نون التنوين عندنا نسبة لفظية ومعنوية كما ترى . ويؤيد ذلك أن هذه الميم تستعمل في

(١) كنت ولد : em— sa iw— كنت im ولد sa .



اللغة الاشورية والعبرانية لبناء الظروف فيضيفونها إلى آخر الأسماء فتصير ظروفًا .

وقصارى الكلام يقرب للعقل أسبقية الميم وكونها هي الأصل في كل هذه التنوعات اللفظية ، كما أن معناها الأصلي الذي هو التحقيق أو التأكيد هو الأصل لكل تنوعاتها المعنوية .

والسؤال الأخير الذي لا مناص من مخامرته الذهن هو . أنى لهذا الحرف من الدلالة . ولا ريب أن في الاجابة عليه صعوبة على أنى أرجح كل الترجيح أنها و « أمن » في اللغات الشرقية من أصل واحد ولعل الميم هي من الأحرف الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيًا للتحقيق .

( ربما لاحظ المطالع بين هذه الميم والنون التي تبرهن كونها أصلًا لجميع تنوعات النفي مشابهة لفظية ومناقضة معنوية ، ولا يستغرب استعمال إحدهما في أول الأمر لكلا المعنيين أعني للتحقيق ، والنفي بتمييز نوع المعنى بدرجة نغمة الصوت كما سبقت الإشارة ) .

هذا ولا يفوت القارىء أن « ما » الموصولة وتنوعاتها لفظاً ومعنى تنطوي تحت هذا الباب لأنها مقلوب « ام » المتقدم ذكرها ولأن « ما » في الاشورية تقوم مقام « أم » و « ما » العبرانيتين أي أن وأن وأن وأخواتها ، وأم وما الموصولة ومركباتها في العربية وقولنا « أن هذا إلا ملك » يضاهي قولنا « ما هذا إلا ملك » .

أما « ما » النافية<sup>(١)</sup> فإما أن تكون مبدلة من « لا » أو « نا » وإما أن

---

(١) أقدم أدوات النفي في العربية « لا » ويقابلها في الاكدية والارامية « لا » وفي العبرية « لو » ، وفي الحبشية « ال » ولم نعرفها إلا مركبة في كلمتين : « البو » أي لا يوجد به و « اكو » وأصلها « الكو » بمعنى لم يكن . ويقابل « ال » الحبشية حرف مماثل في العبرية والآرامية القديمة و « ال » في الاكدية . ويرجح أن اللغة السامية الاصلية كانت تحتفظ بالصيغتين « لا » و « ال » =

تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعنى أن الاشوريين مثلاً استعملوا « ما » الموصولة مع « لا » النافية كلمة واحدة مدة للنفي ، ثم صاروا يستعملونها وحدها ويقصدون بها النفي . وقد جرى مثل ذلك في اللغة الفرنسية ، فالفرنسيون يقولون *Personne* ويقصدون بها ولا شخص على أن معناها الأصلي شخص .

أما « أو » فالظاهر أنها و « أي » من أصل واحد لتقاربهما لفظاً ومعنى ، ويؤيد ذلك كونها في اللغات الشرقية أخوات العربية واحدة هي « أو » فهي الأصل في العربية أيضاً . وهي تستعمل فيها لأحد عشر معنى : الشك والابهام والتخير والاباحة والجمع المطلق كالواو ، والاضراب والتقسيم والاستثناء ، بمعنى إلا أو بمعنى إلى أن ، والتقريب

= وأصلها واحد . ويحتمل أن يكون سبب تحالفها لفظاً تأثير قواعد الوصل والتركيب اللفظي في الجملة . ويدل على ذلك تحالف وظائفها في الاكدية والعبرية فإن « لا » في الاكدية للنفي و « ال » للنفي وفي العبرية على العكس من ذلك فإن « لو » للنفي و « ال » للنفي . وقد تعودنا هذا التضاد في الاكدية وفي كثير من قواعدهما بالنسبة للغات السامية الأخرى ، ففي الاكدية مثلاً يؤخر الفعل على فاعله ومفعوله وهو بخلاف ذلك في اللغات السامية الغربية . وقد اشتقت العربية من « لا » أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية ، إلا « ليس » المركبة من لا واسم معناه الوجود . واشتقت العربية من « لا » و « لم » وربما كانت مركبة من لا وما الزائدة و « لن » مركبة من « لا » و « ان » .

ولم تقتصر العربية على اشتقاق حروف للنفي من « لا » بل اخترعت للنفي أدوات جديدة وهي ما وأن وغير . فإن ( ما وأن ) يحتمل أن يكون أصلهما الاستفهام وهذا ظاهر في ما فهي ما الاستفهامية بعينها وأن صعب تصور الطريقة التي سلكتها من معنى الاستفهام إلى معنى النفي . أما « أن » فربما يقابلها حرف النفي في الحبشية « أي » الذي يظهر أن أصله أن ثم قصرت للساكن بعدها . و « أي » و « أن » تقاربان « أي وأين » فربما نشأ قلب الحركة المركبة من الفتحة والكسرة كسرة بسيطة ممدودة عن تأثير أحوال التركيب اللفظي في الجملة . ويمكن أن تكون « أن » أصل معناها أين والتوصل من هذا المعنى إلى معنى النفي سهل . أما « غير » فتعد بين أدوات النفي عطف ( ولا ) عليها نحو ( غير المغضوب ) عليهم ولا الضالين وهي اسم معناه يختلف عن الشيء الذي أضيفت إليه ، فالشيء الموصوف به ليس بالشيء المضاف إليه ، وهذا هو معنى النفي .

والاشتباه والشرطية نحو لأضربنه عاش أو مات . ومعلوم أن هذه الدلالات لا يمكن أن تكون جميعها أصلية ، ويستتج من المقابلة أن الأصل في دلالتها الموافقة. والمساواة بين أمرين ، وعند ذلك يتبين لنا أنها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فقدت من العربية وحُفظت في أخواتها ، فهي في السريانية ( أوي ) طابق أو وافق في العبرانية ( أوه ) اختار فيرجح أن هذه اللفظة هي الأصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار معاً إذ إليهما تعود جميع تنوعات دلالة « أو » .

أما « من » فتأتي لمعان خمسة عشر يُرد جميعها إلى التبعض و ( من ) في العبرانية جزء أو قسم ، وربما كانت مشتقة من أصل يفيد قولنا قَسَمَ أو جزأ .

وهكذا فيما بقي من الأدوات فإن معظمها قابل الرد بالاستقراء إلى أصله بشرط اعتبار فعل النحت وقابلية الألفاظ للتغيير والتنوع دلالة ولفظاً .

وبقي علينا النظر في أمر أحرف الزيادة وفي هل هي بقية ألفاظ ذات معنى في نفسها فنقول :

إن فائدة هذه الأحرف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق والتصريف في الأفعال والأسماء ، فتدخل عليها وتنوع في معناها تنوعاً يختلف باختلاف ذلك الحرف .

وقبل الشروع في استقراءها أذكر شيئاً عاماً يتعلق بأصل هذه الزيادة :

إن الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة . أعني إذا تتبعنا البحث في أحوال اللغات من أسماها إلى أذناها نرى مميزات المشتقات تقل فيها حتى تنتهي إلى لغات لا أثر فيها للاشتقاق مطلقاً ، ومن هذه اللغات ما لا فرق فيه ، ليس فقط بين الماضي والمضارع والمفرد والجمع والمذكر والمؤنث ،

بل لا دليل على وجود مميز بين الاسم والفعل والحرف كما مر في غير هذا المقام .

واللغة عند أول ارتقائها تأخذ في استعمال ما لديها من الألفاظ ، لمعان تخطر للمتكلم ولم تكن في ذهنه من ذي قبل ، فيركب وينحت عن غير قصد ، وينوع في اللفظ والمعنى وهو لا يدري . ولا ينتبه بعد زمن إلا وقد توفر لديه من الفعل أنواع ومن الأسم كذلك . وعلى هذا النسق تولد الاشتقاق الفعلي فكان لنا منه أوزان عدة ، وكذلك التصريف الاسمي فكان لنا به مميزات الجنس والعدد . والاختلاف الحاصل بين اللغات المرتقية في كيفية هذا الاشتقاق ونوعه يؤيد ذلك . فإن في بعض هذه اللغات أزمنة فعلية لا أثر لها في البعض الآخر فهي في اللغات الشرقية اثنان ماض ومضارع ، وفي اللغات الآرية نحو العشرة ، وكل من هذه يختلف عن كل من ذينك الاثنين . أي ولو وجد زمن ماض في الفرنسية أو الانجليزية مثلاً لا يكون في كل طرق استعماله كالزمن الماضي في العربية تماماً . والعالم بشيء من أحوال هذه اللغات يتأكد ذلك يقيناً ، ثم أن من الصيغ الفعلية ما هو اساس هذه اللغة ومستغرب وروده في غيرها ، فإن الصيغ المزيادات في العربية هي أصل المشتقات وعليها عمل عظيم في تنويع المعنى الأصلي ، إذ تكسبه خواص تختلف بين مبالغة وتعددية ومطاوعة ومشاركة ، ومبادلة مما لا يمكن التعبير عنه في اللغات الآرية إلا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة . فنحن نعبر عن حصول الضرب بين قوم على التبادل بقولنا « تضاربوا » ولا يكفي لتأدية هذا المعنى في اللغات الآرية أقل من أربع كلمات . فالانجليز يقولون بالمعنى عينه Each Other They Have Beaten والفرنسيون Ils Se Sont Frappés أو Ils Ont Frappé Les Uns Les Autres ولا يخفى أن اللغات السامية الأخرى تقرب من الآرية من هذا القبيل . وهكذا فيما بقي من صيغ المزيادات ، ونرى من الجهة الأخرى أن من أنواع الاشتقاق والتصريف في الطائفة الآرية ما

تفضل به طائفتنا ، كالحاق بعض الأدوات في أوائل الأصول أو أواخرها للتعبير عن تكرار الفعل أو نفيه ، أو غير ذلك مما لا يسعنا تأديته إلا بإضافة ألفاظ مستقلة كقول الفرنسيين Venir المجيء و Revenir المجيء ثانية Comprendre الفهم و Mal comprendre اساءة الفهم وقول الانجليز Understood فهم و Misunderstood سوء الفهم وهكذا في كثير مما لا يسعف المقام في استيفائه .

والتصارييف الاسمية لا تقل اختلافاً عن الفعلية ، وهي تقوم بتمييز الفعل والعدد والنسبة والتصغير . والجنس في اللغات السامية وبعض اللغات الأخرى نوعان فقط ، مذكر ومؤنث ، أما في اللاتينية واليونانية وغيرهما من الطائفة الآرية فثلاثة ، مذكر ومؤنث و جنس آخر يدعونه ببلغتهم Neutrum أما العدد فبالعكس فإنه ثلاثة في العربية وأخواتها وفي اليونانية أي مفرد ومثنى وجمع ، واثنان في معظم الطائفة الآرية أي مفرد وجمع . وزد على ذلك أن ما يعتبر في هذه اللغة مذكراً ربما اعتبر مؤنثاً في تلك وبالعكس فإن لفظة « بيت » مثلاً مذكرة في العربية ومؤنثة في الفرنسية و Neutrum في الانجليزية .

فما تقدم يتضح أن الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة ، وإنهما يتبعان كل أمة حسب بيئاتها . والأصل في دلالة الألفاظ أن تكون بسيطة ، ثم تتنوع دلالة وتتكاثر لفظاً بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة ، فإذا صحت هذه المقدمة ينتج أن العربية من أرقى اللغات بياناً .

## اشتقاقات وتصارييف جديدة

والاشتقاق والتصريف دائماً التولد في اللغة ما دامت حية ، فالتأمل في لغة عامتنا مثلاً يرى هنالك مشتقات وتصارييف فعلية لم تكن في اللغة قبلاً أعنى لم يتكلم بها العرب . منها قولهم « بَعْرِفْ » بمعنى أعرف الآن وهي تدل على الحال ولا تتعدها ، فتخالف المضارع من هذا القبيل . ويتصرف

مع هذه الباء أي فعل كان ويشترط أن يكون على صيغة المضارع فتكسبه الدلالة الحالية ، فيقال « بعرف » للمتكلم و « بتعرف » للمخاطب و « بيعرف » للغائب الخ . وهناك صيغة أخرى تفيد الحال مع الاستمرار كقولهم « عمياكل » وهي تفيد قولنا « آخذ في الأكل على الاستمرار » ومركبة من الصيغة المتقدمة الذكر بالحق « عم » في أولها وقد ينوعون هذه الاداة فيقولون « مياكل » بابتدائها « من » وحذف الباء والمعنى واحد في كليهما أعني الحال المستمر . وأهل العراق يقولون في هذا المعنى « قآكل » أو « قا أكتب » ، وأهل مراکش يقولون « كا آكل » أو « كا أكتب » .

ويستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم « حاشرب » أي « سأشرب قريباً » ويصرفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال ، فيقولون حاشرب . حشرب . حيشرب . حتشرب . الخ .

ويقول أهل مراکش بهذا المعنى « ماش اشرب » أو « غاد اشرب » ويصرفون الفعل معها مثل تصريفه مع الحاء .

فإذا نظر أجنبي في هذه الصيغ المحدثه في لغة العامة وهو لا يعرف إلا اللغة الفصحى ، فإنه يحكم لأول وهلة أن الباء و « عم » و « من » و « الحاء » و « قا » و « كا » ، إنما هي أدوات مثل أحرف المضارعة وسين الاستقبال وما شاكل ، ولا يخطر له أنها بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها . أما نحن الآن فنظراً لكثرة المواد العامية لدينا ولسهولة حصولنا على حلقات موصلة بين هذه البقايا وأصولها يسهل علينا استقراؤها ، وتتبعها إلى تلك الأصول : فإن عامة البيروتيين تقول بمعنى الحال والاستمرار « عمال آكل » وهي تؤدي معنى « عم آكل » أو « مياكل » تماماً . وبالمقابلة يتأكد لدينا أن الأصل في هذه الاداة إنما هو « عمال » التي هي صيغة المبالغة من « عمل » ، والتقارب في المعنى واضح . فتأمل كيف تحولت « عمال » إلى « عم » وبالأخص إلى « من » ومن أهل بغداد من يقول « قاعد آكل » بدلاً

من « قا آكل » . ومن أهل مراکش من يقول « كائن آكل » بدلاً من « كا آكل » فيستدل من ذلك أن « قا » أصلها « قاعد » و « كا » أصلها « كائن » .

أما الحاء فتبعتها أصعب لا سيما لمن كان بالنسبة إلى لغة عامتنا مثلنا بالنسبة إلى اللغة الفصحى ، وربما جزم باستحالة غير متردد . لكننا من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يتيسر لنا معرفة أصلها بسهولة ، لأن البيروتيين يقولون بمعنى الاستقبال القريب « رَحاشرب » أي سأشرب واللبانيون يقولون « رايح اشرب » بالمعنى عينه فمن مقابلة هذه السلسلة « ح » ثم « رَح » ثم « رايح » يتضح جلياً أن الأصل في هذه الحاء هو صيغة اسم الفاعل من فعل ذى معنى بنفسه هو « راح » أي مضى . وإما « ماش » أو « غاد » في لغة مراکش فواضح أن أصلهما « ماشي » و « غادي » .

فلا غرو بعد ذلك إذا حتمنا أن أحرف الزيادة إنما هي بقايا ألفاظ مستقلة المعنى ، ولولم يتيسر لنا تتبع جميعها إلى أصولها .

أما الباء الدالة على الحال فالوصول إلى أصلها عسر ، وقد يتبادر إلى الذهن أنها بقية لفظ « بدي » العامية ومعناها أريد وأصلها « بودي » وقد سمعنا لبعضهم تعليلاً يجعلها منجوتة من « أبغي » ولكنه لا يخلو من التكلف . على أننا نحكم قياساً أن هذه الباء بقية لفظة ذات معنى في نفسها ، ولو استحال علينا التوصل إلى تلك اللفظة الآن على أننا لا نقنط من امكان استقراء قسم عظيم من هذه الأحرف فنبدأ بالفعل :

## مزيدات الافعال وتصاريدها

إن الأحرف المزيدة في الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي :

الهمزة في أفعل ، والألف في فاعل ، والتاء في تفعل وتفاعَل ، والألف والتاء في افتعل ، والألف والنون في انفعل ، والألف والسين والتاء في استفعَل فالألف في « أفعل » تكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبعها بدون تكلف فاضرب عنها صفحاً . أما الألف في فاعل وتفاعَل فقد حصلت بمد حركة الفاء ، فُصد بذلك بادئ بدء نوع من المبالغة لتوهم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين « فعل » مما سيأتي في محل آخر . أما التاء في تفعل وتفاعَل و « ات » في افتعل فتكسبان الفعل معنى المطاوعة الذي يلح فيه شيء من معنى المجهول ، والمشتراك بينهما جميعها التاء . ولكي نصل إلى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن أصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة في اخوات العربية يظهر لنا أنها بقية « ات » أو ما يماثلها . وهي لفظة من الألفاظ المطلقة لم تنزل مستعملة في العبرانية بمعنى « ذات » ولا تقع إلا مفعولاً بها ، وهي في السريانية ( يت ) . وفي العربية « ذات » مركبة مع « ذا » الاشارية أما الأصل وحده فقد فُقد من لغتنا على ما يظهر ، وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق كما سيأتي في شرح القضايا التالية . أما المطاوعات التائية في العبرانية والسريانية فأقدر على تبيين كونها هي أصل المطاوعة في العربية أيضاً ، إذ أنها تكتب في كليهما ملحقة في أول الفعل ففي السريانية ( اتفعل ) بزيادة « ات » المتقدم ذكرها على المجرد الثلاثي ، وفي العبرانية قلبت الهمزة هاء فهم يقولون ( هتفعل ) فلنا الآن « افتعل » و « اتفعل » و « هتفعل » بمعنى واحد وكلها تفيد المطاوعة . ونظراً لكون كل من « اتفعل » و « هتفعل » يقوم مقام « تفعل وتفاعَل وافتعل » يرجح كل الترجيح أن الاداة المشتركة بينهما جميعاً هي « ات » . أما من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموع دلالة « ات » و « فعل » دلالة افتعل ورفيقاتها ، فواضح لأنه قد تقدم أن هذه الاداة تفيد « الذات » ، فكأنهم أول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها



انحصار الفعل في نفس الفاعل ، فقالوا « ات قتل » بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل ، وقد تنوع معناها بالاستعمال إلى المطاوعة التي تقرب كثيراً من المجهول لأنك تقول « جمعته فاجتمع » ، وبكثرة الاستعمال تولد التنوعان الآخران .

أما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « افتعل » فيرد إلى ناموس القلب بسهولة . على أن بعض أهل مصر ينطقون بها كما في السريانية فيقولون « اتجمع » في اجتماع و « اترفت » في ارتفت . وأغرب من ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انفعل أيضاً ، فيقولون « اتكسر » بالتاء عوضاً من « انكسر » بالنون و « اتقطع » في انقطع . وهذه الأمثال كثيرة الورود بينهم بحيث يكاد يقال أنهم أبطلوا صيغة انفعل وافتعل وابدلوهما باتفعل وكل ذلك من كلام عامتهم .

أما الألف والنون في « انفعل » فإما أن تكون « ات » بعد الابدال كما سبقت الإشارة لتقارب المعنى بين انفعل وافتعل ، ولكون الصيغة الأولى لا وجود لها في السريانية فتنب عنها الثانية . أو أنها بقية « نفس » التي هي بمعنى « ات » تماماً وهي في العبرانية والسريانية « نفس » فما المانع من حصول النحت فيها بحيث خسرت حرفيها الأخيرين ويؤيد ذلك أن هذه الصيغة في العبرانية هي « نفعل » بمعنى المجهول تماماً فربما قصدوا بها بسابقتها . ولا عبرة في الهمزة الزائدة في انفعل .

واستفعل مزيد فيها « است » وهي تؤثر في معناها على كفيات مختلفة ترد إلى الطلب والميل ، وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الأحرف على هذه الخاصية . وبالمقابلة يلوح لنا أنها بقية فعل فُقد من العربية ، وحفظ في السريانية بمعنى مال وهو « سطا » حيث قلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال إلى القتل أو أحب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليه . وما لابأس من ذكره أن « است »

في التركية تفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبة والارتغاب .

وليست هذه كل مزيادات الأفعال في العربية وإنما هي ما غلب استعماله منها ، وهناك مزيادات كثيرة أهملت فاندثرت ، ومنها ما لم يبق منها إلا أمثلة قليلة حفظت في بعض المظان وهي نادرة . فمن مزيادات الثلاثي المهملة مما زيد فيه حرف واحد ما هو على وزن « تفعل » مثل ترمس وترفل أو « نفعل » مثل نرجس و « هفعل » مثل هلقم ، وهذا لا يزال شائعاً في العبرانية و « سفعل » مثل سنس بمعنى نيس . و « مفعل » مثل مرحب بمعنى رجب ، و « فيعل » مثل بيصل و « فوعل » كحوقل ، وهاتان الصيغتان شائعتان على السنة عامتنا إلى اليوم مثل قولهم ، طيلع وطيلع ويبسع وقيعد وخوطر وزوبن وعورض ودوقر - أو على وزن « فاعل » مثل تأبل و « فعل » كفرنص وغيرها . وما زيد فيه « ثلاثة » أحرف افعل كاعلوط و « افعول » وغيرها . وقد أورد صاحب المزهرة أمثلة كثيرة منها - ومن المزيادات التي حدثت في اللغة العربية بعد جمعها « تمفعل » مثل قولهم « تمعزز » و « تمخطر » .

وما يزداد أيضاً في الأفعال نون التوكيد وهي تفيد تأكيد الطلب أو التمني ، وبعد البحث يظهر أنها بقية لفظة بمعنى « هلم أو ليت » حفظت في سائر اللغات السامية إلا العربية فهي في العبرانية « نا » تستعمل للطلب والتمني فيقولون « شب نا » أرجو أن تجلس أو ليتك تجلس . وفي السريانية « نا » أو « ني » وهي تُعد عندهم من الألفاظ المهملة ومنهم من يخطئون فهمها . وفي السامرية « نا » أو « ني » وفي الحبشية تكتب « نع » وتلفظ قريبة من « نا » وهي تصرف عند الحبشيين ويقصدون بها ما نقصد بقولنا « هلم » . والغالب أن هذه اللفظة مأخوذة من أصل يدل على حدث لم يعد مميزاً في اللغات الشرقية ، أما في المصرية القديمة فلنا Na تفيد المجيء ويرجح أن هذه الدلالة هي الأصل في الجميع . إذ أن هذه

التنوعات مهما تعددت لفظاً ومعنى ترد بسهولة إليها ، لأن التوكيد في العربية يستعمل للأمر والنهي والاستفهام والترجي والعرض والتحضيض والتمني والقسم ، وجميعها راجع إلى تأكيد الطلب والتمني ، ويجمعها قولك « هلم » وهذه تقرب معنى من « جاء » على صيغة الانشاء ، فقولنا « هلم نذهب » يضاهي قولنا « تعالوا نذهب » فكأن العبرانيين يقصدون بقولهم « شَبْنا » تعال اجلس أو هلم اجلس . ويقصد العرب بقولهم « قُومَنَّ » هلم قم أو تعال قم . أما التشديد فعارض على النون كما عوض في أن وأخواتها وكما سترى عند الكلام على المضاعف .

ومن اشتقاقات الفعل أيضاً اسم المفعول والفاعل ، واسم الآلة وجميعها إلا الثلاثي المجرد يصاغ بزيادة ميم في أوله ، والأصل في هذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولية ، ففي قولنا « مُكْرَم » نقصد الذي يُكْرِم أو مَنْ يَكْرِم ، وفي « مُكْرَم » نقصد الذي يَكْرِم أو مَنْ يَكْرِم . فنستدل أن هذه الميم هي بقية « مَنْ » أو « ما » الموصولتين لأنها كثيراً ما وردت في العبرانية متصلة بالأفعال مجردة من النون . ويؤيد ذلك تطابقها لتلك الميم لفظاً ومعنى بحيث يمكنها القيام مقامها تماماً ، فإن « ملقط » و « ما يلقط » بمعنى واحد . ثم أن اسم الزمان والمكان يحملان على هذا التأويل مجازاً . أما اسم الفاعل والمفعول في الثلاثي المجرد فحاصلان في الغالب بمد إحدى حركات الأصل .

ومن المشتقات الفعلية المضارع وهو يصاغ بإضافة أحد أحرف المضارعة ( الألف والنون والياء والتاء ) في أول الماضي . وما هذه الأحرف إلا بقايا الضمائر المنفصلة إذ أن الألف والنون من مختصات المتكلم على إطلاقه ، والياء للغائب ، والتاء للمخاطب كما سيأتي في باب الألفاظ المطلقة ، وهي تقابل ضمائر الرفع المتصلة التي نحتت في الأصل من الضمائر المنفصلة .

ورب قائل يقول : « كيف تفيد هذه الأحرف المضارع إذا ألحقت في أول الفعل ، والماضي إذا ألحقت في آخره ؟ » فالجواب : إن اللغة في بادئ أمرها لم يكن فيها مشتقات فعلية ماض أو مضارع ، فكانت لفظة « ذهب » مثلاً تفيد مطلق الذهاب غير مقترن بزمان ، فإذا أراد المتكلم الدلالة على أن الذهاب حدث في زمن مضى ذكر أولاً الفعل ، ثم الضمير . فيقول مثلاً للمخاطب « ذهب انت » فكأنه بتقديمه الفعل لفظاً يشير إلى تقدم حدوثه معنى . وبالعكس ذلك متى أراد الاستقبال فإنه كان يقدم الضمير فيقول : « انت ذهب » مؤخراً الفعل بالوضع بناء على تأخره في الحدوث . ثم خسرت الضمائر بعض أجزائها بالنحت لتخفيف اللفظ فوصلت إلينا على ما نشاهدها وقد جرى ما يماثل ذلك في صدر الاسلام ، فإن بعض القبائل كانوا يقولون : « ان فعلت » بدلاً من « أنا فعلت » ، ويشهد بأن أحرف المضارعة هي في الأصل ضمائر حالة اللغات الأخرى المرتقية حيث يقوم فيها الضمير المنفصل مقام حرف المضارعة عندنا . فالأصل الدال على الذهاب في الانجليزية مثلاً Go فيصاغ منه الحال باضافة الضمير المنفصل في أوله ، فنقول في أذهب I Go ومفادها حرفياً « أنا ذهب » وفي تذهب You Go ومفادها حرفياً « انت ذهب » وهكذا في كثير من اللغات .

ومن هذا القبيل أيضاً صيغ الأسماء فإنها كثيرة في العربية وما أهمل منها أكثر مما بقي . فقد ذكر صاحب المزهري بضع عشرة صيغة مما أهمل أو بطل استعماله ، مثل فعالل ففعول وفيعل وفوعل وفوعل وفعلليل وفنعلليل وففعول وففعول وغيرها . وبعض هذه الصيغ مألوف إلى الآن في أخوات العربية وبعض المألوف منها في هذه مهجور في تلك .

على أن صيغ الأسماء لا تزال تتجدد بتوالي الأزمان للتعويض عما اندثر شأن الأجسام الحية النامية . فمن الصيغ التي حدثت في العربية

وهي شائعة على السنة الشام ، « فَعُول » و « فَعُولَة » للتصغير أو التحبب أو لها معا ، مثل قولهم في نصر الله « نُصُور » ، وفي نعمان « نَعُوم » وفي عائشة « عَيْوُوشَة » وفي أمينة « أُمُونَة » وكلها للتحبب ، ومثل قولهم في سيف « سَيُوف » فإنها للتصغير وعندهم صيغة لتصغير التصغير على وزن « فَعُولَاية » فيقولون في « سَيُوف » « سَيُوفَاية » ومثلها « تنُوفَاية » من « تنُوفَة » تصغير « تنُفَة » وهي عندهم بمعنى القطعة والقليل من كل شيء .  
ومما حدث من صيغ الأسماء وزن « تفعالة » مثل تحمية وتوصاية وتسلاية وأصلها توصية على وزن تفعلة .

### تصاريف الأسماء

نذكر من التصاريف الاسمية أولاً النسبة ، وهي تصاغ بزيادة ياء مشددة مكسور ما قبلها في آخر الاسم ، فمن « تَغْلَبَ » « تَغْلِبِي » ومن « دَمَشَق » « دَمَشْقِي » ، فخاصة النسبة موقوفة على الياء المشددة . وأنى لها هذه الخاصة ؟ يستدل من المقابلة بينها وبين ما يقابلها في سائر اللغات السامية أنها في الجميع من أصل واحد ، فهي في العبرانية كما في العربية تماماً ، أما في السريانية فهي « يا » مفتوح ما قبلها . وهي الأقرب إلى الأصل الذي هو « أوى » في السريانية ومعناه « وافق » أو ناسب كما تقدم ، وهو في العبرانية « أوه » مال أو قَطَنَ وفي العربية « أوى » مال إلى أو قَطَنَ . والظاهر أن الأصل في النسبة أن تكون إلى الأماكن كبيروت ودمشقي ومصري .  
وعندما نرى أن « بيت » تنسب في السريانية « بَيْتَا » بمد حركة التاء يرجح لنا أن ياء النسبة بقية « أوى » المتقدم ذكرها . فقولهم بيروت يراد به ساكن بيروت أو مناسب لها ، وهكذا في البواقي . وأما قولنا علمي وأدي فقد استعمل مجازاً في بادئ الأمر وكثر وروده حتى اعتبر حقيقياً . ومما لا يخلو ذكره من فائدة أن « أوى » تقابل Aveo اللاتينية و Aw السنسكريتية وجميعها بمعنى « مال إلى » . وترى في الأمثلة المقدمة أن الألف والواو فقدتا بالنحت لكنهما قد تظاهرا أحياناً كما في حي وحيوي . ومن التصاريف

الاسمية التصغير ويصعب علينا تحليله إلا أن نعهده صيغة من صيغ الاسم ، تكسبه معنى التصغير نحو ما تكسبه اياه صيغة فعول العامية المتقدم ذكرها - ومما يشترك بين الأفعال والأسماء من الزيادات مميز الجنس والعدد .

أما « مميز الجنس » فليس أصلياً في اللغة والدليل على ذلك أنه يقل في بعض اللغات ولا وجود له في البعض الآخر : قلنا في ما تقدم أن اللغات الدنيا هي في الغالب خالية من مثل هذا المميز . نقول الآن أن بعض اللغات الارية يميز فيها المؤنث من المذكر باضافة ألفاظ مستقلة ذات معنى في نفسها ، إلى أصل مشترك الدلالة يقابل اسم الجنس عندنا . ففي الانجليزية Goat ماعز يقصدون بها المذكر اعتيادياً ، فإذا أرادوا التمييز ودفع الالتباس أضافوا إليها ما يميزها من الضمائر فيقال He Goat للمذكر و She Goat للمؤنث . وقد يحصل هذا التمييز باضافة كلمة « رجل » أو « امرأة » فعندهم Cook تفيد قولنا « طباخ » فيقولون لرفع الالتباس A Man Cook رجل طباخ و A Woman Cook امرأة « طباخ » وقد يحصل التمييز باضافة لفظة ديك أو دجاجة إلى الاسم المشترك ، فيقولون Cock Sparrow مفاده حرفياً « ديك دوري » ويقصدون به « عصفور دوري و Hen Sparrow دجاجة دوري يقصدون بها « عصفورة دورية » . والانجليز لا يميز للجنس أو العدد في نعوت لغتهم مطلقاً ، فيقولون Good Man رجل صالح Good Woman امرأة صالحة Good Men رجال صالحون Good Women نساء صالحات . وهذا النقص في الانجليزية محدود ( في الأسماء ) ، أما في الفارسية فعام في جميع أسمائها فلا يتميز الجنس فيها إلا باضافة كلمة مستقلة المعنى ، فيقولون « شير » أسد وهو اسم جنس فإذا أرادوا الذكر قالوا « شير نَر » أي أسد ذكر أو المؤنث قالوا « شير مَادَه » أسد أنثى ويقصدون بها لبؤة . وهكذا في كثير من اللغات الطورانية ، فإن في التركية يقال ( كما في الفارسية ) « قيون » اسم جنس

الغنم فإذا أرادوا خروف قالوا « اركك قيون » ذكر غنم ، أو غنمة قالوا « ديشي قيون » أي أنثى غنم . وفي بعض المسميات البشرية يزيدون كلمة « قِزْ » ( ابنة ) على المذكر فيصير مؤنثاً ، فمن « قرننداش » أخ عندهم « قِزْ قرننداش » أخت ومن « اوغلان » غلام « قِزْ اوغلان » صبية .

أما في معظم اللغات المرتقية فيميز المؤنث من المذكر بحركة تجعل في أواخر الاسم أو الفعل ، وهي من الفتحة فما دون حتى الكسرة فهي في اللاتينية واليونانية A أو E وفي الفرنسية E وفي المصرية والقديمة والآشورية الفتحة أو الكسرة ، وفي العبرانية الفتحة مسندة. بالهاء . وفي السريانية الفتحة مسندة بالألف ، وفي العربية الفتحة مسندة بالتاء التي تعود هاء عند الوقف : ومن الجهة الأخرى تبدل الهاء العبرانية تاء عند التحرك ، فنحن نقول من قتل « قتلت » للمؤنث ، وهكذا السريان . أما العبرانيون فيقولون ( قتله ) بالهاء فإذا اقتضت العوامل تحريكها قلبت تاء .

فبناء عليه يرجح أن علامة التأنيث ليست إلا حركة وضعت طبقاً لصورة ذهنية شاهدة بمناسبة هذه الحركة لدلالاتها . ويؤيد ذلك اتفاق وجودها في أكثر اللغات على السواء . على أن القياس يقتضي كونها بقية لفظة تفيد قولنا « أنثى » والله أعلم<sup>(١)</sup> .

---

(١) إن تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث والتعبير عن هذا التقسيم باللواحق المستخدمة في اللغات السامية لا يمكن أن يكون أصلياً : ويظهر أن الاسماء كانت تقسم في الزمان القديم تقسيماً أكثر فروعاً مما نعرفه عنها في الحاضر ، ولا نعرف أكان المذكر والمؤنث يميزان في التقسيم القديم أم دخله حديثاً وربما كانت اللغة السامية الأصلية بها أنواع متعددة من الاسماء على نحو ما نشاهده في بعض اللغات وبخاصة لغات « البتو » في جنوب إفريقيا .

أما تاريخ لواحق التأنيث في العربية فالتاء على الفتحة قبلها سامية الأصل ويدل على قدمها وجودها في ماضي الفعل . وكثيراً ما حذفت الفتحة في السامية الأصلية وبقيت لنا آثار منها في العربية مثل بنت وكلتا مؤنث كلا . والألف الممدودة لا يقابلها في اللغات السامية إلا القليل . والألف المقصورة توجد في العبرية والآرامية ، وفي العربية آثار للاحقة رابعة للتأنيث هي « الكسرة » في قولك يا لكاع .

و « مميز العدد » حادث في اللغات أيضاً لاختلاف درجات هذا التمييز باختلاف اللغة . وتكلم عن مميز الجمع لأن المثنى فرع منه فيظهر من المقابلة أن علامة الجمع واحدة في سائر اللغات الشرقية أسمائها وأفعالها . ففي العربية النون في الأسماء والأفعال الخمسة ، والميم في الضمائر . وفي العبرانية الميم في الجميع لكنها وردت مراراً عديدة مبدلة بالنون . وفي السريانية النون في الجميع ولم ترد ميماً على الإطلاق وعندما نتذكر قابلية التبادل بين الميم والنون يسهل علينا الحكم بوحدة أصلها في الجميع . والنون علامة الجمع في اللغات الهندية وما ينتمي إليها كالفارسية والألمانية والاوردية .

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن الميم في العربية تلحق بأواخر الأسماء للتعظيم فيقال « رجل بحر » أي بحر كبير : وترى بين دلالة هذه الميم وميم الجمع علاقة عظيمة بحيث يكاد يثبت أن كليهما واحد لأن التعظيم والكثرة صورتين متقاربتين الشكل في ذهننا . على أننا بعد كل ذلك لا ننجو من السؤال عن كيفية حصول هذه الميم على هذه الخاصة ، فيتبادر إلى ذهننا أنها بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات السامية والمصرية هي « يم » بمعنى نهر كبير أو بحر ، فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على قدم عهدها وربما كانت حكاية صوت المياه إذا جرت بغزارة فتوهما فيها معنى الكثرة .

وسواء استطعنا تتبع جميع هذه الألفاظ إلى أصلها أو لا ومهما يكن في تعليلنا من الغرابة والتكلف ، فذلك لا يمنع استدلال العقل بهذه الأمثلة القليلة حتى يحكم بالقياس على سائر اللغات ، واعتماداً على ما للأحوال من التأثير في الألفاظ وكيف أنها فاعلة عليها دواما فتتووعها لفظاً ومعنى بين نحت وابدال وقلب .

ونظن ما ذكرناه كافياً لاثبات القضية الثانية ، ونضرب صفحاً عن



أبحاث أخرى مطولة تتعلق بأوزان جمع التكسير وحركات الاعراب ،  
وأسباب المنع من الصرف وغير ذلك من الاشتقاقات والتصاريف التي  
يقتضي لها بحث أدق ، وزمن أطول ومقام أرحب .

ومما لا بد من ذكره أن معظم هذه الألفاظ المانعة الدالة على معنى في  
غيرها ، قد تولدت في اللغة قبل أن بوشر في جمعها بأزمان لا يعرف  
مقدارها ، والأرجح أنها تولدت في جميع اللغات السامية ، وهي في مهد  
أمها أي قبل أن قضي عليها بالثشت والتنوع ودليلنا على ذلك ما بينها من  
المشابهة كما مر .

# القضية الثالثة

إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها

بالاستقراء إلى أصول ثنائية ( احادية المقطع ) تحاكي أصواتاً طبيعية

تشتمل هذه الألفاظ على الأسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلاً من الاسم والفعل إلى أصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يرون هذه الأصول قابلة للرد إلى أقل من ذلك ، وعندني أنها قابلة ولو بعد العناء . .

فالألفاظ أو بحسب زعمهم الأصول الرباعية ، قد أجمعوا مؤخراً على أنها ثلاثية مزيد فيها . وهذه الزيادة إما قياسية فتكون سبناً أو شيناً في أول الكلمة ، والمزيدات تكون على وزن سَفْعَل أو شَفْعَل وهذا الوزن من جملة مزيدات الثلاثي في اللغات الشرقية لكنه أهمل في لغتنا ، وما ورد منه عدّوه رباعياً مجرداً . وأما السريانية فحفظته كباقي المزيدات وهو كثير الورد فيها ونادر في العبرانية . فمن الألفاظ التي وردت على هذا الوزن عندنا قولهم « سقلبه » أي صرعه من قلبه و « سلغفه » بمعنى ابتلعهُ من لغفه . و « سملج » أي جرع جرعاً سهلاً من ملج الصبي أمه ، تناول ثديها بأذن فمه فرضع . و « شبرق » ملموح فيه معنى برق . ومن هذه الصيغة ما تستعمله العامة ولا أثر له في كتب اللغة كقولهم « س مهد » بمعنى مهد ، و « شلهب » بمعنى لهب وغير ذلك . ومن الرباعي المبتدأ بسين أو شين اسماء كثيرة جميعها تتضمن معنى الطول والسعة . .

وقد تحصل هذه الزيادة بمضاعفة حرف أو أكثر من الأحرف الأصلية ، كجلبب وبلبل وقصقص وقطقط وقطقط وصهلصلق وما شاكل . أو أن تكون حرفاً دخیلاً وهو في الغالب أحد هذه الأربعة « ل م ن ر » فيكون في أول الكلمة كما في نبذر بمعنى بذر ولهذم وكهذم بمعنى القطع ودحدر من حدر وغيرها . أو في وسطها كسطلح من سطح أي اتسع وسلحف من زحف أو سحف ، وبرعط من بعط وخرمش من خمش ، وشربك و شنبك من شبك ، وشمرق من شرق ، ويقال فقع أصابعه وفرقها . أو في آخرها كقولهم الفعل ( الملائن ) من فعم وبحثر بمعنى بحث وبعثر بمعنى بعث ، وسحفر أي مضى مسرعاً من سحف التي حفظت في زحف . وقطعن وقطعر من قطع وقس عليه . وقد تكون الزيادة على طرق أخرى لكنها لا تخرج بالحقيقة عن هذه إلا فيما هو اجنبي ك بعض الكلمات الفارسية ولا ضابط لها ( منها الطست والخوان والسكرجة والجزذجاج من الفارسية . وأكسيند والميكروسكوب والتلسكوب وأسماء أخرى علمية من اليونانية واللاتينية ) وبعض ما كان على وزن فعلن هو من السريانية أو العبرانية مأخوذة عن صفة كشيطن من شيطان ، وقطرن من قطران ، وعربن من عربون ، وقد يصاغ الرباعي من ألفاظ أعجمية تعربت مثل « دولاب » فإنها كلمة فارسية مركبة من « دول » دلو و « آب » ماء ويريدون بها المنجنون التي تديرها الدابة ليستقي بها بما يشبه الساقية عندنا ، فشق المولدون منها فعلاً رباعياً فقالوا « دُولَب فلانا » أي دوره إلى مراده وقس على ذلك .

« والأصول الثلاثة » هي الأكثر في اللغة فلذا كان للبحث فيها أهمية كبرى . وقد تبين مما تقدم أن الأصول الرباعية مزيدة والأصل فيها ثلاثي ، وأقول أن الثلاثي أيضاً مزيد والأصل فيه ثنائي غالباً ، وإيضاحاً لذلك أقسم الأدلة إلى قسمين :

## أولاً : استقراء الفاظ اللغة العربية ومقابلتها ويفيد غالباً في الأصول الفعلية

يرى الباحث في دلالة ألفاظ العربية المدعوة مجردة أن للمعنى الواحد ألفاظاً عديدة تتقارب لفظاً ، ويمكن تقسيم ألفاظ المعنى الواحد إلى مجموعات ، تشترك ألفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الأصل المتضمن المعنى الأصلي . والزيادة ربما نوعته تنوعاً طفيفاً مثاله : قَطَّ وقَطَبَ وقَطَفَ وقَطَعَ وقَطَمَ وقَطَلَّ جميعها تتضمن معنى القطع ، إلا أن كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته ، فالثاني والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع ، والخامس العض والسادس الشدة والأصل المشترك بينها قط ، وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى . ويجانس قط قص ومنها قصم وقصل وقصر وقصف جميعها تفيد القطع . ويجانس قص قص قص ومنها قص وقصر وكسع وكسم ، والأولى والأخيرة من هذه السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ، ويجانس قص أيضاً جذ ومنها جذ وجذب « يقال جذب الريق إذا انقطع » وجذر وجذف وجذم وكلها بمعنى قطع ، ويجانس جذ جز وهذه حكاية صوت المقص إذا جَزَّ شعراً أو صوفاً ومنه جَزَّ وجزأ وجزر وجزع وجرح وجزل وجزم وجميعها من باب القطع . وتنوعات هذا المعنى تفوق المثات عدداً ، وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقة ومجازاً ، وكلها ترد بالاستقراء إلى أصل واحد ، هو حكاية صوت كما رأيت . وهكذا الحال في القسم الأعظم من كلمات اللغة ، فمن هب بمعنى ثار أو هاج لنا هَبَّ وهبَّج ضرب شديداً وهبَّج عدا وأسرع في المشي ، وهبش بمعنى هبَّج وهبص الرجل نشط وعجل وقلق واخيراً هب الفرس فر . فترى أن جميعها يتضمن معنى ثار أو هاج . و « هب » هي حكاية صوت اللهب إذا نفخته الريح . ولنا بمعنى الدق والشدلت ولتب الناقة في أنفها وطعنها

ولتحه ضربه ولتخّ مثل لطحّ والشيء شقّه ولتده أي لكره ، وهكذا لتزه  
ولتفه ولتمه كلها بمعنى الضرب ، والأصل المشترك بينها لتّ ويجانسه لطحّ  
ومنها لطحّ أي لزم وكنتم ، والباب أغلقه والشيء به لصقه ولطأه أي ضربه  
على ظهره ولطأ بالأرض لصق بها ، ولطّته ضربه وهكذا لطحّ ولطحّ  
ولطسّ ولطشّ ولطعّ ولطة وجميعها تنوعات معنى واحد . ولنا بمعنى  
الطلاقة واللفظ والانبساط بس وبسأ وبسم وبسل وبسن أي حسنت  
سحنته وكلها ترد إلى معنى واحد ومقطع واحد هو بس ، وربما كان الأصل  
فيه بش وهو من الأصوات التي ينطق بها الانسان غريزياً عند الاستحسان  
كما لا يخفى . ولنا بمعنى التواء والبروز نبّ ونبت ونبث بمعنى حفر ،  
وكذلك نبش ونبج ونبذ ونبر ونبط ونبض ونبع ونبق ونبه « بمعنى اشتهر  
بالشرف » ونبأ وجميعها تفيد التواء والبروز والاخراج ، أما نبّ فقد جاء في  
حديث الجدود يعمد أحدهم إذا غزا الناس فينب كنيب التيس ، وقال في  
النهاية النيب صوت التيس عند الفساد . والتفّ والتفتّ وسخ الأظافر  
ويقاربه تفيّ وتفلّ بصق وجميعها تشترك بمقطع « تفّ » وهو من الأصوات  
التي ينطق بها الانسان غريزياً عند القرف ، ومنها أيضاً التفن أي الوسخ  
وتفه فلّ وخس . ومن ضروب الفتح لنا فّق وفقأ وفقح وفقر وفقص  
وفقش وفقس ، والعامّة تقول : فقّع وجميعها ترد إلى فق وهذه حكاية  
صوت القرية إذا شقت وهي ملائنة أو ما شاكل . .

فترى في ما تقدم من الأمثال أن الحرف المزيد واقع في آخر الكلمة ،  
وهذا هو الأغلب إلا أنه قد يكون في الوسط أي بين الحرفين الأصليين  
كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص ،  
وقرض من قض ، وشرق من شق أيضاً ولحس ولسع ولهس من لس .  
ويجانس فق بق ومنها برق وبعق . ولهط من لط بمعنى ضرب وقد يكون في  
أول الكلمة نحو رفت من فت ، ولهب من هب ورفض من فض ، ولمس

من مس ، وفطح ويطح من طح ونذل من ذل وغلف من لف ، وقس عليها مما لا يسعف المقام في استيفائه . وسيأتي شرح ذلك بأكثر إيضاح فيما بعد<sup>(١)</sup> .

(١) إن أقدم الاسماء صيغة في اللغات السامية هي الاسماء الثنائية ، وقد حافظت العربية على بنائها الأصلي في كثير منها ، غير أنها اشتقت من بعضها صيغاً جديدة :

١ - بزيادة أحد حرفي العلة أو بزيادة همزة أو هاء مثال ذلك في الجمع السالم اخوات وفي جمع التكسير آباء ومياه وفي الاسماء المشتقة ابوة ، وفي الافعال المشتقة سمي وفاه .

ومن الاسماء الثنائية ما آخره حركة ممدودة وهي بعض اسماء القرابة نحو أبو وأخو وحو ، ومنها اسم يشتمل على حرف واحد فقط هو « فو » والحركة الممدودة سالمة في المضاف نحو أبو زيد وأبونا ، وقصرت مع التنوين نحو أب وفم ، وحذفت مع ضمير المتكلم نحو أبي .

وكانت الفتحة السالفة لتاء التانيث ممدودة أيضاً في هذه الاسماء في اللغة السامية الاصلية ، من ذلك في العربية حماة يقابلها في العبرية « حاموت » وفي الآرامية « حمانا » وفي الاكدية « حيت » . ومن ذلك في العبرية « أحوث » أي الاخت وهي في الآرامية « خاتا » وفي الاكدية « اخات » غير أنها صارت في العربية « أخت » على مقياس بنت .

ومنه مع تاء التانيث عضه ورثة ومئة والمئات والفتحة فيها ممدودة ، ومما حركته فتحة مقصورة شفة وسنة وأمة .

وقد توجد فتحة ممدودة نحو « فاء » أصلها « ماي » وهي في الحبشية « ماي » وقصرت الحركة في العبرية الآرامية « ماي » واتحدت بالاعراب في الاكدية فأصبحت « مو » .

٢ - وقد تكرر مادة ثنائية مرتين فيصبح الاسم في ظاهره رباعياً نحو كوكب وأصله ككب والباء الاولى صارت واواً في بعض اللغات السامية وادغمت الكاف الثانية في بعضها ففي الاكدية « ككب » وبقيت سالمة في المهرية « ككب » .

ومن هذه الاسماء الرباعية مظهراً « قرقر » و « سلسلة » ومنها أيضاً « ليل » وأصلها ليلي وهذه صيغتها في السريانية ، ويدل على ذلك الأصل جمعها على ليلي وزن فعالل .

وكل هذه الاسماء الثنائية هي في اللغة العربية وفي سائر اللغات السامية أصلية غير مشتقة من الأفعال . والحقيقة أن الافعال - إذا وجدت - اشتقت من الاسماء .

وهناك اسماء ثلاثية أصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الاخص اسماء الاشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : النمر والذئب والابل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والثوم والقشأ والكمون ، ومنها لاجزاء الجسم : الرأس والعين والاذن والانف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكثف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والأرض والحقل والبشر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبل والائناء والقمح والدبس ، وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

١ - إنه في كثير منها لا يكاد معناها أن يحتمل الاشتقاق من فعل أصلاً : فمن أي فعل نشق  
اسماء كالذئب والقوم والرأس والارض ولماذا نفترض أن يكون هناك فعل اسبق من هذه  
الاسماء وامثالها .

٢ - إن بعض هذه الاسماء تخالف الافعال التي يحمل معناها الاشتقاق منها بخلاف تامة مثل  
الاذن ففعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى . .

٣ - لا نجد صلة بين أوزان هذه الاسماء ومعانيها فإننا نرى الاسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في  
الوزن نحو الثور والحمار أو العين والاذن . ولو اشتقت من أفعال لكان لكل معنى وزن واحد  
بنيت عليه الاسماء أو أوزان قليلة . .

وقد توجد اسماء دالة على اشياء مادية محسوسة لها معان متقاربة ووزن واحد واقدام مثال لذلك  
بعض اسماء لاعضاء الجسم على وزن فَعْل : منها من الاسماء في اللغة السامية الاصلية  
الكتف والرحم والكبد والكرش والمعدة ومعناها أيضاً النفس « وأصلها نفس وهي في الاكديّة  
« نفشت » وكانت تعد قديماً من اعضاء الجسم . والواقع أن توزان هذه الاسماء ناشىء عن  
أحد سببين :

الأول : إنها اشتقت من أفعال أو بالاحرى من مواد ثلاثية وبقيت على وزن واحد .  
والثاني إن احدها كان اسوة قيس عليه الباقي وهذا كثير في تاريخ اللغات عامة فقد ينشأ الوزن  
في كلمة معينة ثم تقاس عليها كلمات اخرى تشبه معانيها معنى الكلمة الاولى .  
ومن الاوزان القديمة جداً لاسماء اشياء مادية محسوسة : فَعْلل وهو رباعي استخدم في اسماء  
بعض الحيوان منه : عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل وربما كانت الباء في عقرب  
وأرنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منها .

ومن اسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك اسماء الالة والمكان وهو سامي  
الأصل . ووزن مفعال للالة أصله فعال ثم ألحقت به الميم وفعال أقدم وزن لاسم الالة في  
اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق وأسد .

أما أكثر الاسماء المبنية على الاوزان فهي اسماء الصفات ، ولكل وزن منها حيز من  
المعنى والوظيفة ، وكل اسم معناه ووظيفته داخل في ذلك الحيز يبنى على ذلك الوزن . مع  
العلم بأن كثيراً من الاوزان تجمع بين معان مختلفة وكثيراً من المعاني يؤدي بأوزان متعددة  
ولذلك سيبان :

الأول : إنه يوجد بين اسماء المعاني والصفات ما هو أقدم من الاوزان شبيهاً بالاسماء الدالة على  
الاشياء المادية المحسوسة .

الثاني : إن طرق القياس قد كثرت وتشابكت فخالط اشتقاق الاسماء على الاوزان شيء من  
الاتفاق والاضطراب .

ومع كل ذلك فالقياس على الاوزان اقوى بكثير عند اسماء المعاني والصفات منه عند غيرها من  
الاسماء ، وذلك لأن اسماء المعاني والصفات قريبة جداً إلى الافعال ، والافعال غلب عليها =

## كيف حصلت هذه التنوعات ؟

كل من هذه التنوعات إما أن يكون حاصلاً من تركيب أصلين لكل منهما معنى في نفسه أو لا ، فإذا كان الأول كان حصوله على طرق - منها النحت أي ادغام كلمتين فأكثر إلى كلمة واحدة كما مر وهذا رأي بعض اللغويين في الرباعي ، ولا نرى مانعاً من إطلاقه على الثلاثي أيضاً ، لأن بعض الأفعال الثلاثية تقبل الحل إلى أصلين لكل منهما معنى في نفسه ، نحو قطف ويفيد القطع والجمع والأصل فيه على ما أرى « قَطُّ لَفْ » الأولى قطع والثانية جمع وبلا استعمال أهملت اللام ونقلت حركتها إلى ما قبلها فصارت قطف . و « قمش » أي جمع ما على الأرض من الفتات فإنها ترد إلى أصلين ، قَمْ وقش الأول بمعنى كنس والثاني جمع . فكانوا إذا أرادوا كنس شيء ما وجمعه قالوا : « قَمْ قَش » وبالتخفيف ألغيت القاف

= القياس غلبة تكاد تكون تامة مثال ذلك إنا نرى « فرح » تكون اما فعلاً فهي إذا مبنية على الفتحة أي فرح ، أو صفة فهي إذا منصرفة أي فرح ، و « قرب » تكون فعلاً إذا كانت الكسرة مقصورة أي قرب وإذا مدت أصبحت وصفاً أي قريب ، ومثله كثير في اللغات السامية . .

وأكثر منه ما تخالف فيه الفعل والاسم في الوزن وتوافقا في المعنى ، منه كل اسم على وزن فاعل ومفعول وكل المصادر وغير ذلك .

وأكثر اللغات السامية امسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان قديم جداً إلا على القليل من الأوزان كالصادر والانساب فأصبحت جملة اسمائها محدودة ، لا يزال عليها إلا القليل في المدة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو يكاد . وداومت اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على الأوزان المتنوعة . وجاز للشاعر أن يرتجل الاسماء الجديدة على الأوزان المعروفة ، فكانت الكلمة تستخدم مرة في بيت من الشعر ثم لا يعاد استخدامها ، وكانت جملة الاسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان في كل وقت ، ووجد عدد من الاسماء في الواقع وإن لم يوجد في الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية في الشعر عند العرب وضبطوا معانيها ، وظن الناس أن هذه الاسماء المدونة في المعاجم هي اللغة العربية ولم يجسروا على اختراع الاسماء باعتبار اللغة حية في أذهانهم ، بل أخذوا بلغة كانت قد ماتت ودفنت في الكتب ، ولا غرابة في ذلك إذ كان الكثير منهم لا يعرف العربية بل كان من أصل أعجمي .



الوسطى فقل قمش . وهكذا في بعج فإنها ترد إلى « بَعَج » ، ومثل ذلك كثير في الألفاظ الثلاثية وأن استبعد بعضهم هذا التعليل ، فهو غير مستبعد عند من له شيء من الاطلاع على خصائص الألفاظ وقابليتها للابدال والنحت . وزد على ذلك أن من يسلم بإمكان حدوثه في الرباعي بنحت أربع أو خمس كلمات إلى كلمة واحدة كقولهم بسمَل « قال بسم الله » وسبحل « قال سبحان الله » ، وهيلل « لا اله إلا الله » وحوقل « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وحمل « قال الحمد لله » ، وحيعل « قال حي على الصلاة حي على الفلاح » ، وطلبق « قال أطال الله بقاءك » وجعلف « قال جعلت فداك » ، ودمعز « قال أدام الله عزك » لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل . .

أو يتم بواسطة الترخيم أي إهمال القسم الأخير من الكلمة تفنناً في اللفظ كقولهم « يا أبا الحكا » في « يا أبا الحكم » وأمثال الترخيم كثيرة في العربية منها قولهم ، احتسى في احتسب ، وتجمى في تجمع ، وتجنى في تجنب ، وشجا في شجب ، وباهاه في باهجه ، واعتمى في اعتمد ، وتقنى في تقنع ، واحتفى في احتفل ، وفصا في فصل ، ووصى في وصل ، وتمطى في تمطط ، وتغضى في تغضض ، وتدل في تدلدل ، وتطلى في تطلطل ، والسادى في السادس ، وغيره مما يضيق عنه المقام . وعامة الشام يقولون « تعا » في تعال . فهل يبعد تركيب أصلين ثنائيين وتحولهما معاً إلى أصل واحد ثلاثي على طريق الترخيم ؟

وإذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو أن يكون لاحدهما أو لا ، فإن كان الأول كان أحد اللفظين فعلاً ، والآخر حرفاً زيد اعتباطاً . وهو في الغالب أحد هذه « ل م ن ر » وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة أو تنويع الفعل بما يطابق قصده نحو فض ورفض ، وهب وهب ، وشق وشلق ، وكن وسكن وربما كانت هذه

مزيدة سابقتها على نحو ما تقدم في صيغة سفعَل وقس عليه . أما المضاعف والأجوف والناقص فتولدها أقرب من الجميع ، إذ لا فرق بينها وبين الأصل إلا بمقدار الصوت لا بنوعه وسيجيء تفصيل ذلك . وإذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه أي أن لا يكون اسماً ولا فعلاً فلا يخلو أن يكون حرفاً ، وربما كان اسماً أو فعلاً في الأصل ، ولم يعد مميزاً الآن . ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثلاً : من ينظر في لفظة « مال » بمعنى مقتنيات لا يخطر له إلا أنها أصل مستقل ، ولكنها في الواقع مركبة من « ما » الموصولة ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم « مالك » الذي لك أي مالك ومقتنياتك . ولكثرة الاستعمال أصبحت كأنها كلمة واحدة كما حدث في « اشرل . . » العبرانية فتحوّلت إلى « شل » وقد خصت « مال » الآن بالدلالة على نوع النقود من المقتنيات على حين أنها قد تستعمل بمعنى « شل » العبرانية أي « خاصة » ، وقد صرفوا هذه اللفظة وشقوا منها مشتقات عدة فقالوا : ماله يموله مولا أعطاه المال . ومال صار ذا مال وهكذا موله صيره ذا مال ، وأماله أعطاه المال ، وتمول الرجل كثر ماله . ويقولون رجل مال أي متمول معط ولا يبعد أن يكون مال يميل مأخوذ عنه فإن الأصل في مؤدي هذه أحب ورغب والمال أحب ما لدى الانسان . وهكذا إذا بحثنا عن « نور » أو « نار » فإننا نراها مركبة من أصلين فهي في العبرانية « أور » وفي الاشورية « أر » ولنا في العربية ما يدل على سابق وجودها على هذه الصورة ، فإننا نقول استأور فلان أي عجل في الظلمة وهي على صيغة استفعل مصاغة من أصل ربما كان « آر » ونظراً للدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة يرجح أن قصدهم باستأور فلان في الظلمة ، إنه أسرع يطلب النور ، ولنا أيضاً « الأوار » حر الشمس والنار ومنها مجازاً العطش والدخان واللهب والجنوب جمعها « أور » ومن ذلك قولهم « الآر » أي العار . وربما كان الأصل في هذه اللفظة حكاية الصوت الطبيعي الذي يخرج منه الانسان إذا لدعته

النار . أما النون فإما أن تكون بقية كلمة ذات معنى أو أنها لا معنى لها  
ألحقت اعتباطاً من قبيل ما تقدم . .

وكذلك « ويل » فإنها مؤلفة من « وَيْ » لفظ تأوه وهو من الأصوات  
الطبيعية ولا م الاضافة . والدليل على ذلك أن ما نعبر عنه بقولنا « ويلي »  
كان « ويل » كلمة واحدة ، يعبر عنه العبرانيون والسريانيون بقولهم « وَيْ  
لي » وقد وردت « وَيْ » وحدها مراراً عديدة في العربية ، كقولهم « ويك »  
وما شاكل . ومع ذلك تراهم قد جمعوا لفظة « ويل » وصرفوها على  
المزيدات فقالوا : وَيْلٌ وتَوَيْلٌ وتَوَايِلٌ ، واستعملوها اسماً لواد في جهنم ،  
وشقوا منه مرة فقالوا : ويلة ويقصدون بها فضيحة . وزد على ذلك أنهم  
ركبوا من « وَيْ » عدة كلمات منها وَيْحٌ وَوَيْبٌ وربما كان أصلها « وَيْ  
اب » للاستغاثة به ، وَوَيْخٌ ربما من « وَيْ أخ » وَوَيْسٌ وَوَيْه . ولم يكتفوا  
بذلك بل ركبوا من « وَيْل » قولهم « وَيْلُمهُ » بمعنى داه فيقولون لمن عرف  
بالدهاء « وَيْلُمهُ » وهي منحوتة من وَيْ لأمه أو وَيْل لأمه . فتأمل .

وهكذا يقال في الفعل الناقص « ليس » الذي هو بحسب الظاهر  
أصل مستقل فأنه مركب من « لا » حرف نفي و « أيس » الدال على  
الكون المطلق فأدغمتا معاً وكونتا كلمة واحدة كما رأيت . وهذا الأصل  
« أيس » الدال على الكون المطلق واحد في أكثر اللغات المرتقية لا سيما  
القديمة ، ففي العبرانية « يش » وفي السريانية « ايت » وفي اللاتينية  
والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن Est ، وقد تركبت « ايت »  
السريانية مع « لا » النافية فكونت ( ليت ) لنفي الكون المطلق مثل  
« ليس » ، وهي تذكرنا بالحرف المشبه بليس أعني به « لات » ولا يخفى أن  
« ليس » من الأفعال الناقصة فالظاهر أنها كانت تكتب « لا أيس » ولا  
تستعمل إلا منفية كما تكتب أخواتها : ما دام ، وما برح ، وما انفك ،  
وما زال الخ . ولكثرة الاستعمال خفت . وبناء عليه كان يخشى ادغام

هذه الأفعال أو نحتها إلى كلمة واحدة لو لم تكن اللغة مدونة ومضبوطة .  
ويقال نحو ذلك في لسا يلشولشوا أي خَسَّ بعد رفعة فإنها منحوتة من  
« لا شيء » ويوضح أصلها من مزيداتها فيقال لاشاه ملاشاة فتلاشى  
تلاشياً ضمحله وصيره إلى العدم . والعامية تقول تلاشى المريض أي  
انحطت قوته وقارب الوفاة . أما قولهم « لسا » بمعنى خَسَّ فيذكرنا بقول  
الفرنسيين بهذا المعنى تماماً lache .

وكثيراً ما تتكون أفعال من نحت بعض الجمل الندائية كقول العامة  
« ما تبالله » بمعنى « لماذا لا تمشي » والأصل فيها « يا الله » يقولونها عند  
الابتداء بالعمل ، ثم صاغوا منها فعلاً لنحو هذا المعنى ولكنه لا يزال في  
أول تولده ، فلم يتكون منه غير هذه الصيغة . هذا ما وصلنا إليه عن  
طريق مقابلة ألفاظ اللغة فلننظر في القسم من الأدلة .

## ثانياً - استقراء بعض احوال اللغات الأجنبية وحملها بقياس التمثيل على لغتنا

جُمعت اللغة العربية بعد الاسلام بقليل . وأقدم ما لدينا من  
الكتابات هو القرآن . وقد وصل إلينا بعض الأشعار المنظومة قبل ذلك  
الحين بزمان يسير ، ولا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق الذكر .  
وخلاصة القول أن العربية يوم جُمعت كانت على جانب عظيم من الارتقاء  
والتهذيب ، وقد أجبر المتكلمون بها على المحافظة على نسقها محافظة تامة  
بحيث أن اللغة الكتابية اليوم تكاد تكون مثل لغة العرب قبل الاسلام ،  
على أننا لولا محافظتنا على كتب اللغة كما سبقت الإشارة ، أي لو اتبع كل  
جيل اصطلاحات أهله لأمست اللغة العربية الفصحى لدينا الآن لغة  
غريبة لا نفهمها ، ولتنوعت وتعددت لغات الكتابة أكثر كثيراً مما هو

الواقع في لغة التكلم ، ولتعذر على السوريين فهم كتابة المصريين والمصريين كتابة المغاربة وبالعكس ، وبعبارة أخرى لتفرعت اللغة العربية فروعاً يختلف بعضها عن بعض اختلافاً لا يقل عما بين فروع اللغة اللاتينية ( الفرنسية والايطالية والاسبانية والسويدية وغيرها )<sup>(١)</sup> ولاضطررنا في فهم كتابة أسلافنا وزملائنا لدرس اللغة العربية القديمة ، وفروعها الحديثة كما هو الحال في فروع اللغة اللاتينية . فبناء على ما تقدم ليس لدينا من المواد ما يعيننا في تتبع أصل ألفاظ لغتنا كما يرام ، فعسى أن ينجلي لنا ذلك من النظر إلى اللغات الأخرى .

معلوم أن اللغة تكون في أول نشأتها وأبسط أحوالها مؤلفة من ألفاظ قليلة العدد ، كافية لتفاهم المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجاتهم ، فإذا ارتقت أحوالهم واحتاجوا إلى كلمات جديدة يعبرون بها عن معان لم تكن في ذهنهم من ذوي قبل ، ركبوا من الكلمات التي لديهم ما يسد حاجتهم . وقد يسلكون في ذلك مسلكاً آخر . فإن سكان المكسيك القدماء لما رأوا السفينة لأول مرة ولم يكونوا يعرفونها قبلاً ، ولم يكن لها في لغتهم اسم دعوها « اكالي » أي بيت مائي . وأهل ميسوري لم يكن عندهم من الأدوات إلا الصوانية فأول ما جرى إليهم بالحديد والنحاس دعوا الأول « وتساسبسا » أي حجر أسود والثاني دعوه « وتساهيسبسي » أي حجر أحمر . ولما رأى بعض هنود أمريكا الفرس لأول مرة دعوه بما مفاده « كلب سحري » وآخرون دعوه بما هو أغرب من ذلك ، فقالوا ما تعريبه « خنزير يحمل الانسان » ومن غرائب اللغة الصينية تعبيرهم عن قولنا « فضيلة » بأربع كلمات معاً وهي « أمانة - شفقة - اعتدال - عدالة » وعن الوالدين بقولهم « أب أم » . والمكسيكيون أول عهدهم بالماعز وضعوا لها اسماً لا يقل غرابية عن تسمية زملائهم الصينيين وهو بلغتهم

(١) « السريدية وغيرها » يقصد المؤلف البرتغالية والرومانية .

« كواكاووتنتسون » وتعريبها حرفياً « رأس شجرة شفة شعر » فقصدوا بقولهم « رأس شجرة » القرون و « شفة شعر » اللحية وبعبارة أخرى الحيوان ذو القرون واللحية . وأهل ملقاً يدعون السهم « اناك بناء » أي ولد القوس وفي الفارسية « آب ودانة » المعيشة ومعناها حرفياً « الماء والحب » والاستراليون يعبرون عن « متفق » بقولهم « غوردوجينال » أي « قلب واحد أتي » ومن المؤكد أن هذه الكلمات لم يمر عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طريق مختلفة ، نحتاً وابدالاً وقلباً بحيث لم يعد تمييزها سهلاً . فكيف يمكنهم بعد أن تبلغ لغتهم مبلغ لغتنا من الارتقاء والتهذيب أن يخطر لهم أو أن يحلموا أن تلك المسميات مركبة أصلاً من ألفاظ ذات معان مستقلة .

( وفي العربية كثير من ضروب هذه التسمية كقولهم ابنة العنب للخمر وابنة الحان لها أيضاً ، غير أن هذه التسميات حديثة الوضع عندنا . وقد وضعت تفننا في البيان . والدليل على ذلك أن هذه المعاني كلمات أخرى مفردة في لغتنا ، أما في اللغات الأخرى فهي التسمية الوحيدة غالباً ) .

والنحت يفعل في تغيير صور الكلمات فعلاً عجيباً يكاد يفوق التصديق . فإن المندنجو<sup>(١)</sup> من قبائل افريقيا الجنوبية كانوا يعبرون عن « أخت » بقولهم « مي بادو دنغو موسو » ومفادها حرفياً « أنثى ولد أُمِّي » لكنهم نحتوها بالاستعمال فصارت « مبادغموسو » وأغرب من ذلك أن زنوج « غريمو » يعبرون عن حاسة الغضب بقولهم « اه يامو كراوودي » أي « قد نتأ عظم في صدري » لكنهم يسرعون في لفظها فتسمع « يا

(١) المندنجو أو الماندي لغة قبائل تقطن افريقيا الغربية على حوض النيجر وهي من اللغات السودانية من مجموعة لغات النيجر والسنغال . ذكرهم البكري في القرن الحادي عشر الميلادي وابن بطوطة وابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي . وفي سنة ١٨٤٥ نشر D'aveza مفردات جمعت في القرن السابع عشر الميلادي ويرجح أن جرجي زيدان عرفها من كتاب .

A. Steinthal, Die Mande—Nager—Sprachen, Berlin 1867

مكروري « والأغرب من كل ذلك أن سكان جزيرة « فانكوفر »<sup>(١)</sup> لما شاهدوا رجلاً افرنجياً لأول مرة كان ذا لحية طويلة فوضعوا له في لغتهم اسماً هو « يكيكو كسالكوس » ومفادها حرفياً « طويل - وجه - شعر رجل » ثم حروفها ونحتوها حتى صارت « يكبوس » فتأمل . .

ومثل هذه الأمثلة كثير في الطائفة الآرية ومعظمها مركب من كلمات لاتينية أو يونانية أو غيرها . ومن له المام في إحدى هذه اللغات يعلم ذلك . ونأتي هنا بمثل أو اثنين فقط للتمثيل فإن Fortnight الانجليزية منحوتة أصلاً من كلمتين انجليزيتين Forteen Night أي ١٤ ليلة و Double بالفرنسية والانجليزية « مضاعف » أصلها من كلمتين لاتينيتين Duoplex أي « ضعفين » وكذلك Triple و Quadruple واخواتها فإنها مركبة من Plex المتقدم ذكرها والاعداد اللاتينية Quatuor, Tre الخ . والاصول الفعلية المركبة هي أكثر كثيراً في هذه اللغات ، وقلما تجد فعلاً غير منحوت من أصلين فأكثر الواحد في الغالب فعل والآخر اداة . وهذا النوع من التركيب خاص بهذه الطائفة ، وهو أشهر من أن يذكر ، لكننا نذكر هنا مثلاً واحداً يبين مقدار ما وصل إليه هذا التركيب : ركب اللاتينيون من Vox « صوت » سلسلة أفعال وأسماء . منها Vocabulum كلمة Revocabulum قابل النقص و Irrevocablis غير قابل للنقص وقس عليه . .

ومن طرق التعبير في أخوات العربية ما ربما يلقي على بحثنا نوراً فإن العبرانيين يعبرون عن قولنا « فُكِّرَ » بقولهم ما تعريبه « قال في قلبه » وعن « عائلة » بقولهم « بيت أب » ، فجميع هذه الكلمات المركبة يمكن أن ننحت بالاستعمال إلى كلمات مفردة لا يسهل تتبعها إلى أجزائها المؤلفة هي منها . .

(١) فانكوفر جزيرة في المحيط الهادي بالقرب من ساحل كندا .

هذا ولا يخفى أن قسماً عظيماً من الأفعال العربية أصلها أساء جامدة . ربما كانت في الأصل أعجمية معربة ، والغالب فيها أن تكون رباعية كقوتهم « فلسف » وتلفس الرجل تحكم ( من الحكمة ) وتحذق بأنشيء والأصل فيها كلمة يونانية هي Filosofia الفلسفة وهذه مركبة من أصلين Philia حب sofia الحكمة . وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية وأكثرها مأخوذ عن الفارسية أو اليونانية أو اللاتينية . واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان ، فإن العامة تقول « ستف » بمعنى رتب صفوفاً بعضها فوق بعض ، وهي لفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكراً في كتب اللغة ، فالظاهر أنها معربة من Stow التي هي و Stuff من أصل واحد ، فيرجح أن عامتنا أخذت هذا الفعل عن الانجليز . ولو حصل ذلك قبل أن جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الآن بين الألفاظ العربية ، ولما تجرأنا على القول بأنها مأخوذة عن لغة أعجمية . فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل أن تُجمعت وهي إذ ذاك أكثر قبولاً لمثل هذه الاستعارات ، نظراً لاحتياجها إلى الألفاظ ولأنها لم تكن مدونة محدودة محظوراً على أهلها استعمال الألفاظ الأعجمية . .

وفي اللغة العربية ألفاظ تعد من أعرق الكلم في العروبة وما هي منها في شيء . من ذلك لفظ « النبي » بمعنى الرسول ونحوه فقد شقها صاحب القاموس من « نبأ » وما في معنى هذا الفعل ما يدل على النبوة إلا أن يقال بتجليه في مشتقاتها مثل : تنبأ ونبأ ونابأ ، فإن فيها معنى الأخبار . ويلوح لنا أن هذا المعنى مكتسب من لفظ النبي أي أنها مشتقة منه ، وأما هو فيغلب في اعتقادنا أنه مصري قديم مركب من لفظين « نب » و « ي » ومعناهما معاً رئيس البيت أو شيخ العائلة<sup>(١)</sup> . والظاهر أن اليهود اقتبسوا

(١) « نب » في المصرية القديمة معناها « سيد » ووردت في الكتابات المصرية القديمة في عصور متقدمة « نبو » . وقد تكون « ني » بإضافة ياء المتكلم في المصرية القديمة بمعنى « سيدي » .



هذه اللفظة من المصريين القدماء أثناء سكنهم مصر واستخدموها أولاً لهذا المعنى ، فسمّوا بها الآباء الأولين ( راجع المزامير ١٠٥ : ١٥ ) ثم أطلقوها على الأنبياء كافة . وأخذها عنهم العرب لهذا المعنى كلما أخذوا غيرها من الآداب الدينية قبل الاسلام - وكان اليهود يسمون النبي قبلاً « الرائي » يريدون به الذي يرى الغيب .

ومنها « السراب » وهو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض ، وقد شقها صاحب القاموس من « سرب » الماء جرى فقال « سمي بذلك لذهابه على وجه الأرض » - وهي كلمة فارسية مؤلفة من « سير » مملوء و « آب » ماء أي « مملوء ماء » وهو المراد بالسراب . .

ومنها « الملك » واحد الملائكة فإنه لفظ عبراني الأصل بصيغة اسم المفعول من هالك أرسل ومعناها الرسول ، وهو المراد بها في العربية<sup>(٢)</sup> . وقد شقها صاحب القاموس أيضاً من آلك « العربية » . ومن هذا القبيل ألفاظ كثيرة أصلها أعجمي ، وقد تعربت ونسي أصلها .

والخلاصة أننا نستدل من امكان تجريد قسم عظيم من الأصول الثلاثية إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية ومن كون ألفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنى ، على أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها إلى أصول ثنائية احادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية . .

---

(١) ملك أو ملاك دخلت العربية عن الآرامية والاصل عبري دخل الآرامية .

## القضية الرابعة

إن جميع الألفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء

إلى لفظ واحد أو بضعة ألفاظ

إن الألفاظ المطلقة هي التي يمكن الدلالة بواحدة منها على أي نوع من الموجودات ، كما سبقت الإشارة ، وهي تشمل الضمائر واسم الإشارة واسم الموصول ، ويرى الباحث المتأمل في أحوال هذه الألفاظ في لغات مختلفة أنها تكاد تكون واحدة في جميعها ، وأنها من الأدلة الواضحة على وحدة الأصل فيها : وتحسن الإشارة عند الاقتضاء إلى أوجه المشابهة بينها لعلها تسعفنا في تتبع الأصل المتفرعة عنه كل هذه الفروع . وستوحي في ذلك الاختصار بقدر الامكان .

فلنبحث أولاً في الضمائر ، ولنرسمها في كل من اللغات السامية للمقابلة إذا أمعنت النظر في الجدول الآتي رأيت الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد والجنس والشخص ، وأن تمييز العدد قائم بزيادة ميم للمذكر ونون غالباً للمؤنث ، لكنها لا تقع تحت حكم قاطع إذ أنها تتبادلان في أحوال جمّة ، وهي واحدة في السريانية والقياس يقتضي أن تكون الميم في العبرانية للمذكر والنون للمؤنث ، لكن هذه الأخيرة كثيراً ما وردت في مكان تلك ، وليست هي في كل حال إلا مميّزاً للعدد لا دخل لها في مادة الضمير ، لأنها تستعمل حيثما احتيج للدلالة على الجمع سواء كان في الاسم أو الفعل أو غيرهما كما مر .



وأما مميز الجنس ويحصل به التمييز بين المذكر والمؤنث فإنه قاصر في الغالب على الحركات كما تقدم . ويتضح ذلك جلياً في النعوت التي تؤنث وتذكر فأنا بقولنا « حسن » و « حسنة » لا نميز بين الجنسين إلا بالفتح المسند بالتاء التي تلفظ هاء عند الوقف . والأرجح أن أصل التأنيث في العربية أن يكون بالألف مقصورة أو ممدودة كما تعلم . والعبرانيون يؤنثون بالفتح المسند بالهاء وهي تقلب تاء عند التحريك أما في السريانية فتسند هذه الفتحة غالباً بالألف . هذا ما يقال عن النعوت أما في الأسماء فقد تكون التاء علامة التأنيث ، وقد تكون هذه أو تلك تبعاً لمقتضيات العوامل إلا الحركة فإنها من الفتحة فما دون إلى الكسرة . وقد غلبت الكسرة في بعض الضمائر علامة للتأنيث وقد أشبعت في بعض الأحوال حتى كتبت ياء كما في « هي » العربية والسريانية .

( تنبيه أول : ترى في الجدول الذي يلي أن النون في مطلق المخاطب في السريانية تكتب ولا تلفظ ويعبر عن ذلك برسم خط تحتها والكاف في السريانية والعبرانية تلفظ غالباً خاء .

تنبيه ثان : ترى أيضاً أن هذه الضمائر ليست كل ما يستعمله القوم بل هو الأكثر وروداً ) .

فتمييز العدد والجنس ليس أصلياً في اللغة ، وقد مر في شرح القضية الثانية ما يكفي من هذا القبيل ، وأضيف إلى ذلك أن العبرانيين كثيراً ما استعملوا ضمير الغائب المذكر لكلا الجنسين ، وخصوصاً في أقدم كتابات القوم . وربما لوحظ هذا الأمر في أكثر اللغات أول نشأتها فإن معظم لغات البشر لا تميز في ضمائرها بين المذكر والمؤنث إلا في ضمير الغائب ، لأن المتكلم عن شخص غائب يحتاج إلى تعيين جنسه أما المتكلم عن شخص حاضر فقلما يحتاج إلى مثل ذلك ، وإذا تكلم عن نفسه كان في غنى عن تعيين الجنس على الإطلاق .

أما تمييز الشخص فأنه أقدم في اللغة . وهناك ملاحظة لا بد من إيرادها قبل الشروع في البحث عن مميزات الشخص أعني النون الملحقة في أوائل الضمائر والظاهر أنها عارضة عليها بدليل وجودها في الجميع على السواء ، أما مؤداهما فيصعب الحكم في شأنه على أني لا أرى مانعاً في كونها تفيد التوكيد أو التعريف . وربما كانت وأن التوكيدية من أصل واحد فإن النون أو الميم في اللغة المصرية القديمة ، هي أداة للتعريف والتوكيد معاً كما مر . .

وإذا شوهد بين هذه الضمائر ما هو خال من هذه النون لا سيما المختص منها بالغائب ، فلا يعتد به إذ لا يخلو أنها لم تدخل عليها أو أنها دخلت وفقدت كما جرى بها في ضمير المخاطب في العبرانية على أن الأصل على ما أظن وجود النون في جميعها كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة . أما العربية فقد حفظت النون في جميع الضمائر إلا الغائب والسريانية حفظتها كالعربية لكن خطأ لا لفظاً .

أما الطائفة الآرية فلا أثر لهذه النون في ضمائرهما ولعلها كانت قبلاً وذهبت منها وقد تركت الميم M في ضمير المتكلم أثراً يشير إلى سابق وجودها . .

فإذا جردنا الضمائر من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح أن الأصل المختص بالتكلم على إطلاقه مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف فأنه « انا » أو الياء في العربية والسريانية و « أنكي » تلفظ « انخي » في العبرانية و Anol أو في المصرية القديمة و « أنكو » أو « يا » أو « أ » في الآشورية و Ego في اللاتينية و Ego و Egon في اليونانية و Aha أو Ahom في السنسكريتية و I في الإنجليزية و Ich في الألمانية . فترى إنك إذا جردت النون حيثما وجدت يبقى الضمير مقطوعاً محصوراً بين الياء والكاف .

أما ضمير الرفع المتصل في العربية وأخواتها فهو التاء وهذه مبدلة من الكاف ، وقد أشرنا في ما تقدم إلى وقوع الابدال بين هذين الحرفين نظراً لتقاربهما في حكاية الصوت ، ويؤيد ذلك أن هذه التاء لا تزال كافاً في اللغة الاشورية ، فقد كان الاشوريون يقولون « سَكْنُك » بدلاً من قولنا « سَكَنْتُ » .

وقد رأيت أن المقطع الحلقي المختص بالمتكلم فقد من العربية والسريانية في المفرد ، لكنه لم يزل محفوظاً في الجمع « حاء » ففي العربية « نحن » وفي السريانية « حَنَنْ » أما في العبرانية فقد رأيت أنه حفظ في المفرد والجمع ، لكنه فقد من هذا الأخير في أزمنتها المتأخرة ، فإن ضمير المتكلمين كان في العبرانية في أول أزمانها « انحنو » ثم بكثرة الاستعمال أسقطوا لفظ الحاء أحياناً فقالوا « انو » .

وزعم بعضهم أن النون هي الأصل في ضمير المتكلم اعتماداً على تغلبها في جمعه ، وعندنا أن هذه إنما هي نون الجمع وأن وجدت وحدها في بعض الأحوال لأن الحاء أو ما يقاربها نظراً لكونها من الأحرف الحلقيّة فهي سريعة الزوال . ومع ذلك فإنك تراها ثابتة في الضمائر المنفصلة المختصة بالمتكلم في سائر اللغات الشرقية ، إلا في المفرد من العربية والسريانية ، وقد بطل استعمالها في سائر الضمائر المتصلة لفظاً وخطاً لكنها قد تظهر خطأ في بعض أحوال التصريف في السريانية .

أما الداعي لكون Me أو أحد تنوعاتها ضميراً مفعولاً للمتكلم المفرد في اللغات الآرية غير معلوم ، وربما كانت هذه الميم مبدلة من النون الزائدة كما سبقت الإشارة . أما المقطع الحلقي الذي قلنا أنه الأصل المختص بضمير المتكلم فقد فقد من هذه الطائفة كما فقد من الجمع في غيرها ، لكنه ترك أثراً يشير إلى سابق وجوده مرافقاً لهذه الميم مثل

« ميك » في اللاتينية فإنها ضمير المتكلم المفرد وفي حالة الجر تلفظ « ميكى » .

فيستج مما تقدم أن الأصل في ضمير المتكلم على إطلاقه مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف ، وأنه أكثر ظهوراً في المفرد . أما في الجمع فالنون أكثر وروداً في أكثر اللغات الشرقية والآرية ، لكنها ليست من أصل الضمير بل هي نون الجمع .

أما ضمير المخاطب فإذا جرد من مميزات العدد والجنس ومن النون الزائدة اتضح جلياً أن الأصل فيه التاء أو أحد تنوعاتها ، وإذا أعدت النظر إلى الجدول رأيت النون الزائدة في هذا الأصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء ، فإنها في « أنت » مثلاً تكتب وتلفظ في العربية ( وهكذا في الكلدانية والمصرية ) وتكتب ولا تلفظ في السريانية ، ولا تكتب ولا تلفظ في العبرانية ، وبناء عليه فلا يعتمد عليها متى وجدت ، وإنما الاعتماد في المخاطب على التاء فهي الأصل في جميع أوجه تصريفه ، ويؤيد ذلك حالته فيما بقي من اللغات ، فإنها التاء أو أحد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية Tu وفي اليونانية Su ( والسين تبدل تاء وبالعكس كما رأيت ) وفي الفرنسية Tu وأخواتها ، وفي الانجليزية Thou وفي الجرمانية Tu أو Du ، وفي السنسكريتية Tua ، وفي الفارسية « تو » . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات السامية والمصرية . ففي الآشورية « أنا » ، وفي الكلدانية « أنت » ، وفي المصرية القديمة Entuk وفي القبطية Ntok .

أما الكاف في ضمير النصب المتصل فمبدلة من التاء ، وقد رأيت عكس ذلك في تاء المتكلم . وزد عليه أن المصريين القدماء قد أبدلوا ضمير الرفع المتصل كافاً أيضاً ، فهم يقولون مثلاً « قتلَكَ » بدلاً من « قتلت » .

والخلاصة أن الأصل في ضمير المخاطب التاء فذكرت وأنثت وجمعت

وتنوعت تبعاً لما اقتضته أحوال الناطقين بها .

أما « هو » ضمير الغائب فالأصل فيه الهاء كما يظهر من مقابلة اللغات السامية ، ومثل ذلك في اللغات الآرية فهو في اليونانية I وما يركب منها ، وفي اللغات الجرمانية Hua و Hu و Hue و Ho و He و Hei في الفارسية «وي» .

فبناء عليه يرجح أن الهاء هي الأصل في جميع أحوال ضمير الغائب ، فقد أنشئت بالكسر فصارت « هي » ، وجمعت بالميم أو النون فصارت هم أو هن الخ . والقضية لا تحتاج إلى زيادة إيضاح<sup>(١)</sup> .

(١) تتركب الضمائر المنفصلة للمخاطب من المتصلة المستخدمة في الماضي ومن مقطع « أن » ويحتمل أن يكون من أدوات الإشارة .

ويتركب ضمير المتكلم من « أن » ومن الضمير المتصل المستخدم في المضارع « أ » ( أفعل ) . ويتخالف الضميران المتصلان في المتكلم فالمتصل المرفوع في المضارع « أ » أي الهمزة والمتصل المرفوع في الماضي « ت » أي التاء المضمومة . ونرى في بعض اللغات السامية ضمير المتكلم المنفصل يجمع بين الضميرين المتصلين فهو في الآكدية « اناكو » ( أن + آ + كو ) وفي العبرية « أنوكي » وشاهد تخالفاً بين الضميرين الآكدي والعبري وبين العربي فالضمير في هاتين اللغتين هو الكاف وفي العربية التاء . والكاف هي الأصل والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافاً في بعض اللغات السامية بغير علة ظاهرة مفهومة ، وبالعكس إذا كانت الكاف هي الأصل فهما سبب ابدالها تاء بسهولة وهو أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضاً قياساً على المخاطب . ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها في بعض اللغات السامية . فالضمير المنفصل في الآكدية « اناكو » والمتصل « كو » وفي العبرية المنفصل « أنوكي » ولكن المتصل ت والمتصل في الحبشية « كو » . والقاعدة في حياة اللغة عامة هي أن الاختلاف أقدم من الاتفاق في أكثر الحالات . فالتخالف في الحروف بين الضمائر المتصلة أي أن المتكلم بالكاف والمخاطب بالتاء أقدم من توافقها أي أن كليهما بالتاء .

أما المتكلم الجمع فنجد مبنياً على غير صيغة الضمائر المنفصلة الباقية . وكانت حركة أول نونه كسرة في الأصل لا فتحة كما هي في الآكدية وفي الحبشية . وابدال الكسرة بالفتحة فيها في العربية لتشابه الحركة بالحرف الحلقى واختلاف « نحن » عن « أنا » أي أننا لا نجد بينهما العلاقة التي تعودنا أن نجدها بين الجمع ومفرده . والسبب في ذلك واضح فأنا وإن عبرنا عن الصيغتين بالمفرد والمجموع فالنسبة بينهما ليست في الحقيقة نسبة جمع إلى مفرد . فالجمع يتكون من أفراد متساوية أو متشابهة ، ولكن المتكلم المجموع « نحن » لا يتكون من أفراد متساوية =



= كل واحد منها بتكلم « أنا » ، فنحن ليست بجمع أنا وأنا بل هي جمع أنا وأنت أو أنا وأنت وهو إلى آخره ، ولهذا السبب اشتق كثير من اللغات ضميري التكلم المفرد والجمع من مادتين مختلفتين ففي اللغات الهندية الأوروبية مثال لذلك : في اللاتينية Nos, Ego وفي اليونانية Héméis, Ego .

أما المخاطب فجمعه مشتق من مفردة بزيادة ميم في المذكر ونون مشددة مفتوحة في المؤنث ، والميم مجزومة عادة لكنها كانت في الأصل مضمومة . فإذا لم تصبح الميم نهائية بل في الوسط إذا الحق بها ضمير عادت مضمومة ، والضممة ممدودة لأنه لا داعي إلى تقصير الحركة أو حذفها وسط الكلمة نحو قتلتموه . أما حركة التاء في المخاطبين والمخاطبات فهي ضمة وكانت في الأصل كسرة في المخاطبات كما هي في الأكديّة والآرامية فلاختلاف هنا أقدم من الاتفاق .

والمخاطب المثنى مشتق من الجمع وهو حديث بالنسبة إلى سائر الضمائر ولا يوجد في غير العربية من اللغات السامية .

أما الضمائر المتصلة ، المجرورة والمنصوبة فلا فرق بينها إلا في التكلم فالجر فيه « ي » والنصب « في » ومادتها غير ضمائر التكلم والمخاطب المنفصلة والمتصلة المرفوعة إلا في التكلمين وعلامات الجمع والتثنية في هذه مثلها في تلك .

وأما ضمائر الغائب فموضعها الحقيقي بين الضمائر وبين أسماء الإشارة ، وهي تشارك الضمائر في الانقسام إلى منفصلة ومتصلة ، مرفوعة ومجرورة ومنصوبة ، وتشارك أسماء الإشارة في أنه يكتفى بها عن الأسماء . الكناية قريبة من الإشارة ومشتقة منها . وضمائر التكلم والمخاطب تفيد معاني خاصة بها مستقلة لا يكتفى بها عن شيء آخر من الأسماء ، كما ظن ذلك القدماء . فإذا قابلنا بين بنية ضمائر التكلم والمخاطب وبين بنية ضمائر الغائب ، تبين لنا أن المنفصلة من ضمير الغائب ليست مركبة من المتصلة ومقطع « أن » . وكذلك لا يوجد في الغائب ضمائر متصلة مرفوعة خاصة بالماضي ( والفتحة في فعل فأصلها مجهول ومعناها غامض ولا علاقة بينها وبين هو أو الهاء ، والتاء في فعلت وفعلتنا والفتحة الممدودة فيها وفي فعلا ، والضممة الممدودة في فعلوا ، والنون في فعلن فبعضها علامة للمؤنث وبعضها علامة للتثنية وبعضها علامة للجمع ، وليس فيها ضمير ) . أما الحرفين الخاصين بالغائب في المضارع أي التاء في تقتل فلا علاقة له بسائر ضمائر الغائب وربما كانت التاء علامة للتأنيث ، والياء في يقتل يمكن أن تكون ضميراً في الحقيقة . والمنفصلة والمتصلة المجرورة أو المنصوبة من ضمائر الغائب كلها تبدأ بالهاء وهذه الحالة أيضاً من الاتفاق الحديث الذي حل محل اختلاف قديم نشاهد آثاره في بعض اللغات السامية وبخاصة في المهرية فضمائر الغائب فيها « هو » أي هو و « سي » أي هي و « هم » أي هم و « سن » أي هن فحرف المذكر هو الهاء كما في العربية وحرف المؤنث هو السين المقابل للشين في اللغات السامية الشمالية . ولم يحافظ على الشين من اللغات السامية الشمالية =

= إلا الاكدية وقد نقلتها إلى المذكر أيضاً بدل الهاء فصارت الضمائر فيها « شو » أي هو و « شي » أي هي و « شنو » أي هم و « شنا » أي هن .

وضميرا الغائب والغائبة في العربية وفي أقدم الوثائق الارامية « هوا » و « هيا » ينطقان هو وهي غير أن آخره ألف في الاملاء يدل على همزة سقطت ويظهر من ذلك أن الاصل « هوا » و « هي » أو بالاحرى « شي أ » وحذفت الهمزة في العربية وأبدلت واواً في المذكر وياء في المؤنث ، وحدث ذلك في زمن قديم جداً أقدم من زمن سائر تخفيفات الهمز في اللهجات العربية .  
والحالة في جمع ضمير الغائب وتثنيته هي عين حالتيهما في ضمير المخاطب وهذا يدل على أن ضمير الغائب وإن كان أصله ووظيفته غير أصل ضميري المتكلم والمخاطب ووظيفتهما فقد علق بهما في نفس اللغة السامية الاصلية .

# اسم الإشارة واسم الموصول

وأسماء الإشارة مرجعها إلى مقطعي «ها» و«ذا» ومنها يتركب «هذا» و«هاته» و«ذاك» و«تلك» و«زينك» و«تينك». وما شاكل (يظهر أن كاف الخطاب الملحقة في أواخر هذه الأسماء مأخوذة من ضمير المخاطب ويؤيد ذلك أن تثني وتجمع مثله فيقال تلك وتلكما وتلكم وذلك وذلكما وذلكم الخ). ومنها أيضاً نشأ اسم الموصول فإن «أل» الموصولة والتعريفية من المرجح عندي أنها مأخوذة عن «ها» بدليل كون هذا المقطع هو وحده أداة التعريف في العبرانية. على أن نحوي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الأصل في «أل» المشار إليها في اللغتين العربية والعبرانية، وبناء على هذا القول زعموا أن الأصل في الاداة العبرانية «هل» قياساً على العربية، وقالوا أن اللام لا تظهر خطأ وأنه يعوّض عنها لفظاً بتشديد الحرف الأول من الكلمة الملحقة هي بها، فإذا أرادوا تعريف (بيت) مثلاً قالوا (هييت) بالحاق الهاء محركة بالفتح في أوله وتشديد الباء، فتعليلاً لمذهبهم يقولون أن اللام تدغم بالحرف الأول ويعوّض عنها بالتشديد وعندي أنهم أصابوا بوحدة أصلهما، ولكن ربما لم يصح زعمهم بأن الأصل في كليهما (هل أو أل) إذ أن اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظاً ولا خطأً إلا في كلمة واحدة موصولة أعني (هلهزي) وهذه قليلة الوجود جداً في كتاباتهم، فالأرجح عندي أنها مأخوذة من

العربية إذ أنها والاسم الموصول « الذي » شيء واحد لفظاً ومعنى . أما التشديد المرافق لأداة التعريف في العبرانية فربما قصد به التأكيد أو توضيح الإشارة فبناء عليه يرجح أن الأصل في « أل » العربية « ها » التنبيه كما هو الحال في العبرانية ، أما اللام فقد دخلت عرضاً لاسناد الحركة واللام كما لا يخفى من الأحرف ( ل م ن ر ) التي كثيراً ما تدخل في اللفظ اسناداً لحركة أو مقطع كما مر .

ومن الآثار التي تدل على سابق استعمال « أل » للإشارة قولهم « اليوم » و « الساعة » بمعنى هذا اليوم وهذه الساعة . ومن الواضح أن التعريف إنما هو ابن الإشارة ، لأن أبسط طريقة لتعريف أمر ما تقوم بالإشارة إليه . ويؤيد ذلك أن « ذا » التي هي اسم إشارة كما لا يخفى قد استعملت ، ولا تزال تستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات السامية ، فإن ذي في اللغة البابلية و « ذا » أو « د » في اللغة السريانية هي الأداة الوحيدة للموصول والتعريف والإشارة ولا ريب أن « د » السريانية هي بقية « ذي » البابلية ، فلم يستعمل بنوطي « ذو » للموصول عبثاً . وما قولنا « الذي » إلا حجة دامغة على أن الموصول إنما هو ابن الإشارة .

ولنا في الانجليزية The و This و That من أصل واحد الأولى للتعريف والثانية للإشارة ، والثالثة للإشارة والموصول . فثبت مما تقدم أن أسماء الإشارة هي في الأصل من أصل واحد مؤلف من مقطعين ( ها ) و ( ذا ) أو الهاء والذال (١) .

(١) نجد الكثير من أسماء الإشارة في العربية في كتب الصرف والنحو وأكثر هذه الأسماء نادر الاستعمال . ومن المرجح أن اللهجات العربية القديمة كانت تختلف في استخدام أسماء الإشارة على نحو ما نراه في اللهجات الآرامية أو اللهجات العربية الدارجة . وجمع النحويون كل ما وجدوه منها في اللهجات على اختلافها ودونوه دون تفرقة بين اللهجات . وفي عرضنا لأسماء =

الاشارة نضيف إليها اسم الموصول لأنه في الاصل من اسماء الاشارة وكذلك نضيف « ذو » بمعنى صاحب فأنه قريب من اسماء الاشارة .

فإذا استعرضنا اسماء الاشارة المعروفة في العربية وجدنا فيها اضطراباً واختلافاً . والأقرب إلى القياس هو « ذو » فنراها تعرب مثل الاب وتؤنث على وزن اللات ، ولها جمع صحيح غير أن لها جمعاً ثانياً مخالفاً للقياس .

ومادة ذوو وأولو فهي عين مادة المقطع الثاني من هذا وهؤلاء . ونجد بين أشكال اسم الموصول ما هو على قياس سائر الاسماء وهو الجمع ، ونرى المذكر والمؤنث منه يتخالفان كما هي الحالة في الاسماء ، ولا فرق بينها في هؤلاء وأولئك ، وأخذت علامة الجمع المذكر من الجمع السالم ( ويلاحظ عدم التمييز بين المرفوع والمنصوب والمجرور وسبب ذلك التشابه بالمفرد وهو مبني على الكسرة الممدودة ) واللاتي اشتقت من التي بمد الحركة على قياس مدها في الجمع المؤنث السالم .

أما سائر الصيغ التي لم تبين على قياس الاسماء فهي « هذا » يقابلها في العبرية « هزي » وكلاهما مركب من الهاء والذال ، غير أن « ها » في العبرية أداة تعريف وتلحق باسم الاشارة إذا كان تأكيداً لاسم آخر وتسقط في غير ذلك فتصبح « زي » أي أن هذا وهزي تختلفان في المعنى والوظيفة وإن تقاربا في البنية ( ربما كان أصل « زي » العبرية « دي » أي لا تتفق مع « ذا » العربية اتفاقاً تاماً ) ، و« ذي » توجد في العربية أيضاً وهي أصل « ذه » في « هذه » فهي في العبرية مذكورة وفي العربية مؤنثة . فالفرق واضحة بين العربية والعبرية في هذا ، مع ملاحظة أن العبرية فيه أقرب إلى العربية من سائر اللغات السامية مما يدل على أن اسماء الاشارة وإن كانت عناصرها قديمة سامية الأصل ولكن حدد معناها واقترب بعضها ببعض في زمن أحدث من زمن تكونها في كل لغة على حدة .

أما جمع هذا أي هؤلاء فيقابله في العبرية « هالي » والنسبة بين الصيغتين تشبه النسبة بين « هذا » العربية و« هزي » العبرية . فاللام في العربية والعبرية جمع الذال في اسماء الاشارة ، وفي غيرهما من اللغات السامية مثل الآرامية والحشية فهذا في الآرامية القديمة « دنا » وفي الحشية « ز » والجمع في الآرامية « اللي » وفي الحشية « اللو » فيحتمل جمع الذال على اللام أن يكون سامي الأصل . وأما « ذلك » فمركبة من « ذا » ولا م غير لام الجمع في هؤلاء ، ولكنها قريبة من اللام المؤكدة ، وضم إلى الذال واللام حرف ثالث هو الكاف ومعناها للاشارة غير المباشرة ، وهي تؤدي نفس هذا المعنى في الآرامية القديمة « ديك » أي ذلك ، ونجد الكاف في تلك وأولئك .

أما اسم الموصول فأول عناصره لام التعريف ، وثانيها التأكيد ، وثالثها « ذي » وهي هنا مذكورة كما في « زي » العبرية ويطلق « الذي » شكلاً في العبرية « هلا زي » ( وهما أداة التعريف في العبرية ) ومعناها في العبرية « هذا » لا « الذي » .  
وهنا بعض عناصر اشارة تستخدم في غير اسماء الاشارة منها الهاء في ههنا والكاف في هنا .

## فهل من علاقة بين هذا الأصل والضمائر ؟

قلنا أن التاء هي الأصل في مطلق المخاطب فنسبتها لذال الإشارة لفظاً لا تحتاج إلى دليل ، لأن الدال والذال والتاء والسين والشين كثيرة التبادل بعضها من بعض كما تقدم ، وهذا التبادل جار معظمه قياسياً في الادغام كما لا يخفى . ويظهر بأجلى وضوح في اللغات الآرية ، فإن الكلمات المشتركة الأصل المستعملة في لغات مختلفة منها تؤيد قولنا لأننا نرى أن D في اللاتينية تبدل T في الانجليزية و Z في الجرمانية نحو Decem عشرة و Domare داجن فإنها في الانجليزية Ten و Tame وفي الجرمانية Zehn و Zahm والفرنسيون يكتبون Tion ويلفظونها Sion وعندهم Elider و Eliston من أصل واحد . ومن قواعد اللفظ في اللغة اليونانية أن التاء متى وقعت بعد النون تلفظ دالاً وأمثال ذلك كثيرة .

فبناء عليه لا يكون ثم مانع في وحدة الأصل لفظاً ، أما وحدثه معنى فمرجحة أيضاً لأن الدلالة المشتركة بينهما هي الكون المطلق ، فالظاهر أن هذا هو الأصل في جميع تنوعاتها ، لأنه يدل عليه في جميع لغات البشر

---

وربما كان منها الذال في « اذ » وما شاكلها . .

والظاهر أنه كان يوجد في العربية اسم بمعنى الوقت هو « اذ » نشاهد جره في مثل حينئذ ونصبه في إذا . غير أن الأرجح هو أن أصلها كلها أداة اشارية اصبحت اسماً فيما بعد . . ومن العناصر الاشارية الالف واللام للتعريف . وما يدل على أنها في الاصل لم تكن للتعريف فحسب بل كانت أداة اشارة أنها حافظت على معنى الاشارة في بعض الحالات نحو « اليوم » أي في هذا اليوم . .

ونلحق الاستفهام بالاشارة فإن ( من وما ) أصلهما واحد أي « ما » والحقت بها النون وهي من عناصر الاشارة أيضاً ، وإن لم توجد في العربية بين اسماء الاشارة ، فتدل « ما » على الاشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق « ن » وعلى الاشياء إذا وقعت بدونه ، وبعض اللغات السامية يستخدم « ما » و « مي » أيضاً كما أن اكثرها يستخدم « ذا » و « ذي » . ومن اسماء الاستفهام « أي » وهي مضافة في العربية مع أنها وصف في بعض اللغات السامية .

بالتاء أو أحد تنوعاتها كما سبقت الإشارة . فإن هذه التاء تتضمن معنى الكون المطلق في ( ايت ) السريانية ويش العبرانية وايس العربية و Est اللاتينية و Es اليونانية وايت التركية ، وهذه متى تحركت تقلب دالاً Tu وفي المصرية القديمة تستعمل بمعنى Au في الفرنسية . ثم ينقل معناها من الكون المطلق إلى ما يقاربه ، أعني الذات وهي تطلق على كل موجود ، فتقوم مقام أي نوع من الموجودات حسياً كان أو عقلياً ، وهي ذات في العربية ربما كانت مركبة من ذا ( وايت ) و ( ات ) في العبرانية و ( يت ) في السريانية ، و ( أت ) في الكدانية ، و Idem في اللاتينية و Autos في اليونانية ، Tes في المصرية القديمة . ثم تدرج معناها من الدلالة الذاتية المطلقة ، وهذه في العربية ( ذا ) وفي العبرانية ( زه ) ، وفي السريانية ( دا ) ، وفي الآشورية ( سو ) ، وفي اللاتينية Is وفي اليونانية De أو Ide وفي الفرنسية Ce وفي الانجليزية This أو That وفي القبطية Te وفي المصرية القديمة Tai ومن الإشارة المطلقة نشأت الإشارة إلى كل مسمى وأداتها في العربية شيء ، وفي الفرنسية Chose وفي الانجليزية Thing وقد حصل أثناء هذا الانتقال المعنوي تنوعات لفظية ، فخصصوا بعضها للدلالة على القسم الأهم الأعظم بين الموجودات أعني الانسان ، فهو يدعى في العربية انس ، وفي العبرانية ايش ، وفي السريانية نش ، وفي المصرية القديمة Se ، وخصصوا البعض الآخر بالدلالة الاشارية للمخاطب فقط ، فوصلت إلينا على هيئة ضمائر وقد تكلمنا عنها بالكفاءة . وقد تنوع من اسماء الإشارة الموصولات وأحرف الاضافة ، فالأولى قد تكلمنا عنها ما يكفي أما الثانية فلها في العربية « ذو » ومشتقاتها ، وفي العبرانية ايش ، وفي السريانية ( د ) ، وفي بعض اللغات الآرية De وتنوعاتها .

فبناء على كون ضمير المخاطب واسماء الإشارة والموصولات هي جميعاً ألفاظ مشتركة الدلالة ، وكونها قابلة التعويض بعضها عن بعض في اللغة الواحدة ، وكونها متقاربة لفظاً في سائر البشر ، يرجح أنها في الأصل لفظة

واحدة بمقطع واحد . ونظراً لكون التقارب اللفظي يحصرها في الأحرف السنانية يرجح أن ذلك الأصل هو التاء متحركة وأن الأصل في دلالتها الكون المطلق ، وأن منها تولدت جميع هذه التنوعات لفظاً ومعنى تبعاً لناموس الارتقاء العام .

وقد اخترت التاء من بين أخواتها لأنها لفظاً ، ولا يصعب على ناطق التلفظ بها ، وقد تقدم أنها موجودة في سائر لغات البشر . وعليه يظن أن المقطع الأول الذي يتلفظ به الأطفال إنما هو هذا ، ويرجح ذلك أن ( تت ) في اللغة المصرية القديمة تفيد قولنا ( تكلم ) .

أما اسم الإشارة ( ها ) فبينه وبين ضمير مطلق الغائب نسبة قريبة إما لفظاً فلأن الأصل في كليهما الهاء كما علمت ، وأما دلالة فلأننا نقصد بكل منهما ما ليس بالمتكلم ولا بالمخاطب ، ولم تزل أسماء الإشارة في كثير من اللغات تستعمل حيثما نستعمل نحن ضمير الغائب ، ولا أرى لزوماً لتعداد البراهين على صحة ذلك .

وهناك أمر آخر لا يخلو ذكره من فائدة أعني أن بين كاف المتكلم وتاء المخاطب وهاء الغائب ، نسبة قريبة لفظية ومعنوية كما لا يخفى .

وجملة القول يرجح كل الترجيح أن الألفاظ المطلقة مهما تعددت أشكالها ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد أو بضعة ألفاظ من جملة التاء والله أعلم .



# القضية الخامسة

إن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلاً

للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية

معلوم أن في اللغة قسماً عظيماً من ألفاظها ، ولا سيما الأفعال مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء ، فبقولنا « فَصَلَ » قد نقصد الدلالة الحسية نحو « فصل زيد الشيء » أي قطعه وأبانه . أو المعنوية نحو « فصل الحكم الخصومات » أو « فَصَلَ المولود عن الرضاع » أي فطمه . فلا يخلو أن تكون إحدى هاتين الدالتين أصلية حقيقية ، والأخرى فرعية مجازية . وعندني أن الدلالة الحسية هي الأصل ، والمعنوية الفرع حُملت مجازاً لتشابه في الصور الذهنية لأن المحسوسات أول ما تستلفت انتباه الانسان ، وهي سابقة في ذهنه على المعنويات لأنه في أبسط أحوال عيشه لم يكن في احتياج إلا للمعاني الحسية ، ففي أول استعماله « قَطَعَ » لم يكن يريد بها إلا القطع الحسي لكنه بعد أن ارتقى في الحضارة ، وارتقت تصوراته حدثت له معان جديدة بينها وبين القطع مشابهة ذهنية كقولنا : « قطع في الأمر » أي جزم « قطع الحوض » أي ملأه إلى نصفه ، ثم قطع الماء فحملها عليها مجازاً . ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فإنها نقل فيها الدلالة المعنوية كلما انحطت إلى أن تصل إلى ما يكاد يخلو منها بالكلية . ولا يخفى أن هذا التحويل جار في لغتنا الآن ولن يزال إلى ما شاء الله فمن الألفاظ ما قد خسر الدلالة الحسية نحو قولنا « قضى » بمعنى حكم ، والأصل فيها القطع الحسي وهي سلسلة « فَض »

كما تقدم . ومنها ما لم يزل يستعمل لكليهما نحو « عقل » بمعنى فهم مأخوذة من عقل الناقة أي ربطها . و « أدرك » الأصل فيها البلوغ الحسي ، فيقال : أدرك فلان الفرس أي لحقه ، و « بلغ » وضعت أصلاً للدلالة على الوصول الحسي فقط ، كقولهم « بلغ فلان المحلة » أي وصلها ، وقد استعملت كنها استعملت « أدرك » ، والأصل في معنى الفصاحة قولهم « فصح اللبن » إذا ذهب رغوته ثم قيل فصَحَ . وأصل « الرأي » من رأى وهكذا الرؤية . وكذلك الحال في « عرف » فإن أصلها من « العرف » أي الرائحة . ومنها ما هو أول انتقاله نحو « قطع » و « ملأ » والأصل في هذه الأخيرة الملء الحسي كالماء وما شاكل ، وقد استعملت مجازاً فيقال « ملأ فلاناً على الأمر » أي ساعده وشايعه و « هلك » بمعنى مات ، وفُقد والأصل في معناها « الذهاب » وهي كذلك في سائر اللغات الشرقية . و « الشتاء » مأخوذ من « شتا » في السريانية أي شرب فاستعملت أولاً لري الأرض بالمطر ، ثم أطلقت على المطر عينه ، ومنه تحوّل معناها إلى الفصل الذي يحصل فيه المطر . و « غُرب » الأصل في دلالتها النزول لأنها في الاشورية « عرب » ومعناها نزل ، ومنها غربت الشمس أي نزلت .

وقد تتنوع دلالات الألفاظ على طرق مختلفة تبعاً لتصورات الناطقين بها وتنوعها ، فإذا اختلف رأيهم في شأن فذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب سلفاؤهم احتاجوا للتعبير عن هذه التصورات الحديثة إلى ألفاظ حديثة . فهم في مثل هذه الأحوال يأخذون من الألفاظ ما يقرب دلالة مما يحتاجون إليه ، فتبقى هذه الألفاظ أثراً يشير إلى ما كان عليه سلفاؤنا من الآراء ، الأمر الذي ربما لا يتيسر للتاريخ الاتيان به كقولنا « شهر » التي يستعملها كل منا بأجل وضوح ولا يخشى وقوع الالتباس حتى أن أبسط العامة لا يخطئون فهمها . على أننا إذا بحثنا عن أصلها نرى أنها كانت تدل في الأصل على « قمر » إذ أنها في السريانية « سهر » بالسين بمعنى قمر ، أما

في العبرانية فتستعمل لما نعبر عنه بقولنا « مستدير » . وقد وردت في التوراة مرة على صيغة الجمع بمعنى أقمار صغيرة أو أكاليل<sup>(١)</sup> . وجملة القول يستدل مما تقدم أن أسلافنا الأولين كانوا يعتمدون على الأشهر القمرية في حساباتهم ، فدعوا الشهر القمري باسم القمر ، ثم لما تقدموا ووضعوا الأشهر الشمسية استعاروا لها ما كانوا يستعملونه للأشهر القمرية ، وترانا الآن لا نعلم عن لفظة « شهر » إلا أنها وضعت للدلالة على جزء من اثني عشر جزءاً من السنة الشمسية ، وأمثلة كثيرة في العربية . .

وخلاصة القول يكاد لا يوجد كلمة واحدة إلا واستعملت للدلالة المعنوية وذلك دليل كاف على أن قابلية المعاني للانتقال هي كقابلية الألفاظ للابدال . .

---

(١) وردت بصيغة الجمع في العهد القديم بالعبرية بمعنى « أهلة » ، قضاة ٨ : ٢١ و ، ٢٦ ، اشعيا

# النتيجة

إن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة أحادية المقطع معظمها

مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن

الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

بناء على ما تقدم برهانه من أن الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات أصل واحد . وأن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها . وأن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية . وأن الألفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد أو بضعة ألفاظ . وأن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية - أرجح كل الترجيح « إن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة أحادية المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية ، وبعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً » ، ومن هذه الأصول نشأت ونمت حتى بلغت ما هي عليه الآن بتركيبها وتنوعها ، بين نحت وقلب واستعارة ، سدا لاحتياجات الانسان وجرياً على ناموس الارتقاء العام . وإيضاحاً للموضوع أتى المسألة عن طريق الاستقراء فأقول :

هل اللغة ضرورية توقيفية أم هي مكتسبة اصطلاحية ؟ . .

كونها ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر ، وكونها توقيفية يقتضي كونها ثابتة البناء ، والدلالة غير قابلة التغير والانفعال شأن

كل ما هو توقيف منه تعالى .

والواقع خلاف ذلك فأنا لا ننطق إلا بما نسمعه من الذين حولنا ونحن لا نتكلم بالعربية إلا لأننا نشأنا بين قوم يتكلمونها . ولو اتفق أنا ربينا بين اليونانيين لكانت لغتنا أو بين الهنود فالهندية . ومن الجهة الأخرى لو قدر لنا النشوء بين الحيوانات العجم لكنا عجباً . واللغة كما هو معلوم عرضة للتغيير والانفعال نحتاً وابدالاً وقلباً واستعارة ، فما نتفاهم به الآن يختلف دلالة ولفظاً عما تفاهم به آباؤنا وما سيتفاهم به أبنائنا . وقد حدث من اللغات ما لم يكن في سالف الزمن كاللغات المتفرعة من اللاتينية والسكسكربتية - فلو كانت اللغة توقيفية لاقتضى بقاؤها على ما هي . ولا يقال أن هذه الفروع حدثت توقيفاً لأنها قابلة الرد بالاستقراء تاريخياً إلى أول أزمنة نشوئها أو بالحري تفرعها ، وكل ذلك جرى بموجب نواميس عامة قابضة على زمام كل ما حولنا من النظام والحياة وأعمالها . .

وجملة القول أن اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية . ولزيادة الايضاح أذكر ما قاله العلامة ابن خلدون في أثناء كلامه في تفسير الذوق قال : « فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلة لذلك المحل ، ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة أمر طبيعي ، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت ، فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه . »

وقال الأستاذ أبو اسحق الاسفرائي في أثناء كلامه عن أصل اللغة : « إن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتثمة من الله ، » وقال السيوطي : « ودليل

امكان الاصطلاح أن يتولى واحد أو جمع وضع الألفاظ لمعان ثم يفهموها  
لغيرهم بالإشارة كحال الوالدات مع أطفالهن<sup>(١)</sup>.

#### (١) هل اللغة توقيفية أم اصطلاحية ؟

هناك من ذهب إلى أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى الهام هبط على الانسان فعلمه النطق  
واسماء الاشياء . قال بهذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني « هيراكليت » ( ٥٨٠  
ق . م - ٥٤٠ ق . م ) وبالرغم من معارضة بعض علماء الكنيسة لهذا الرأي فقد وجد في  
القرن الرابع الميلادي من يدافع عنه . وذهب إلى هذا الرأي في العصور الوسطى بعض علماء  
فقه اللغة العربية منهم ابن فارس في كتابه الصحاح الذي تساءل هل اللغة العربية توقيف أم  
اصطلاح ؟ . . ودلل على أنها توقيف من قوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » . وبحث ابن  
جني في الخصائص عن أصل اللغة الهام هي أم اصطلاح ، والقول في اللغة أفي وقت واحد  
وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط .

وفي العصور الحديثة ذهب بعض العلماء من الاوروبيين إلى هذا الرأي منهم « فرنسوا لامبي »  
( سنة ١٦٣٦ - ١٧١١ ) ، والفيلسوف « دو بونال » ( ١٧٥٤ - ١٨٤٠ ) ويعتمد العلماء من  
المسيحيين على ما جاء في سفر التكوين من الاصحاح الثاني في الايتين ١٩ و ٢٠ « وجبل الرب  
الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء . فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا  
يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور  
السماء وجميع حيوانات البرية » .

أما من ذهب إلى أن نشأة اللغة كان بالاصطلاح فنذكر منهم في العصور القديمة الفيلسوف  
اليوناني « ديموكريت » ( من فلاسفة القرن الخامس ق . م ) وفي العصور الوسطى قال به  
بعض أئمة فقه العربية منهم أبو اسحق الاسفرائي والسيوطي وابن خلدون . كما ذهب إليه في  
العصور الحديثة من الاوروبيين « آدم سميث » و « رايد » و « دوجلد ستيروات » .

# الطريقة الطبيعية للنكاح

## التفاهم

فلنتصور الانسان في أول أدواره يطوف الحقول والغابات عارياً أو نصف عار يلتقط ثمر الأرض ويقلها ، فإذا جنَّ الليل أوى إلى كهف أو مغارة أو تسلق شجرة يلجأ إليها ، خوفاً من هجمات الوحوش الضارية فإذا أصبح خرج يسعى وراء رزقه يلتمسه بالاجتهاد . واجتهاده إنما هو التفتيش عن شجرة ذات ثمر يأكله أو حيوان يرميه بحجر فيقتله ويتناول لحمه لا يمتاز في ذلك عن الحيوان الأعجم . إلا أنه ما لبث أن اضطر إلى الاجتماع وهي مزية خص بها الانسان . والسبب في ميله إلى الاجتماع قصوره عن مقاومة طوارئ الطبيعة ، ودفع غائلة الوحوش الضارية منفرداً ، فعكف على التعاون والتعاقد وهو الاجتماع . فلما اجتمع اضطر إلى تبادل المعاني والمقاصد ، وهي الغاية المقصودة بالاجتماع فساقه ذلك إلى التفاهم ، فتدرج فيه من الاشارات إلى الأصوات فالألفاظ فالجُمْل كما سترى .

فيظهر مما تقدم أن ضعفه هو الذي ساقه إلى التكلم ، ورب معترض يقول : ألعَلَّ - الضعف خاص ببني الانسان حتى اضطر وحده إلى الاجتماع فترتب على اجتماعه نشوء اللغة والعمران . نقول أن بين أنواع

الحيوان أنواعاً أكثر ضعفاً منه ، ولعلها اضطرت إلى الاجتماع غير مرة ولكنها لم تستطع التكلم لقصورها الطبيعي ، عما امتاز به الانسان من المواهب الطبيعية جسداً وعقلاً مما يؤهله للنطق وتركيب الألفاظ وإيضاح المعاني . على أننا لا نظن أنواع الحيوان الأخرى خلوا من التفاهم ، بل هو واقع بين أفراد النوع الواحد وبين الأنواع المختلفة ، على أساليب وطرق لم ندركها تماماً ، إذ ليس من الضرورة أن يتم التفاهم بالتكلم فقط ، فقد يتفق أن يتوفق بعض أنواع الحيوان إلى وسيلة يتفاهم بها غير ما توفق إليه الآخر ، تبعاً لاستعداد كل منهما كأن تتفاهم بحركات جلودها ، أو بحركات آذانها أو أذنانها أو ما أشبه ذلك . فلأنواع الحيوان لغات تتفاهم بها ولكنها يجب أن تكون أدنى من لغة الانسان بنسبة انحطاط قواها العاقلة عن قواه .

فلا اضطرار إلى الاجتماع أصاب كل أنواع الحيوان ، ولكن الانسان وحده فاز بغايته منه لاستعداده له ومقدرته على اختراع وسائل التفاهم عن طريق الصوت . ومما ساعده على ذلك في بادئ الرأي لبقاة حركات يديه ، وارتقاء أوتار صوته ، لأنه قضى دهوراً يتفاهم بالاشارات وتقليد الأصوات . .

ولو تدبرت تاريخ اللغة لرأيت المبدأ في نشوئها وارتقائها راجعاً إلى موهبة جعلها الخالق في الانسان ، وهي موهبة « التقليد » ، فالتقليد أساس اللغة وأصل نشأتها ومدار ارتقائها لأن التفاهم سواء كان بالاشارات أو بالأصوات فهو راجع الى التقليد ، لأن الاشارات تقليد صور الأشياء أو معانيها ، والأصوات تقليد ما يسمعه الانسان من الأصوات الخارجية على اختلاف مصادرها . فالتقليد قوة لم تبلغ في نوع من أنواع الحيوان ما بلغته في الانسان ، وهو تمثيل صورة في ذهن المقلد اكتسبها من الخارج إما رأساً أو ضمناً . ولا غنى له في تقليدها عن استيضاحها في ذهنه مع توفر



الوسائل اللازمة لتمثيلها للآخرين . فالاستيضاح من أعمال العقل ،  
 والتمثيل من أعمال اليدين أو ما يقوم مقامهما . والانسان أقوى سائر أنواع  
 الحيوان عقلاً وأليقها تركيباً وهذا هو سبب تفردة بسعة دائرة التفاهم ،  
 وتعدد وسائله فتأيد اجتماعه وكان ما كان من تمدنه وعمُرانه . فأنشأ المدن  
 وألف الممالك والأمم وتبحر في الخليقة ، فوضع الفلسفة ، واختلفت  
 آراؤه في سر الخليقة وخالقها ، ففترقت المذاهب والأديان والطوائف  
 والنحل ، وقامت الحروب فازداد الاحتياج إلى الأدوات والوسائل المساعدة  
 على تسهيل الغلبة وتأييد القوة ، فكانت الاختراعات وما جرى مجراها مما  
 ليس هنا محل الكلام عليه . وإنما يهمننا منه أن الانسان اضطر إلى  
 الاجتماع لضعفه فاحتاج إلى تبادل الأفكار والمقاصد وهو التفاهم ، وتمكن  
 بموهبة التقليد إلى وضع أساس اللغة ولاستيعاب الموضوع نقسم الكلام في  
 تاريخ اللغة إلى دورين :

١ - الدور التقليدي .

٢ - الدور النطقي .

### الدور التقليدي :

نريد بالدور التقليدي الزمن الذي عُبِّر فيه الانسان عن مقاصده  
 وأغراضه ، بتقليد ظواهر الأشياء التي يريد التعبير عنها ، كالدلالة على  
 شبح بتمثيل صفاته كلها أو بعضها . فالأخرس يعبر عن الفرس بمحاولة  
 الوقوف على يديه ورجليه معاً تقليداً للفرس في مشيه . ومن هذا القبيل  
 دلالة الأطفال على بعض أنواع الحيوان بتقليد أصواتها الخاصة بها . فإذا  
 رأى الطفل كلباً وسمع نباحه ثم أراد التعبير عنه فإنه يقلد صوت النباح ،  
 أو الهر فيقلد صوت المواء ، أو الفرس فيقلد صوت الصهيل ، وهو إنما  
 عمد إلى ذلك لجهله اسم كل منها . وهكذا كان الانسان في أول أدوار

وجوده ، فقد كان كالطفل المولود حديثاً في العالم يسمع ويرى ولا يتكلم ولكن لكل من الموجودات المحيطة به صورة في ذهنه حصلت من حال اقتضت بقاءها في ذاكرته ، إذ قد يكون لكل شيء أو واقعة صورة كثيرة لا يبقى في الذهن منها إلا صورة أو بضع صور سبق الذهن إلى الاستمساك بها ، أما لغرابتها أو لملازمتها ذلك الشيء دون سواه أو لامتيازها على سواه من نوعه . فإن للفرس مثلاً أوصافاً كثيرة من الشكل واللون والوضع والصوت وما شاكل ذلك . ولكننا عند محاولتنا التعبير عنه بالتقليد يسبق إلى ذهننا صوت صهيله لأنه خاص به . وللرجل مثلاً أوصاف كثيرة يعرف بها ، ولكن الخرس يعبرون عنه بمرور ايهام اليد وسبابتها على الشارين ، وللمرأة أوصاف كثيرة أيضاً ، ولكنهم يعبرون عنها بما تمتاز به عن الرجل ، إما بالإشارة إلى طول الشعر أو بالدلالة على خلو وجهها منه أو غير ذلك .

فيتج مما تقدم أن الدور التقليدي يقسم إلى قسمين : تقليد الأشكال وتقليد الأصوات ، فالأول لغة الاشارات وهي لغة الذين لا يستطيعون التكلم لعلة طبيعية كالخرس . فإنهم يتفاهمون فيما بينهم وبين غير الخرس بالاشارات فقط . والثاني لغة الأصوات .

### التفاهم بالاشارات :

والاشارات ينوعان : اضطرارية واختيارية فالاشارات الاضطرارية ليست خاصة بالانسان بل تشمل كثيراً من الحيوان ، ولكنها مقصورة على التعبير عن الانفعالات النفسانية كتقطب الوجه من الغضب أو الحزن والابتسام عند الارتياح أو السرور ، وهز الرأس للدلالة على التهديد ، أو التعجب ، وحنيه للدلالة على الذل أو الخضوع ، وكدلالة النهوض بغتة على تأثر

شديد من فرح أو غضب أو تعجب . ويروى عن « المستر غلادستون » خطيب انجلترا الشهير أن سامعيه كثيراً ما كانوا يقفون بغتة عند سماع خطبه ، وهم لا يشعرون ، وقد يسبب الفرح حركات أخرى كالجمز أو الرقص أو الركض ، وقد يصفق الانسان عند تأثير نفساني بغتي كسماع خبر محزن أو الانتباه بغتة إلى خسارة ، وكالعض على السبابة ندماً واحمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً ، وكالارتجاف رعباً وغير ذلك من الاشارات التي يجريها الانسان عن غير قصد ولكل منها دلالة خاصة ، ولكننا لا تخرج عن حدود الظواهر النفسانية حال حدوثها وتزول بزوالها ، وهي ليست من التقليد في شيء على أنها تساعد في لغة الاشارات إذا تقلدها الانسان للدلالة على ما تدل عليها من طبعها . فقد تعبر عن استكفافك من أمر بتقطيب وجهك كأنك تقول : « إني لا أحب ذلك » فتقطيب الوجه إذ ذاك اشارة تقليدية اختيارية .

أما الاشارات الاختيارية : فهي التي يجريها الانسان عمداً يقلد بها شكلاً أو خاصة من خصائص الأجسام الخارجية للتعبير عنها تعبيراً تقليدياً محضاً كمن يرسم صورة الشيء على الورق للدلالة عليه . ولكن تلك الاشارات قد تتحول بالاستعمال والمزاولة من المعنى الحسي البسيط إلى المعنى الرمزي . ولبيان ذلك نستلفت انتباه القارئ إلى لغة الخرس الشائعة بينهم ، وقد يفهمها سواهم إلا ما كان منها قد تحول إلى معنى رمزي لا علاقة ظاهرة بينه وبين الاشارة .

فلغة الاشارات وهي لغة الخرس تقسم إلى اشارات ذاتية واشارات معنوية أو رمزية . فالذاتية كالتعبير عن الشيء بتمثيل أوصافه باليدين ، فإذا شاء الأخرس التعبير عن الصندوق مثلاً رسمه لك بيديه موضحاً طوله وعرضه وعلوه ، وللدلالة على كونه خشباً أو حديداً يشير إلى مادة خشبية أو حديدية من أدوات المكان الواقف هو فيه . وهذا هو الأصل في لغة

الاشارات ، ولكن الطبيعة لا تقبل البقاء على حال واحدة ، وناموس الارتقاء العام متخلل سائر أعمال الحياة ، وهو يقضي بالنمو والتنوع والتفرع على أساليب شتى ترجع إلى مبدأ واحد .

فلاشارات الذاتية ما لبثت أن صارت معنوية أو رمزية بمرور الأيام على أن التقليد الذاتي قليل في لغة الاشارات ، والغالب في التعبير عن الأشباح الخارجية بالاشارة أن يكون بتمثيل صفة من صفاتها أو حالة ملازمة لها كما لو أطبق الأخرس أصابع إحدى يديه وأدناها من فمه كأنه يصب ماء فنفهم أنه يريد « الماء » أو « عطشان » أو « اسقني » أو « اشرب » ، أما التمييز بين هذه المعاني فموكول بالقرينة .

فلغة الاشارات في هذه الحال لا تزال في أبسط أحوالها بعضها تقليد ظواهر الأجسام أو بعض أحوالها ، وبعضها تقليد ظواهر الانفعالات النفسية ، وهي ما دامت على هذه الحال يفهما كل انسان ولكنها قد تتحول بالتنوع والتفرع إلى لغة لا يفهما إلا الذين يدرسونها مثل لغة التكلم . وقد يقع في اشكال الاشارات ومدلولاتها تغيير وتبديل يشبه القلب والابدال في لغة التكلم . من أمثلة ذلك أن خرس برلين يقصدون بمحاولة كسر الرأس باليد ما هو في لغتنا ( رجل فرنسي ) وصغارهم يستعملون هذه الاشارة لهذا المعنى ، وهم لا يعلمون إلا كونها كذا خلقت . وقد ظهر بعد البحث أنها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر ، فالخرس قرأوا في كتبهم أنه مات مضروباً على رأسه ، فاستعملوا في بادئ الأمر اشارة الضرب على الرأس كمحاولة كسره للدلالة عليه ، ثم جملوها مجازاً على كل فرنسي . وبعض قاطني أمريكا الشمالية يعبرون عن قولنا : « كلب » بجر السبابة والوسطى مفتوحتين على الأرض ، وباقي الأصابع مقبوضة ، والناظر لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود لكنه بعد البحث يرى أنها مأخوذة عن حوادث

جرت يوم كان الهنود هناك ، وقلّت خيلهم فاضطروا لاستخدام كلابهم لحمل أعمدة الخيم ، فكانوا يحملون كلا منها عمودين واحداً من كل جانب ، فيمشي الكلب والعمودان يجران خلفه ، فقلّد الخرس هذه الحالة بجر السبابة والوسطى مفتوحتين على الأرض ، وما بقي من الأصابع مقبوض ، وعبروا بها عن كلابهم . ولم يستخدم الهنود كلابهم لحمل أعمدة الخيم من ذلك الحين . أما هذه الإشارة فلم تزل مستعملة عندهم إلى الآن للدلالة على أي كلب كان . وهكذا في كثير من اشاراتهم حتى تفرعت لغات الاشارات وحدثت بينها اختلافات لا تقل عما بين اللغات السامية . ولم تكن الاصطلاحات المشار إليها السبب الوحيد في ذلك بل هناك أمر لا يقل أهمية عنه وهو الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود ، أو تلك إذ قد تقدم أنهم يعبرون عن أي معنى بتقليد صفة من صفاته ، أو تشخيص حادثة رافقته أول عهدهم به ، فقد تختار هذه القبيلة صفة وتلك صفة أخرى ، وقد يتأتى أن هذه تتصور معنى مصحوباً بحادثة لم تخطر على بال تلك . فإن هنود أمريكا الجنوبية يعبرون عن الماء بقبض كفهم وكبها نحو الأرض ، كأنهم يسكبون ماء خلافاً للخرسنا الذين يقبضونها إلا الابهام ، ويديرونها نحو الفم كأنهم يحاولون الشرب .

ويعبر الخرس عن الضمائر وأدوات العطف والجر وما يشبهها ، وعن حركات الاعراب بتقديم بعض الاشارات وتأخيرها أو غير ذلك من الطرق التي لا تقع تحت الحصر .

فنرى مما تقدم أن اللغة الاشارات أيضاً دورين أحدهما تقليدي ، والآخر نطقي مثل لغة التكلم ولولا صعوبة التوسع في لغة الاشارات لامتناع التفاهم بها ليلاً مع مشقة استخدام اليدين في التكلم لشاعت وكانت هي لغة البشر وتفرعت إلى لغات كثيرة مثل لغات النطق الآن .

لأن الانسان في أول أدواره كان يتفاهم بالاشارات والأصوات التقليدية معاً وبتوالي الأجيال ارتقت لغة التكلم وتفرعت فبقيت وبادت لغة الاشارات ولم يبق منها إلا أثر عند الخرس الذين لا يستطيعون النطق وطبيعي في الخليفة أن يبقى الأنسب .

## التفاهم بالأصوات :

الأصوات الطبيعية : نريد بالأصوات الطبيعية الأصوات الجارية في الطبيعة ، وهي إما أن تحدث عن تفاعل القوى الطبيعية كأصوات الرعد وهبوب الريح وسقوط المطر وتصادم الأجسام الجامدة كالحجارة وغيرها . أن أن تحدث عن العالم الحي كأصوات الحيوان على اختلاف أنواعه ، كصهيل الفرس ونقيق الضفدع ومواء الهر وما شاكل ذلك .

فتقسم الأصوات الطبيعية بهذا الاعتبار إلى أصوات حية وأصوات غير حية :

فالأصوات الحية : تقسم إلى أصوات الانسان وأصوات الحيوانات الأخرى . وأصوات الانسان إما اضطرارية أو اختيارية ، فالاضطرارية هي التي يحدثها الانسان عن غير قصد أو روية ، ويراد بها التعبير عن الانفعالات النفسانية ، شأنها في ذلك شأن الاشارات الاضطرابية . وهي إما « عتمية » كالأصوات التي يخرجها الانسان عند الانفعالات النفسانية ، ولا تتميز فيها المقاطع كالأنين والعين والأحيج ، وهي أصوات المتوجعين والمغمومين والهمهمة وهو الصوت الحاصل من تردد الزفير همماً أو حزناً . والزحير أو اخراج النفس بشدة عند عمل شاق . والنحيم أو النهيم وهو شبه أنين يخرجها العامل المكدود فيستريح إليه .

وأما « مفصحة » وهي التي يخرجها الانسان عند الانفعال النفساني ،

وقد تتميز فيها المقاطع كقولنا آه للتعجب أو التحسر وأوه للتوجع وأوف للاثمئزاز أو الضجر وآخ للانبساط ، وأر للغضب والتألم ، وبش للاستحسان ، وشه لعدم الاستحسان ، ووي للتأوه وقهقهة صوت الضحك وغير ذلك .

والأصوات الاختيارية : هي التي يخرجها الانسان أو غيره من الحيوان بقصد مثل تف حكاية صوت الباصق ، وأف حكاية صوت النفخ ، وهه حكاية صوت الزفير الاغتصابي ، وقس على ذلك أصوات الصفير والتصفيق والنحنة والغرغرة ، والسعال والعطاس والشخير والغطيط والجشاء وما شاكل ذلك .

أما أصوات الحيوانات الأخرى فكثيرة جداً إذ لكل حيوان من ذوات الأصوات صوتاً يعرف به ، كمواء السنور، وعواء الكلب وصرصره البازي، ونباح الكلب، وصهيل الفرس، وفحيح الأفعى، ونبيب التيس .

الأصوات غير الحية : فهي أكثر من أن يحصيها عد كقطقطة الحجارة ، وقعقة الرحي وجعجعتها ، وطنطنة الجرس ، ورش الماء ، ودوي الرعد ، ومن هذا القبيل قط حكاية صوت القطع ، ولط حكاية صوت اللطم وفش حكاية صوت السهم إذا رمي ، وفق حكاية صوت القربة إذا فتحت بغته ، وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر . ومما نوجه ذهن القارئ إليه ، إن الأصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ليست من المقاطع الواضحة في شيء ، ولكنها تؤثر في أذهاننا تأثير إذا أردنا التعبير عنه نطقنا بمقطع أو لفظ يشبهه ، وهذا ما نريد به حكاية الصوت .

فمن حكاية الأصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف مصادرها ومظاهرها اقتبس الانسان لغته ، فاتخذها أولاً بالتقليد للتعبير عما يحدثها أو ما يتعلق به ، وهذا ما نسميه اللغة الطبيعية ، ثم تنوعت

وتفرعت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الانسان حتى صارت إلى ما هي عليه بتوالي الأجيال . .

وكيفية تألف اللغة من الأصوات الطبيعية أن يقلد الانسان تلك الأصوات أو ما يحاكيها للدلالة على الأشياء التي تحدثها كما لو أراد الدلالة على الكلب بتقليد صوت عوائه ، أو الإشارة إلى الريح بتقليد صوت هبوبها ، أو إذا أراد قولنا قطع تقلد صوت القطع ، وهو قَطُّ أو ما شاكل ذلك . وشأن الانسان في أوائل عمرانه شأن الطفل الرضيع ، فمراقبة غمو الطفل وكيفية تعبيره عن الظواهر المحيطة به قبل تعلمه لغة والديه أشبه شيء بحال الانسان في طفولية الأرض ، فالطفل لو ترك لفطرته لدل على كل حيوان بتقليد صوته ، وعلى كل أداة بما تحدثه من الصوت ، وقد يستعين بالإشارة ، وهو في الواقع يفعل ذلك الآن ولكنه لا يلبث أن يتعلم لغة من هم حوله ، ويتناسى لغته الطبيعية .

وقد يعسر التسليم بنشوء اللغة عن الأصوات الطبيعية وحدها لأنها لا تكاد تذكر بالنسبة إلى ألفاظ اللغة واشتقاقاتها وأنواع تعبيرها مما يعد بمئات الألوف ، على حين أن الأصوات الطبيعية لا تكاد تزيد على المئة ، والجواب أن ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الأجسام الحية وما يتعلق بها ، فكلها تنمو وترتقي وتنوع وتتكاثر جرياً على ناموس الارتقاء العام . فقد رأيت في ما تقدم من تاريخ الانسان أنه تدرج إلى سائر حاجياته ، فارتقى من أبسط الأدوات إلى ما يتركب منها حتى صارت تعد بالآلاف ، فكانت القطعة من الجلد مثلاً تقوم عنده مقام كثير من الثياب والأثاث ، فكان يترز بها نهراً ويلتحفها ليلاً ويستظل بها من حر الشمس أو يغلق بها باب كهفه ، وقد يحمل بها ما يحتاج إلى نقله من الطعام أو غيره ، أو يغطي بها رأسه وقاية من المطر أو حر الشمس ، وربما اتقى بها رمي الحجارة عليه ، وقد يستعين بها على أعمال أخرى كثيرة لا تحصى ،



فهي تقوم عنده مقام اللباس والفراش والبيت والستارة وأنية الحمل والدرع والمظلة وغير ذلك .

وهو إنما توصل إلى هذه الأدوات الكثيرة بعد ذلك تدريجاً بالنمو الطبيعي ، وهكذا يقال في ألفاظ اللغة ، فقد كانت اللفظة الواحدة أو المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الألفاظ . من أمثلة ذلك أن الانسان رأى الماعز مثلاً وسمع صوته ، فدل عليه بحكاية صوته ، وهي « مع » وهكذا يفعل الأطفال اليوم فأنهم يدلون على الماعز بقولهم « مع » ولكنهم يدلون بها أيضاً على لحمه وعلى شعره وعلى أشياء أخرى يختلف تعيينها باختلاف الأحوال . والانسان في أول فطرته سمع صوت القطع مثلاً فتقلده بمقطع « قَطْ » وجعل يدل به عما هو في لغتنا قطع أو كسر ، ولكنه كان يدل به أيضاً على كل ما يتعلق بالقطع مثل فعل القطع ، والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والأحوال التي قطعت فيها وما شاكل ذلك .

ثم أن كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحول بالاحتكاك والابدال والقلب ، وبالنمو والتفرع والتنوع إلى ألفاظ كثيرة مشتركة في المعنى الأصلي ، فيخصص الانسان كل تفرع لفظي بتفرع معنوي على أساليب وطرق لا ضابط لها .

ففي الدور التقليدي تقتصر اللغة على تقليد حكايات الأصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ، وهي اللغة الطبيعية الصوتية ، وهي قليلة الألفاظ بسيطة البناء لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ولا ظرف فيها ، ولا اشتقاق ولا تصريف ، فيسهل التفاهم بها بين سائر أصناف الناس على اختلاف المناطق والأقاليم كما هي الحال في لغة الاشارات الطبيعية على أننا لا نعلم بوجود لغة على هذه الحالة مطلقاً ولكن بعضها أقرب من البعض الآخر إليها . وأدنى ما يعرف من لغات البشر لغة بعض سكان استراليا وأواسط أمريكا الجنوبية فأنها نظراً لقلة

موادها لا تفي بأغراضهم في التعبير عن كل ما يحتاجون إليه على قلة احتياجاتهم ، فيضطرون لاستعمال الاشارات ، فتراهم إذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم . والاشارات قسم مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه ، فهم لا يستطيعون التفاهم ليلاً . وألفاظ لغتهم أقرب إلى الأصوات الطبيعية منها إلى ألفاظ لغتنا .

ومن قاطني استراليا أيضاً من لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بلفظ واحد ، إذ ليس لديهم من الألفاظ العديدة إلا كلمتان فقط وهما : « نئات » واحد و « ناييس » اثنان فإذا أرادوا ثلاثة جمعوهما معاً وقالوا : « ناييس نئات » ، أو أربعة « ناييس ناييس » ، أو خمسة « ناييس ناييس نئات » ، أو ستة « ناييس ناييس ناييس » ، أما السبعة وما ورائها فيقفون عندها منذهلين وتضيق دونهم سبل التصور ، فيعبرون عنها بقولهم « كثير » . ومنهم من يعبرون عن كل تنوعات معنى القطع بكلمة واحدة . ومما يفيد في الاطلاع على كيفية تحول معاني الكلمات ما يعبر به بعضهم مما هو من الغرابة بمكان ، فإن منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدي معنى الصلابة فإذا اضطروا للتعبير عن قولنا « صلب » ، قالوا : « حجر » وآخرون لا يقدرّون تأدية معنى الطول والاستدارة ، فيعبرون عن قولنا « طويل » بقولهم « ساق » وعن « مستدير » بقولهم « مثل القمر » . ولا يخفى أن هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لأن الحجر هو الجسم الأكثر شيوعاً بصفة الصلابة ، والساق أول ما يخطر للانسان تصور الطول فيها كما هو معلوم . واللغات في أول أمرها خالية من الأدوات والحروف إذ يعوض عنها في بادئ الأمر بالاشارات ، ثم يستعار لها ألفاظ ذات معنى في نفسها .

### الدور النطقي :

نريد بالدور النطقي حال اللغة بعد تحول ألفاظها بالقلب والاببدال

والنحت من تقليد الأصوات ، تقليداً بسيطاً إلى ألفاظ مستقلة يدل بها على المعاني دلالة صماء لا تظهر فيها صبغة التقليد كما هو حال اللغة الآن .

وقد مر على اللغة من انتقالها من الدور التقليدي إلى النطقي دهور متطاولة لا يعرف مقدارها ، تدرجت فيها اللغة درجات متفاوتة لا يسعنا استيفاء شرحها في هذا المقام ، فنمر عليها مرور المسرع خوف التطويل فنقول :

أول درجة تخطوها اللغة من التقليد البسيط إلى النطق ، إنما هي تحول حكاية الصوت من الدلالة على ما يحاكيه مباشرة إلى ما يقرب منه ، أو يماثله بالتدريج حتى تتولد الألفاظ البسيطة الدالة على المعاني البسيطة بغير أن تتولد فيها الأدوات والحروف ، أو صيغ الاشتقاق ولا يميز فيها بين الاسم والفعل والحرف ، وإنما يدل على ذلك بالقرينة فتستعمل اللفظة الواحدة تارة اسماً ، وطوراً فعلاً ، وأخرى نعتاً أو أداة فالصينيون مثلاً يعبرون بقولهم (توان) عن معان عديدة تعود إلى أصل واحد فيقصدون بها (كؤر) أو (أحاط) أو (مكؤر) أو (كرة) أو (حول) الظرفية إلى غير ذلك من أمثال هذه المعاني ، ونظراً لقلّة ألفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معان تقرب من معناها الأصلي ، كما هي الحال في اللغة الأكادية ، فإن لفظة واحدة مؤلفة من مقطع واحد تدل على خمسة عشر معنى ، والأصل فيها جميعها واحد وهي لفظة Ga أو Ca ، فإنهم يقصدون بها (فم) أو (وجه) أو (عين) أو (أذن) أو (شكل) أو (قدم) أو (رجل) أو (نظر) أو (مدينة) أو (تكلم) والأصل فيها وجه المدينة<sup>(١)</sup> .

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فيتولد فيها المميز بين الأسم والفعل مع

(١) في اللغة الاكادية يوجد شكل واحد لمقطع ينطق بأصوات مختلفة فهناك شكل مثلاً قد ينطق : تار - طار - كوت - قود - شيل - هامس - وشكل قد ينطق : ريد - شيت - لاك - ميش - كيل .

خلوها من حروف الجر والعطف وسائر الأدوات ، وصيغ الاشتقاق كما هو الحال في اللغة الصينية ، فالصينيون يعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة ، فهم يقولون : « شاجن أي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ، ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ، ومن قاطني أواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » إذا أرادوا تأدية معنى « على » قالوا : « كنغ » أي عنق ، أو « في » قالوا : « كونو » أي بطن ، فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » ، وهكذا في « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب أفعال أو أسماء ذات معان مستقلة (١) .

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا أدوات فيها لتمييز الجنس أو الحال أو العدد ، أو الزمن أو الشخص ، والمشهور من هذا النوع اللغة البولينية ، والقياس يقتضي أن لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز أصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا أنزلت .

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فتتولد فيها بعض الأدوات والحروف وتولدها إنما يكون بتنوع ألفاظها بالنحت على مرور الأيام ، فتتحول الأسماء أو الأفعال الدالة على معنى في نفسها إلى الحروف ، أو الدالة على معنى في غيرها على طرق وأساليب لا يمكن حصرها . ولكنها تبقى مع ذلك خلوا من مميزات العدد أو الجنس في أفعالها ، كما هي الحال في اللغة المصرية القديمة ( الهيروغليفيه ) التي قد توفر فيها عدد كاف من الأدوات والظروف ، لكنها تشارك المتقدم ذكرها بأنها لا مميز للزمن أو الشخص في أفعالها . والأدوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الآرية والطائفة السامية

(١) أنظر صفحة ٦٧ .

في تركيب الأزمنة والمشتقات ، لا وجود لها مطلقاً في اللغة المصرية والتصريف الفعلي يقوم فيها باضافة الضمائر إلى الأصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في أصلها ، أو اشارة إلى مقصد المتكلم ، والتميز في ذلك كله موكول بالقرينة ، ولا وجود في لغتهم لما يسمونه عندنا مزيادات الأفعال ، فالأصل هو الذي يقوم في التكلم مكان سائر تنوعات معناه . وتشاركها أيضاً باطلاق اللفظة الواحدة على الاسم أو الفعل أو الحرف ، فعندهم مثلاً تفيد قولنا عظيم ، فيختلف مؤادها باختلاف موقعها ، فتجيء بمعنى ( جداً ) أو ( عظيم ) أو « رجل عظيم »<sup>(١)</sup> .

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فتتولد فيها مميزات الجنس والعدد والاشتقاق كما ترى في اللغات السامية ( إلا العربية ) ، فإن فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء ، والنعوت وأشباهاها ، ولكننا نرى فيها نقصاً تشارك فيه اللغة المصرية القديمة ، كخلوها من صيغ التفضيل مثلاً ، فالصفة المشبهة في تلك اللغات تقوم مقام انواع التفضيل الثلاثة فيقولون مثلاً في الصفة المشبهة : هذا حسن ، وفي افعال التفضيل هذا حسن من ذاك ، ويقصدون بها هذا أحسن من ذاك . وإذا أرادوا تفضيل الفرد على سائر أفراد نوعه ، قالوا ما يماثل قولنا ملك الملوك ، ويقصدون بها قولنا أعظم الملوك أو الأعظم بين الملوك .

ثم ترتقي درجة أخرى فتتم فيها كل هذه المميزات مع خلوها من حالات الاعراب ، وهذه هي حال اللغات الآرية الحديثة ، وتشمل أعظم لغات أوروبا الحديثة ولا يميز فيها بين الرفع والنصب والجر ، وإنما يقوم مقامها الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر ، أو بتقديم الألفاظ

(١) في اللغة المصرية القديمة صيغ للمبنى للمعلوم والمبنى للمجهول وصيغ للماضي والمضارع والأمر وصيغة للفعل السببي على وزن سفعول ( افعل ) .

وتأخيرها فالفرنسيون يقولون مثلاً Le Lion Tue Le Tigre أي الأسد يقتل النمر ، وإذا أرادوا العكس عكسوا ترتيب العبارة ، فقالوا Le Tigre Tue Le Lion وفي الانجليزية The Lion Kills The Tiger أي الأسد يقتل النمر و The Tiger Kills The Lion النمر يقتل الأسد ، وهكذا في الاضافة وغيرها ، ومعلوم أن لغة عامتنا نظراً لاهمال حركات الاعراب قد أصبحت من هذا النوع .

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى وهي أرقى ما وصلت إليه اللغات حتى الآن ، فتتولد فيها مميزات الاعراب وهي حال اللغة العربية الفصحى<sup>(١)</sup> واللغات اليونانية واللاتينية والامانية فإن تقديم الألفاظ وتأخيرها قلما يؤثران في المقصود من العبارة إذا حفظت حركات الاعراب ، ففي العربية الفصحى تقول قتل الأسد النمر ، وقتل النمر الأسد ، والأسد قتل النمر والأسد النمر قتل والنمر الأسد قتل ( قتل ) والنمر قتل الأسد وجميعها تفيد أن الأسد القاتل والنمر المقتول ، وإذا أردنا العكس لا نحتاج إلا إلى تغيير حركات الاعراب كما لا يخفى .

هذا ملخص ما يمكن أن تمر عليه اللغة من الأحوال في الارتقاء من الدور التقليدي إلى الدور النطقي في أرقى درجاته .

وربما استغرب بعضهم أن لغة مثل اللغة العربية بما فيها من الأدوات والحروف وأنواع الاشتقاق ، وأساليب التعبير وعدد الألفاظ أن يكون أصلها مقاطع قليلة ، هي حكايات الأصوات الطبيعية . ولكننا إذا أمعنا النظر ودرسنا أحوال اللغات على اختلاف درجاتها ، وراجعنا تاريخ الألفاظ التي أصابها تغيير وتبدل على عهدنا مع تفهمنا ناموس الارتقاء العام الذي جعله الخالق في الأجسام الحية ، وما يتعلق بها فلا نرى غرابة

(١) الاعراب في اللغات السامية وجد في اللغة السامية الأصلية ، وتشترك مع العربية فيه اللغة الاكديّة وفي بعضه اللغة الحبشية ونجد بقايا منه في بعض اللغات السامية الأخرى .

في ذلك . وفراراً من التطويل نورد بعض الأمثلة تقريباً لذهن القارئ من هذا الموضوع فنقول :

قد تقدم أن المهمة حكاية صوت الزفير الذي يخرج الحزين فتولد منها على توالي الأزمان فعل همّ وما اشتق منه معنى ( راجع القاموس ) ، ومثل ذلك لفظ وَيّ ، وهي لفظ ينطق بها الانسان للتأوه من فطرته ، وقد تركب منها ومن لام الجر لفظ : ويل ، يدلون بها على التفجع أو حلول الشر ، وقد صرّفوها وزادوا فيها ، فقالوا وَيْلٌ وتَوَيْلٌ وتَوَايِلٌ واستعملوها اسماً لواد في جهنم ، وشقوا منها اسم مرة ، فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة ، وركبوا من ( وي ) عدة كلمات منها وَيَحٌ وَيَبٌ وربما كان أصلها ( وَيّ أب ) للاستغاثة به ، وَوَيْحٌ ربما من ( وي أخ ) وَوَيْسٌ وويه ، وركبوا من ( ويل ) قولهم ( ويلمه ) بمعنى داه ، فيقولون لمن عرف بالدهاء ( ويلمه ) وهي منحوتة من وَيّ لأمه أو ويل لأمه<sup>(١)</sup> .

وقد شق الانسان من حكاية صوت التوجع « آه » فعلاً فقال ( آه يأوه أوها ) أي شكا وتوجع وهكذا ( تأوه تأوها ) وقد دعوا داء الحصبة ( آهة ) والجدري ( مآهة ) وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ وهذه التسمية تذكرنا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته ، أو تشخيص حادثة ملازمة له ، فإنهم بتسميتهم الحصبة ( آهة ) كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوه المريض . وقد شقوا أيضاً من ( أوف ) حكاية صوت الاستكراه ، قولهم ( أفّ يوفّ أفّا ) تضجر ورجل ( أفّاف ) أي كثير الضجر و ( أفف ) بمعنى أف وقد شقوا منها أسماء ، فدعوا قلامة الأظافر ( أفّا ) ، وكذلك وسخ الأذن وما رفعتة عن الأرض من عود أو قصبه ، ومنا أيضاً ( الآفة ) بمعنى الجبان والمعدم والمقل والرجل القذر ، ولا يخفى أن هذه المعاني تنوعات المعنى الأصلي الذي هو الضجر

(١) انظر صفحتي ١٠٦ ، ١٠٧

والاستكراه . وفي اللغة المصرية القديمة أمثال كثيرة كهذه منها قولهم ( حو ) بمعنى ضرب ، وهي صوت المضروب عند التألم ، وقولهم ( آه ) لما هو في لغتنا عظيم أو كثير ، وقد تأتي ظرفاً بمعنى ( جداً ) و « حوو » عريان وهي صوت المنفعل من البرد عرياناً<sup>(١)</sup> .

ومثل ذلك حكاية صوت البصاق « تَفْ » ، فقد شقوا منها ( تفل ) أي بصق ولما كان الانسان يبصق أحياناً استخفافاً بالأمر شقوا منه فعلاً فقالوا ( تَفَه ) خَسَّ أو قَلَّ ، ولما كان التَفُّ أحياناً يحدث عن استكراه بعض الأطعمة استعملوا منه ( التفاهة ) في الطعام أي عدم الطعم ، فيقال ( طعام تَفِه ) أي لا طعم له<sup>(٢)</sup> . وإذ كان التَفُّ مستعملاً عند الغضب أو الحدة شقوا منه ( تفيء ) أي احتد أو غضب ، وإذ كان يسمع عند محاولة اطفاء اللهب استعملوا تنوعه ( طفيء ) بمعنى خمد ، وقد شقوا منه أفعالاً وأسماء لم تعد تتميز الآن لكثرة تنوعها . والظاهر أن الفاء هي الصوت المختص بالنفخ ، فإننا نخرج عند النفخ صوتاً هذه حكايته ( أف ) فتركب منها ( ربما بالنحت ) في العربية ( نفخ ) وفي الانجليزية Puff وفي الفرنسية Souffler أو Enfler أو Gonfler وبعض القبائل العريقة بالتوحش يعبرون عن النار بقولهم ( أفي ) حكاية صوت النفخ ، وكان المصريون يعبرون عن النار بقولهم ( هه ) وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي كأنهم قصدوا به اخراج النفس حاراً من الصدر ليدلوا به على النار ، وعندهم « خخ » لما هو عندنا « بلعوم » فكأن الأصل فيه اخراج الصوت بعنف من مؤخر الحلق ليتنبه السامع إلى المتكلم ، يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة . وربما استعمل هذا الصوت في بادئ الأمر مصحوباً بإشارة استلفاتا للذهن ، ثم استغنى عن الإشارة . وفي العبرانية « آف »

(١) في المصرية القديمة ضرب « حوي » وعريان « حاو » أو « حاي » .

(٢) انظر صفحة ١٠١ .



بمعنى أنف ، وهي حكاية صوت الزفير إذا خرج عن طريق الأنف ، ولما كان الزفير الأنفي يحصل غالباً عند الغضب الشديد استعملوا « آف » بمعنى غضب أو سخط . وبعد استعمالها للدلالة على الأنف أطلقوها على جميع الوجه . ثم ركبوها مع أدوات أخرى فصاغوا منها ظروفًا كقولهم « لا في » أمام أو تجاه ولا يخفى أن « آف » و « أنف » من أصل واحد والنون دخيلة في العربية على ما نرى<sup>(١)</sup> .

وليست هذه الأمثلة إلا نذراً يسيراً بالنسبة إلى تنوعات الأصوات الخارجية غير الحية ، فإن مقطع « قط » حكاية صوت القطع قد تولد منه بالقلب والابدال والنحت تنوعات لا تعد ولا تحصى قد أشرنا إلى شيء منها في ما تقدم : منها قصّ وكسّ وجذّ وجزّ وخصّ وخذّ وقدّ ، وغيرها وكلها بمعنى قطّ أو قطع . وكل من هذه التنوعات قد تولد منه بالنحت عدة ألفاظ فمن « قط » تولد قطع وقطب وقطف ، وهذان الأخيران يتضامنان مع القطع معنى الجمع وقطم وقطل . ومن « قص » تولد قصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن معنى النقص وقصف وقصا ، وجميعها ، تتضمن معنى القطع . ومن « قض » قاض وقضم وقضب وقضع . ومن « كس » كسر وكسع وكسح وكسم<sup>(٢)</sup> . ومن « جذ » جذب وجذر وجذف وجذم . ومن « جز » جزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم . ومن « خز » خزع وخزق وخزم وخزل<sup>(٣)</sup> . فترى معنى القطع

(١) النار عند قدماء المصريين « أخ » أو « هوت » .

واشتقوا حرف « الفاء » الذي يرسمونه على صورة الثعبان « القرنية » من حكاية صوت هذا الثعبان . والبلعوم عندهم « ثفخ » .

أما أف في العبرية والأكديّة والأجريتية بمعنى أنف وفي الآرامية بمعنى وجه ، وأما فم « فو » فهو بالعبرية « فه » وبالاكديّة والعربية « فو » وبالحيثية « أف » وبالسريانية « فوما » .

(٢) أنظر صفحة ١٠٠ .

(٣) أنظر صفحة ١٠٠ .

واضحاً تماماً في جميع هذه التنوعات ، وقد تراه بعيداً في غيرها ، ومفقوداً في بعضها . فإن « خصّ » تفيد معنى الافراد بالشيء ، فترى معنى القطع فيها مجازياً ، فكأنه يقول خصّه بالشيء أي قطعه عن سواء ، ومنها خصم بمعنى الخصام أو الشقاق أو الانقسام ، فظهر فيها معنى القطع ، ولكنه غير واضح ، وهكذا في خصم فأنها لا تزال تتضمن معنى القطع وليس كذلك خضع وخضل . ومن « خد » خدع قال البيضاوي « الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تحفيه من المكروه لتنزله عما هو بصده ، من قولهم خدع الضب توارى في جحره » ولا يخفى ما يستلمح في هذا من معنى القطع . وخدر البنت ألزمها الخدر أي قطعها عن الاختلاط بالناس ، وخدف ولا تزال تفيد القطع صريحاً . ويجانس خد « خذ » ومنها خذع قطع ، وكذلك خذعب وخذعل وخذل . أما خذل فقد أصبحت بمعنى خيب ، لكنك تراها عند الدقيق تفيد القطع أو الانقطاع لأنهم يقولون خذلت الظبية إذا تحلفت عن صوابها ، وانفردت أو انقطعت . ويجانس قص « قس » ومنها قسم وقسط ، فإن هذه الأخيرة وسائر الأفعال المتعلقة بالأحكام العقلية ترد إلى معنى القطع المعنوي ، كعسدل وقضى وحكم وفصل وقسط ، وكذلك أفعال القسم كأقسم وحلف . ويجانس قس أيضاً « قش » ومنها قشر تتضمن مع القطع معنى النزع وكذلك قشط وقشع ، أما قشب فلا تدل على القطع ، أما قشير المنحوتة منها فيستلمح فيها ذلك المعنى ، والظاهر أن قشب خسرت معنى القطع بالاستعمال ، والعامية في سوريا يقولون قشبت الشفة أي تشققت . وهناك تنوعات أخرى أغضينا عن ذكرها اكتفاء بما ذكرنا على سبيل المثال . ولا بد لنا من ذكر مثال للتنوعات التي تحصل بزيادة حرف في أول الأصل ، مثال ذلك نقض من قض ، ومقط من قط بمعنى الكسر . أو في الوسط نحو قرص من قص ، وقرض من قض وقس عليه التنوعات الحاصلة بالقلب مما يضيق المقام عن استيفائه .

ومن غريب الابدال أن تكون « يد » و « قط » أو احدى أخواتها من أصل واحد . ولا ننكر ما في ذلك من دواعي الاستغراب ولكن الدليل يقرب البعيد . فإن القرب بينهما في المعنى واضح لأن اليد هي مصدر القطع ، وأول استماع الانسان حكاية صوت القطع ، إنما كان بواسطتها فلا غرو إذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ، ونسبة اليد للقطع معنى كنسبة قاطع إلى قطع ، ولا يخفى ما هنالك من المشابهة . وأما في اللفظ فأنا باستقراء أصل كلمة يد في اللغات السامية أخوات العربية نرى أنها قريبة جداً من قط ، فإنها في الآشورية « غت » وهي حكاية صوت القطع بعينه<sup>(١)</sup>.

فترى أن تنوعات حكاية صوت القطع مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ، ولا يخفى أن كلا من هذه التنوعات أصل لمشتقات ، وتنوعات جمّة لفظاً ، ومعنى حقيقة ومجازاً ، وإذا أردت تحقق ذلك راجع كلا من هذه المواد في مكانه من القاموس ، فترى أن لبعضها مئات من التنوعات المعنوية التي بعضها يرد إلى معنى القطع وبعضها لا يرد لما حام حوله من اضلال المعاني الأخرى ، أما بالاستعمال أو بتنوع المعاني نفسها أو غير ذلك .

وما قيل في « قط » يقال في غيرها من حكاية الأصوات ، فمن « هب » حكاية صوت اللهب إذا نشخته الريح ، أو هو ما نسمعه ممن يعمل عملاً يقتضي اجتهاداً ، وقد تصور فيه معنى الهيجان لنا سلسلة هَبَج وهَبَذ وهَبَش وهَبَص وسلسلة هَب وَهَب وسلسلة هَدَب ، وهكذا . ولنا من « لت » حكاية صوت اللطم لت ولتَب ولتَج ولتذ ولتذ ولتف

(١) يد باللغات السامية كلها إما بصيغة « يد » وأما بصيغة « ايد » .

ولتَم . ويجانس لت « لَط » ومنها لَطاً وَلَطْتُ وَلَطَحَ وَلَطَخَ وَلَطَسَ وَلَطَشَ وَلَطَعَ وَلَطَمَ وَلَطَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، وجميعها تتضمن معنى الدق والشد ، ومنها سلسلة أخرى أولها لبط . وهكذا يقال في « فق » حكاية صوت القربة إذا انبثق منها الماء ، وتتضمن معنى الفتح ، ومنها فُقَّ وفَقَّ وفَقَّر وفَقَّص وفَقَّش وفَقَّع وقَس عليه كثيراً من أمثاله .

فهذه التنوعات مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ولا يبرح من بال القارىء أن كلا منها أصل لمشتقات وتنوعات جمّة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً . وإيضاحاً لذلك نذكر مشتقات وتنوعات أحدها « قَطَعَ » ومعناها أصلاً أبان أو فصل فمنها : قَطَعَ فلاناً عن حقه منعه<sup>(٣)</sup> . وأقطع الحدث الصلاة أبطلها . وفلان في القول جزم وقطع الطريق منعه وقطع النهر عبره . وقطع لسانه أي أعطاه احساناً حتى اسكته عن هجوه . وقطع فلان الحبل اختق ، وقطع الحوض ملاءه إلى نصفه ثم قطع عنه الماء ، وقطع عنق دابته باعها . وقطع الرجل أو قطع لسانه لم يقدر على الكلام . وقطعت يده قطعاً وقطعة وقُطِعاً وقُطَاعاً بانت بقطع أو بداء عرض لها . وقطع بفلان مجهولاً عجز عن سفره أو حيل بينه وبين ما يؤمله ، وقُطِع فلان يئس أو عجز . قطعهُ شديداً أو بكثرة . قطعني الثوب كفاني التقطيع . يقال هذا الثوب يقطعك قميصاً . وقطع فرسه الخيل سبقها . وقطع الله عليه العذاب لونه وجزّاه . وقطع الخمر بالماء مزجها . وقطع العروضي الشعر حلله إلى أجزائه العروضية . قاطعه ضد واصله . وفلان فلاناً بسيفهما نظرا أيهما أقطع . وقاطع فلاناً على عمل ولاه إياه بأجرة معينة . وأقطع الامام الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً . وقد دعوا اسم ذلك

(١) أنظر صفحة ١٠٠ .

(٢) أنظر صفحة ١٢٦ .

المكان الذي يقطع قطيعة . وأقطع فلاناً أخشاباً أذن له في قطعها .  
 أقطعت الدجاجة أقفت . وأقطع النخل أصرم . وماء الركبة ذهب .  
 وأقطع القوم انقطعت عنهم مياه السماء . وفلاناً جاوز به نهراً . والرجل  
 انقطعت حجته وبكتوه بالحق فلم يجب . والغريب عن أهله انقطع عنهم  
 وبأيّهم . وتقطع الشيء مطاوع قطع . تقطعت الخمر وامتزجت .  
 وتقطعوا أمرهم بينهم تقسموه . وتقاطعا ضد تواصلأ . وانقطع الشيء  
 مطاوع قطع والسيف انكسر . وماء الركبة ذهب . والغيث احتبس .  
 والنهر جفّ أو حُبس . وانقطع بالمسافر على المجهول عطبت دابته أو نفذ  
 زاده فانقطع به السفر دون طيه . فهو منقطع به . واقتطع من ماله قطعة  
 أخذ منه شيئاً ، واستقطعه بلداً سأله أن يُقطعه إياها . القاطع اسم فاعل  
 والحاجز والمقطع الذي يقطع به الثوب والأديم ونحوهما ، وقيل القاطع هو  
 المثال الذي يقطع عليه وسيف قاطع أي ماض . ولبن قاطع أي حامض .  
 وبرهان قاطع أي يقطع الحجة أي مقنع . وقاطع الطريق اللص . والعامّة  
 تقول قاطع النهر أي الشاطئ المقابل . ودواء قاطع أي ذهب قوته .  
 والطعام القاطع عند النصارى ما ليس من لحوم حيوانات البر ولا من  
 ألبانها . والمنقطع عن تناول غير هذا الطعام يقال له قاطع أيضاً .  
 القاطعية عند التجار الكمية التي تفنى بالاستعمال من طعام وبضاعة  
 ونحوهما . القطاع المقطع الذي يقطع به الثوب والأديم ونحوهما  
 والدراهم . وزمن القطاع أي زمن صرام النخل . والقطاع مصدر وعند  
 المهندسين يطلق على شيئين : أحدهما قطاع الدائرة والثاني قطاع الكرة .  
 القطاعة اللقمة وما سقط من القطع وطائفة تقطع من الشيء أو هي  
 مختصة بالأديم . القطاعة عند النصارى الاقتصار على الطعام القاطع  
 المذكور آنفاً . القطاع عند البنائين الذي يقطع حجارة البناء من الصخر .  
 وآلته القطاعة . وحرفته القطاعة . والقطع ابانة بعض أجزاء الجسم  
 فصلاً . وقطع اللص يراد به قطع يده . وقولهم أن الأمر واقع قطعاً

النصب فيه على المصدر أي أقطع به قطعاً بمعنى أجزم . أو على الحال أي مقطوعاً بوقوعه . والقطع عند المتقدمين من القراء الوقف . والمتأخرون منهم فرقوا بينهما ، فقالوا : القطع عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، لا بنية الاعراض عنها . وهو عند العروضيين حذف آخر الوجد المجموع الواقع في عروض البيت أو ضربه ، واسكان المتحرك قبله كحذف النون من متفاععلن ، وتسكين السلام فيصير متفاعلاً ، ويُنقل إلى فاعلاتن . ويسمى ذلك الجزء مقطوعاً . والقطع عند النحاة ترك التبعية والعدول إلى خلافها كقراءة بعضهم الحمد لله الحميد برفع الحميد على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو الحميد ونصبه على أنه مفعول به لفعل محذوف أي أعني الحميد . وعند أهل المعاني الفصل وهو ترك العطف . وذلك يكون بين الجمل لكون عطف الواحدة منها على الأخرى يوهم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود عطفها . ويطلق القطع عند الحكماء على فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه ، وعند الأصوليين على معنيين : أحدهما نفى الاحتمال أصلاً . والثاني نفى الاحتمال الناشيء عن دليل . وهمزة القطع عند الصرفيين التي تثبت لفظاً في الابتداء والدرج جمعاً . والقطع ما تقطع من الشجر ونصل صغير عريض ، وظلمة آخر الليل أو القطعة منه أو من أوله أو من ثلثه ، والرديء من السهام والبساط أو النمرقة أو طنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير . وثوب قطع وأقطاع أي مقطوع . القطع البهر وانقطاع النفس وجمع لأقطع والقطيع وأصحابهم قطع أو قطع أي انقطع ماء بثرهم في القبط . القطع القطعة من الليل . ورجل قطع أي هاجر رحمه وقاطعها وعاقها . القطعاء مؤنث الأقطع . ورحم قطعاء لم توصل . القطعة الحصة من الشيء . وقطعة علم للأثني من القطا . القطعة عند المهندسين كالقطاع ، والقطعة من الشعر ما كان سبعة أبيات فما دون وقيل عشرة ، والقطعة بقية يد الأقطع . وموضع القطع . القطوع من النوق التي يسرع انقطاع لبنها .

القطيع الطائفة من الغنم والنعم . وهو قطيع القيام أي منقطع القيام ضعفاً أو سمناً ، وامرأة قطيع الكلام أي غير سليطة . وهو قطيعه أو شبيهه في خلقه وقده . القطيعاء ضرب من التمر . القطيعة الهجران ، الاقطع المقطوع اليد . وحمام اقطع أي في بطنه بياض . الانقطاع في المناظرة اختتام البحث بشيوت دعوى المستدل أي دعوى المعارض . والتقطيع مغص في الأمعاء « سموه تقطيعاً لأن المصاب به يحس كأن أمعاءه تتقطع » .

المقطع من لا يثبت على مواخاة . المقطع حرف مع حركة أو حرفان ثانيهما ساكن ، وقيل هي الحركة الاعرابية ، ويطلق المقطع أيضاً على مخرج الحرف من الحلق أو اللسان أو الشفتين . مقطع الاسحار الأرنب المقطعات من الشعر قصاره وأراجيزه . اهـ<sup>(١)</sup> .

هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات « قط » فقس عليه ما بقي منها ، واجمع تر أنها تفوق الآلاف عدداً .

ومعلوم أن هذه التنوعات لم تكن مقصودة عند أول استعمال قطع بل حدثت بعد ذلك تبعاً لاحتياجات البشر ، ووفقاً لما استدعته الأحوال ، الأمر الذي لا ينفك ولن ينفك جارياً إلى ما شاء الله ، فإن كثيراً منها قد طرأ عليه بعد أن جمعت اللغة تنوع اقتضته الأحوال ، وكثيراً منها أبطل استعماله وألقى في زوايا الإهمال ، ولا يخفى على كاتب في اللغة أن كثيراً من المعاني المجازية للألفاظ قد أهمل لدواع غير معروفة تماماً ، وكل يعلم أن الألفاظ على الدوام آخذة باكتساب معان جديدة إما بين الكتاب للتعبير عن أفكار حديثة ، أو بين العامة جرياً على ناموس الارتقاء العام - فالعامة

(١) مختصر عن محيط المحيط .

تقول « رجل مستور » ويقصدون بها أنه في درجة متوسطة من المعيشة .  
فلأول وهلة لا تشاهد علاقة بين اللفظ والمعنى إذ أن « مستور » مشتق من  
ستر أي غطى لكننا نعلم أنهم قصدوا بها بادية بدء أن هذا الرجل ليس  
فقيراً لدرجة تحمله على الاستعطاء أو الاستمرار على حالة تشهر أمره ، بل  
هو قادر على اكفاء عائلته بحيث لا يعلم الآخرون باحتياجهم ، فهم  
مستورون عن أعين القوم . وتصرفوا بها فقالوا « بدنا السترة » بمعنى لا  
نطلب من الاحتياجات إلا سد العوز . وأمثال هذه كثيرة على ألسنة العامة  
يسمعها كل منا . وبما لا بد من ذكره أن هذا التنوع المعنوي يصحبه غالباً  
تنوع لفظي ، فهم يقولون ( صهر ) بمعنى خرج وأصلها بلا ريب ( ظهر )  
إذ ليس للأولى من أثر في كتب اللغة ، فانظر كيف انها تنوعت لفظاً  
ومعنى ، ولا يخفى ما هناك من النسبة بين معنى الظهور والخروج . ولم  
يكتفوا بذلك بل أطلقوا ( صهر ) فصارت تفيد عندهم مفاد جملة فيقولون  
صهر أو خرج ، ويريدون بذلك « خرج لقضاء حاجة نفسه » .

وتستعمل العامة ( صلاحية ) للدلالة على اناء للطعام كالقصة وإذا  
بحثنا عن أصل هذه اللفظة نرى أنها مبدلة من ( صراحية ) التي وضعت  
أصلاً للدلالة على الخمر الخالصة ، ثم استعملت مجازاً لآنية الخمر ، ثم  
أطلقت على اناء الطعام . وهناك سؤال آخر ، ما هي العلاقة بين هذه  
التسمية والخمر ؟ فنقول : إن ( صراحية ) مشتقة من ( صرح ) بمعنى صفا  
فأطلقت على الخمر الصافية ، ثم على آنيته ثم على آنية الطعام فتأمل .

ولدينا من جملة أفعال القتل قولهم ( نيشن ) والباحث يرى أنها  
مأخوذة من نيشان ، وقد اكتسبت هذه الدلالة من وضع المجرمين أحياناً  
هدفاً للرصاص جزاء ما كسبت أيديهم ، والهدف يدعونه نيشاناً فقالوا  
نيشنه أي قتله بجعله هدفاً يرمى عليه رصاص البنادق . وأظن أنه لا  
تمضي مدة حتى تطلق هذه اللفظة على أي نوع من القتل . ومن أنواع



القتل عندنا « شَنَق » وهذه كانت تدل قبلاً على العذاب وفي السريانية يقال ( شَنَق ) أي عَذَّب فحمل معناها على القتل شَنْقاً لأنه من أشد ضروب العذاب ، وغير هذه الأمثال كثير مما نشاهده ونسمعه كل يوم .

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات الاعتيادية في اللغة قبل أن جمعت إذ كان يرافق التنوع المعنوي تنوع لفظي ، فخصوا كل تنوع معنوي بآخر لفظي فوصلت إلينا الأفعال كما نشاهدها .

فالألفاظ الثنائية الاحادية المقطع هي الأصل في كل هذه التنوعات بدليل أن الأصول اللغوية في سائر اللغات احادية المقطع ، وإن لم تكن جميعها ثنائية الأحرف . ففي اللغات الآرية لنا جذور قليلة العدد ، هي أصل لجميع المشتقات ، وهذه الجذور أحادية المقطع على الإطلاق .

منها : I أصل معنى الحركة البسيطة ، و Ka الاضطجاع ، و Ak الحركة السريعة Sta الوقوف ، و As أو Sac الجلوس ، و Pad المشي ، و Vas البقاء و Sac اللاحاق ، و Vart العود ، و Sarp السحف ، و Pat الطيران ( وعندي أن هذه و Pad المتقدم ذكرها من أصل واحد لتوافقهما في اللفظ والمعنى ) ، Plu الفيضان ، و Ad الأكل ، و Pa الشرب ، و An النفخ الخ . ومن هذه الجذور تتولد كلمات عديدة لمعان متنوعة ترد بالاستقراء إلى معاني جذورها .

وهكذا الحال في اللغات السامية أخوات العربية ، فإن الأصول الفعلية والأسمية ساكنة الأواخر فيها على الإطلاق ، والمضاعف قليل الاعتبار لفظاً في تلك اللغات إلا حملاً على العربية ، وطلباً للتعليل اعتماداً على كون الأصول المجردة جميعاً ثلاثية الأحرف على أنهم لا ينطقون بالمضاعف إلا مقطوعاً واحداً مخففاً مثاله في السريانية ( حَش ) تألم و ( كَس ) قصم و ( زَل ) نفص و ( حم ) همى و ( حك ) تلفظ ( حخ )

وحكّ) و( حَنَ ) تحنن الخ . . . وفي العبرانية ( جزّ ) جزّ و( جرّ ) جرّ  
( دق ) و( زك ) تلفظ ( زخ ) طهر . . إلى آخره .

فيرجع بقياس التمثيل أن أواخر الأفعال كانت ساكنة أصلاً في  
العربية إلا أن أسلافنا قاطني البادية تفننوا فيه على طرق مختلفة . والأمم  
يختلفون من جهة أواخر الكلم ، فمنهم من تنتهي ألفاظ لغتهم بما ندعوه  
في لغتنا سكوناً ، ومن هؤلاء المتكلمون باللغات السامية إلا العربية على  
أن من العرب أنفسهم من يستقلون الحركة في أواخر الألفاظ فلا ينطقون  
بها ، وهم قبائل مضر ، وأكثر المتكلمين بالعربية لهذا العهد ، وهناك أمم  
لا يرتاحون إلا لتحريك الأواخر كعرب قريش وكالإيطاليين والاسبانيين ،  
وكذلك كانت اللغة الهندية القديمة ( السنسكريتية ) ومن هذا القبيل أيضاً  
لغة البرابرة القاطنين في النوبة . ومن الغريب أن اللغة الاشورية يكاد لا  
يوجد فيها لفظ ساكن الآخر بل معظم ألفاظها متحركة .

وجملة القول أن من الأمور الراجحة قياساً واجلية استقراء أن لغتنا  
مؤلفة أصلاً من أصول قليلة احادية المقطع ، ثنائية الأحرف في الأغلب  
معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية ، وبعضها عن المقاطع  
الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً ، وأنه من هذه الأصول القليلة قد  
نشأت وارتقت بارتقاء أفكار المتكلمين بها ، وتعددت ألفاظها بتعدد  
احتياجاتهم ، وتنوعت طرق التعبير ومعاني الألفاظ بتنوع أحوالهم ، وكل  
ذلك جرى على طرق أهمها أربع : النحت والابدال والقلب والاستعارة ،  
وقد حصل معظم هذا التفرع أو التنوع ، واللغة العربية لا تزال في حجر  
أمرها وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن أخواتها السامية ( العبرانية والسريانية  
وغيرهما ) أي إذ كانت هي ومن لغة واحدة .

وهل يصعب علينا الاقتناع بذلك بعد أن شاهدنا عياناً أن من حكاية  
صوت واحد تولد ما فوق المئة من الأصول الفعلية الثلاثية ، ومن كل

أصل تولدت تنوعات واشتقاقات معنوية ولفظية تبلغ المئة في البعض والخمسين في البعض الآخر . وقصارى الكلام أن من هذه اللفظة الثنائية الأحرف الاحادية المقطع تولدت أفعال وأسماء تفوق الآلاف عدداً ويؤيد ذلك ما تقدم شرحه عن الألفاظ المطلقة ، وكيف أنها مع تعددها ناشئة عن لفظ واحد أو بضعة ألفاظ .

ولا يفوت القارئ اللبيب أن جميع هذه التفرعات ، ومعظم تنوعاتها وسائر الأدوات اللغوية وطرق الاشتقاق والتصريف قد بلغت معظم ارتقائها في أزمنة غاب عن معرفتنا حدها . إذ أن أقدم ما جاء به التاريخ كأمس بالنسبة إليها ولا ريب لدينا أنها بلغت ذلك المبلغ ، وهي لم تزل في حجر أمها والمقابلة تثبت لنا ذلك جلياً .

فلا نطمع إذن أن باستطاعتنا تطبيق جميع الأصول اللغوية على أصوات تحاكيها في الخارج ، ونحن لا نعلم عن منشأ اللغات السامية شيئاً ، فاللغة السامية أو الآرامية التي يريدون بها أم تلك اللغات ليست إلا لغة وهمية ظن اللغويون أسبقيتها للغات السامية ، وعدوها أصلاً لها استدلالاً مما شاهدوه في ألفاظها ، وطرق تعبيرها وقياساً على سواها .

وهناك طريقة أخرى لوضع الصفات والنعوت وردت في « سر الليال » ويعبر عنها مؤلفة بحكاية الصفة وقد قال فيها ما نصه :

« أما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها أنها تدل على صفة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم أو الشدة والتفخيم كقولهم مثلاً ( شيء منمنم ) أي مزخرف ، فهو نحو توهم الفرنسيين لفظة ( مينيم ) للشيء القليل الوجيز وشيء ( مللملم ) أي مدور مضموم مجتمع وقولهم ( خبخاب ) لرخاوة الشيء المضطرب ، والعامة تقول ( مخبخب ) للسمن المضطرب ، وكقولهم ( امرأة رجراجة )

أي يترجرج عليها لحمها ، وربما التبتت حقاً حكاية الصفة بحكاية الصوت وكقول العامة ( مريبب ) للسمين المكتنز ، وهو في لغة الانجليز ( بَلْمَب ) بفتح اللام وسكون الميم وكقولهم ( المهفهف ) للممشوق البدن و ( النع ) للرجل الضعيف ، والعامة تقول ( منعنع ) للطيف المترفه وكقول الترك ( نازك ) ونحو ( السلسل ) للهاء العذب ، أو البارد و ( السلس ) للسهل اللين ، و ( السلسيل ) اللين الذي لا خشونة فيه و ( الوسوسة ) لحديث النفس ، و ( الهمس ) للضوت الخفي ، و ( السداح ) نقش يلوح للصبيان يعللون به ، والعامة تقول ( دح ) وهي في لغة الانجليز ( دال ) و ( الحاد ) لما يلذع اللسان و ( الهجنع ) الطويل الضخم ورجل ( عكوك ) أي قصير ملزز و ( خفنجل ) و ( خفنشل ) أي ثقیل سمج و ( مهبج ) أي ثقیل النفس وضخم ، و ( مقرقم ) لمن لا يشب ، و ( مزكرك ) لمن يمر ويقارب خطوه ، و ( زونك ) لمن يمشي ويحرك منكبية وناقة ( زيزفون ) أي سريعة ، و ( كز ) أي يابس متقبض وشيء ( تافه ) لما ليس له طعم ، و ( جهم ) للوجه الغليظ المجتمع و ( هلق ) للقدم الضخم و ( جهضم ) للضخم الهامة ، و ( حفنجي وخفنجي ) للرجل الرخو لا خير عنده و ( خجوجي ) للطويل الرجلين ويلحق به نحو بزه أي غلبه وبش به وهشّ وماس وترنج وطال وفرّ ولزّ وتقزّز وقس على ذلك « اه (١) » .

(١) من صفحة ١٣١ إلى صفحة ١٥٨ أنظر تعليق (١) صفحة ٥٦ .

# اختراع الكتابة

## ١ - الطريقة الطبيعية لاختراعها

خلق الله الانسان بين عاملين هما أصل الاختراع والاكتشاف أولهما الضرورة التي تسوقه إلى البحث ، وثانيهما النور الطبيعي الذي يدلّه على أسرار الطبيعة ويهديه إلى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه . ولو تتبعنا سائر اختراعات الناس من النار التي لم يدرك التاريخ زمن اختراعها إلى أشعة الراديو التي سمعنا بها بالأمس لرأيت الدافع إليها كلها الضرورة على حد قولهم : « الحاجة أم الاختراع » .

فقضى الإنسان قروناً متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ، ولكنه لا يكتب ، فما لبث أن تكاثرت وتآلف واتسعت علاقاته وعكف على الأسفار التماساً للرزق حتى اضطر إلى الكتابة لمخاطبة جاره ، أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره .

فلنفرض قبيلة من قبائل البشر في أول عهد العمران يقتات أفرادها على الأعشاب واقتناص الحيوان ، ويأوون إلى الكهوف والمغاور ألم بها مصاب همها أمره ، فأحببت تدوينه نحو أن أسداً وثب على شيخها فافترسه ، فما ظنك في الطريقة التي يخترعونها لتدوين تلك الحادثة . لا

أخالك ترى وسيلة غير التصوير إما بالرسم أو بالنقش على ما تقتضيه حالهم من الصناعة ، فيرسمون أسداً واثباً على رجل ينهشه بمخالبه أو نحو ذلك . وهي أول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها « الدور الصوري الذاتي » ، وهو أبسط أدوارها لأنه قاصر على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً ، ولا فائدة منه إلا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير . ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض ، وكقولك اليوم والغد والصباح والمساء ، فضلاً عن المعاني الكلية ، فهذه كلها يضطر فيها إلى الرموز ، فقد يرمز عن المحبة مثلاً بالحمامة ، وعن البغض بالحية ، وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة . فلنفرض أناساً جاءوا تلك القبيلة بحراً ، وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطئ ليلاً ، وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه أو أحد أتباعه ابلاغه ذلك كتابة ، فلا نظنه بعد أعمال فكرته يهتدي إلى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة :



فيعبر عن العدو برسم رجل مسلح ويريد بالنقط الكثيرة أن الأعداء عديدون وبصورة السفينة أنهم نزلوا البحر وبالقوس وفي أعلاها الدائرة ، وهما خط الهاجرة والشمس في أعلاه يريد اليوم وبالمخطوط الثلاثة أنهم ساروا في البحر ثلاثة أيام وبالشجرة البر وبالقوس وفيه رسم الهلال وشيء يشبه النجوم أن الأعداد نزلوا الشاطئ ليلاً .

وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلاً عن الذاتية

ونسُميها « الدور الصوري الرمزي » ، ويمكن التعبير بها عن أكثر حاجيات  
الانسان<sup>(١)</sup> .

(١) ذهب العلماء في نشأة الأبجدية مذاهب شتى :

- ١ - نشأتها من أصل مصري قديم .
- وازن أصحاب هذا الرأي صور الأبجدية الفينيقية بالعلامات الدالة على الصامت في المصرية القديمة من الخط الهيروغليفي ومنهم من استعان بشكلها في الخط الهيراطي . ومنهم من ذهب إلى أن العلامات المصرية لم تؤخذ بالأصوات الدالة عليها ، بل ترجمت الصور إلى الفينيقية ثم أعطيت دلالة صوتية جديدة .
- ومنهم من ذهب إلى أن الأبجدية اشتقت من المصرية القديمة بعد أن توسطتها الكتابة السينائية .
- ٢ - ومن العلماء من ذهب إلى أنها اشتقت من الخط الكريتي إما عن طريق الفلسطينيين الذين حملوها إلى الساميين ، وإما عن الخط الكريتي بتوسط الخط المصري القديم .
- ٣ - ومنهم من أرجع نشأة الأبجدية إلى الخط الحثي القائم على الصور .
- ٤ - ومنهم من ذهب إلى نشأتها عن الخط القبرصي المقطعي .
- ٥ - ومنهم من رجح أنها نشأت عن ابجدية جيبيل الشبيهة بالهيروغليفية والتي تأثرت بدورها بالمصرية القديمة .
- ٦ - ومنهم من ذهب إلى أن نشأتها عن الخط الأسفيني وبخاصة بعد أن كشف سنة ١٩٢٩ في رأس شمرا عن خط أبجدي أسفيني مستمد من الخط المقطعي الأسفيني ، وتعرف اللغة التي كتبت بهذا الخط الآن باللغة الاوجريتية .
- ٧ - ومن العلماء من ذهب إلى أن نشأة الأبجدية الفينيقية كان بالسليقة ، وقد نشأ بعض الحروف من البعض الآخر . ولا يمنع أن يكون هناك تأثير سطحي لنظام الكتابة الذي كان متبعاً في البلاد التي تجاور الفينيقين وبخاصة الكتابة الهيروغليفية الكريتية ، والكتابة الشبيهة بالهيروغليفية التي عثر عليها بناحية جيبيل .
- وبالرغم من أن العلم الحديث لم يقطع بنظرية من هذه النظريات ، ولكن بما لا شك فيه أن هذه الآراء كلها تلتقي على اختلافها في أن الفينيقين هم اصحاب الأبجدية المعروفة ، وعندهم انتشرت في العالم .
- أما زمن نشأتها فيحدد بعد القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وذلك لأن الامارات التي كانت منتشرة في الشام وفلسطين كانت تتراسل باللغة البابلية والخط البابلي الأسفيني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وهذا يدل على أن الأبجدية لم تكن قد نشأت في هذا القرن أو على الأقل لم تكن قد انتشرت . وكانت معظم الرسائل التي عثر عليها في مدينة جيبيل مكتوبة على البردي المصري . وفي سنة ١٩٢٣ عثر في جيبيل على تابوت الملك « أحيرام » الذي يرجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو مكتوب بالأبجدية الفينيقية .

ثم لا يلبثون بتوالي الأجيال أن يهتدوا إلى اتخاذ صورة الشيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من (عدو)، وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة، والشجرة على الشين مفتوحة، وقس عليه وهو أهم خطوة في اختراع الكتابة لأن بها تتحول الأشكال الصورية من الدلالة على أسمائها كاملة إلى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها، وهو ما نسميه بالدور المقطعي .

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرها مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها . على أن يد الإنسان ميالة إلى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً في الوقت، فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره أن يتحول إلى شكل يشبهه، ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالة الأصلية . فلا يعرف الناس إلا أن ذلك الشكل يدل على العدو أو على مقطع « عا » ولا يرون علاقة بينها .

ثم لا يلبث الإنسان أن يهتدي إلى اختراع الحركات، فبدلاً من أن يدل الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط، ويخترع له علامة تدل على الحركة أو ما يقوم مقامها، فالشكل الذي كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة، وهكذا في ما بقي . فبدلاً من أن يكون الشكل الدال على مقطع ( عا ) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة، أو مكسورة يستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح أو الضم أو الكسر بعلامة تضاف إليها، وفي ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لا يخفى وهذا هو الدور الهجائي .

فالأدوار التي تمر بها الكتابة قبل وصولها إلى نحو ما هي عليه الآن أربعة :



١ - الدور الصوري الذاتي وتدل الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به إلا عن أبسط الحوادث .

٢ - الدور الصوري الرمزي وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صور رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج وفي هذا الدور يمكن التعبير عن أكثر ما يمر بذهن الانسان من المعاني على اختلاف أنواعها ، ولكن يقتضي لذلك مئات بل ألوف من الصور وفيه من المشقة ما فيه .

٣ - الدور المقطعي وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة ، فبين أن اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها إلا بألوف من الصور يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط .

٤ - الدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت إليها الكتابة حتى الآن ، فإنك ببضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل ألفاظ اللغة مهما تعددت وتنوعت .

## ٢ - تاريخ الأقلام التي استعملها الناس حتى الآن

علمت مما تقدم الطريقة التي يمكن أن تتدرج الكتابة فيها من أبسط أحوالها إلى مثل ما هي عليه الآن ، فلتتقدم إلى تأييد ذلك بما وقع فعلاً من تاريخ الخطوط التي استخدمها البشر منذ أول عهدهم بالعمران حتى بلغت ما هي عليه اليوم .


والاقلام التي استخدمها الانسان من أول أزمانه إلى الآن تعد بالآلاف ، ولكن معظمها مهملة ، ولسهولة البحث فيها نقسمها إلى قسمين كبيرين هما : ( ١ ) الأقلام الأصلية ( ٢ ) الأقلام الفرعية .

الأقلام الأصلية - نريد بالأقلام الأصلية ما توصل إليه الانسان من تلقاء نفسه على الاسلوب الطبيعي كما رأيت في « الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة » .

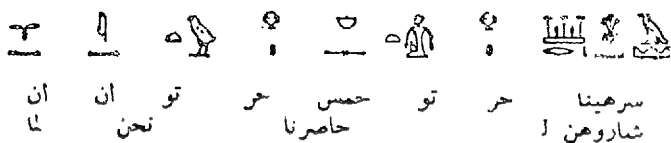
ومن هذا النوع الأقلام التي استخدمتها الأمم المتقدمة قديماً وقد عرفنا منها أربعة وهي : الهيروغليفي ، والاسفيني ، والحثي ، والصيني ، فهذه الأقلام نشأ كل منها على حدة ، وتدرج مع الدور الصوري الذاتي إلى الدور المقطعي ، ولكنها وقفت بين الدورين الثاني والثالث أي أنها في الغالب مزيج من الدور الصوري الرمزي والدور المقطعي .

الأقلام الفرعية - وهي ما تفرع من الأقلام الأصلية وفيها كثير من الخطوط المستعملة والمهملة من قديم ويحدث ولبيان ذلك نقول :

#### ١ - القلم الهيروغليفي :

هو أهم الأقلام الأصلية ومنه تفرعت أكثر الخطوط المشهورة في العالم على ما يظن ، وقد وصل إلينا وهو في حال الانتقال من الدور الصوري الرمزي إلى الدور المقطعي أي أن بعض صوره تدل على معان ذاتية ، وبعضها على معان رمزية ، وبعضها يدل على مقاطع . فمثال الدلالة الذاتية دلالة صورة الشيء على لفظه وهو متشابه في كل الخطوط الأصلية . وأما الصور الرمزية فلكل أمة اصطلاح مخصوص . ومن أمثلة الصور الرمزية عند المصريين  فالصورة الأولى منها تدل على السلب أو الضياع ، والثانية صورة نجمة معلقة تدل على الظلام ، والثالثة ذراع مبسوطة قابضة بكفها على عصا وتدل على القوة ، والرابعة ساقان ماشيتان للدلالة على الحركة ، والخامسة رجل يده في فيه للإشارة إلى أي عمل من أعمال الفم كالتكلم والطعام والشراب ، والسادسة صورة طير صغير يرمزون به إلى الشر . وأما الصور المقطعية

عندهم فهاك مثالها مع نطقها وتفسيرها وتقرأ من اليسار إلى اليمين .



فبقي المصريون أزماناً متطاولة يكتبون بهذا القلم ، وتفرع منه قلمان استخدموهما معه وهما : الهيراتي والديموطيقي ، فكانوا يستخدمون الأقلام الثلاثة معاً . على أن الهيروغليفي كان محصوراً في الكهنة والمظنون أنه ما زال مستخدماً إلى القرن الثالث للميلاد . أما الهيراتي فهو عبارة عن الصور الهيروغليفيه ، وقد تشوهت هيأتها التماساً للعجلة والديموطيقي أحدثها ، وهو أقرب إلى الحروف الهجائية<sup>(١)</sup> . وما زالت هذه الأقلام شائعة بمصر حتى استبدلها الأقباط بالحروف اليونانية القديمة ، واستعاروا بعض الحروف الديموطيقية للدلالة على مقاطع قبطية لا مثال لها في اليونانية<sup>(٢)</sup> .

قلنا أن القلم الهيروغليفي أصل أكثر الخطوط المشهورة والأرجح أن الفضل في نقل هذه الخطوط وتفريقها في العالم راجع إلى الفينيقيين سكان سواحل سوريا في أقدم أزمنة التاريخ ، فإنهم عاصروا الفراعنة القدماء ، وهم أول من سلك البحار وجاب الأمصار للتجار والاستعمار قبل الميلاد بقرون ، فاستخرجوا الحروف الهجائية من القلم الهيروغليفي ، ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم ، فعلموها لليونان والكلدان واليهود وغيرهم قبل

(١) الديموطيقي خط مقطعي أيضاً .

(٢) استعار الأقباط بعض المقاطع الديموطيقية وكونوا منها بعض الحروف للدلالة على الأصوات القبطية التي لا مثال لها في اليونانية .

المسيح بقرون ، ومنها تفرعت الخطوط المستعملة في سائر أنحاء العالم المتمدن الآن<sup>(١)</sup> .

أما توصل الفينيقيين إلى تلك الحروف فكان بالاقتراس والتحسين وليس بالاختراع ، وإنما كانوا يردون مصر للتجارة فاضطروا في معاملة المصريين وغيرهم إلى استخدام الكتابة ، وأخذوا بعض الصور الهيروغليفية أو الهيروغليفية كما كانت تستعمل عند المصريين وتصرفوا في رسمها لسهولة استعمالها ، فاجتمع عندهم منها على توالي الأيام ٢٢ شكلاً استخدموا كلاً منها لمقطع أو حرف من حروف لغتهم ، وسموه باسم يدل على شكله . فكان رسم الثور  مثلاً عند المصريين مستعملاً للدلالة على الثور وهو في لغتهم ( آو ) ، فرسم الفينيقيون شكلاً يشبه رأس الثور وجعلوه للدلالة على مقطع الألف وسموه « ألف » ومعناها في الفينيقية ( ثور ) واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت  ويدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم ( با ) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيت » أي بيت . واتخذوا رسماً آخر يشبه رأس جمل  . . . واستخدموه لحرف الجيم وسموه ( جميل ) أي جمل ، وهكذا في الشين المسننة فإن في الهيروغليفية يقابلها هذه الصورة  وهي رسم أشجار مغروسة وقس عليه سائر الحروف . فكانوا يقتبسون الحرف فيقتضبونه ويسمون به باسم يدل على شكله حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم ، وتكونت الأبجدية الفينيقية وأسماء حروفها تدل على أشكالها كما ترى في الجدول في الصفحة التالية<sup>(٢)</sup> .

(١) تفرعت عن الفينيقية جميع الابجديات المعروفة في العالم وسلكت في ذلك خمسة مسالك : اليونانية ومنها إلى جميع خطوط أوروبا ، والعبرية القديمة ومنها إلى المؤابية والسامرية ، والعربية الجنوبية ومنها إلى الحبشية ، والآرامية القديمة ومنها إلى خطوط الشرق الأدنى واللاوسط ، والبراهيمية في مسلك لا نعرفه بالضبط وعنها أخذت خطوط الهند وشرق آسيا ، والبنوية في شمال إفريقيا .

(٢) أسماء الحروف في الفينيقية تدل على أشكالها أما الحرف فيدل على الصوت الأول من اسم

فالفينيقيون نقلوا هذه الابدجية إلى بلاد اليونان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد<sup>(١)</sup>، وهو القلم اليوناني القديم ونقلوها إلى ما بين النهرين ، فعلموها للاشوريين وهو القلم الكلداني القديم أو الآرامي وكان الاشوريون يكتبون بالقلم الاسفيني فأهملوه واستخدموا الحرف الفينيقي لسهولة استعماله . ومن القلم اليوناني تفرعت الأقلام الرومانية والقوطية واليوناني الحديث والسلافي ، ومنها تولدت الأقلام التي تكتب بها لغات أوروبا وأمريكا وغيرها . وتفرع عن اليوناني أيضاً القلم القبطي كما تقدم ، وأقلام أخرى أهملت ، وهي التريجاني والليسياني والأترووسكاني والكارياي . ومن القلم الآرامي تولدت كل الخطوط الشرقية وفي جملتها العبراني المربع ، والسطرنجيلي ، والنبطي والهندي ، ومن السطر نجيلي تفرع السرياني والكوفي ، ومن النبطي تفرع الخط العربي النسخي الذي نكتب به نحن الآن ، ومن الهندي تفرعت خطوط الهند . وتفرع من الفينيقي رأساً أيضاً الحرف العبراني القديم . والقبرسي والقرطنجي ، وتفرع من العبراني القديم الحرف السامري وكلها مهمة . وفي الجدول بالصفحة التالية صور الحروف الفينيقية واليونانية القديمة والسامرية وبازائها ما يقابلها من الحروف العربية ، وترى المشابهة بين الفينيقي واليوناني القديم واضحة ، وكذلك بين هذا وسائر فروعه . أما الآرامي وهو أصل الخطوط الشرقية فقد كان في أول أمره نفس الحرف الآرامي وهو أصل الخطوط الشرقية فقد كان في أول أمره نفس الحرف الفينيقي ، ثم أخذ يتنوع ويبتعد عنه وأول ما لاحظوه فيه من التفرع انفراج أعلى

---

(١) د : باب ( الخيمة ) ، هـ : سله أو فرع شجرة ، و : عروة أو اذن الوعاء ، ز : ميزان ، ح : حائط أو حاجز ، ط : كرة ( من طوى ) ، ل : ابرة أو عصا المعلم ، ن : سمكة ( نون ) أو حنش ( وهي في الحبشية نحش ) وربما ثعبان البحر ، سن : سند أو سمك ، ص : خطاف أو سنارة ( وعلى الأرجح آلة من الات الصيد ، ق : قرد .

| الحروف العربية | الحروف الفينيقية | الحروف اليونانية القديمة | الحروف السامرية | أسمائها بالفينيقية | معانيها | أسمائها بالعربية | أسمائها باليونانية |
|----------------|------------------|--------------------------|-----------------|--------------------|---------|------------------|--------------------|
| ب              | 𐤁                | Β                        | 𐤁               | ألف                | ثور     | ألف              | ألفا               |
| ج              | 𐤂                | Γ                        | 𐤂               | بيت                | بيت     | باء              | فيتا               |
| د              | 𐤃                | Δ                        | 𐤃               | جيم                | جمل     | جيم              | جمل                |
| هـ             | 𐤄                | Ε                        | 𐤄               | دال                | باب     | دال              | دلتا               |
| و              | 𐤅                | Ζ                        | 𐤅               | هـ                 | ؟       | هاء              | اي                 |
| ز              | 𐤆                | Η                        | 𐤆               | واو                | ديوس    | واو              | أو                 |
| ح              | 𐤇                | Θ                        | 𐤇               | زین                | سلاح    | زای              | ؟                  |
| ط              | 𐤈                | Ι                        | 𐤈               | حيث                | حيط     | حاء              | ايطا               |
| ي              | 𐤉                | Κ                        | 𐤉               | طيپ                | حية     | طاء              | ثيطا               |
| ك              | 𐤊                | Λ                        | 𐤊               | بود                | بد      | ياه              | يوطا               |
| ل              | 𐤋                | Μ                        | 𐤋               | كاف                | كف      | كاف              | كبا                |
| م              | 𐤌                | Ν                        | 𐤌               | لامد               | مساس    | لام              | لامدا              |
| ن              | 𐤍                | Ξ                        | 𐤍               | ميم                | مياه    | ميم              | مي                 |
| س              | 𐤎                | Ο                        | 𐤎               | نون                | ممك     | نون              | ني                 |
| ع              | 𐤏                | Π                        | 𐤏               | سامك               | دعامة   | سين              | سغا                |
| ف              | 𐤐                | Ρ                        | 𐤐               | عين                | عين     | عين              | في                 |
| ص              | 𐤑                | Σ                        | 𐤑               | قا                 | قم      | فاء              | في                 |
| ق              | 𐤒                | Τ                        | 𐤒               | صادي               | سنارم   | صاد              | زيتا               |
| ر              | 𐤓                | Υ                        | 𐤓               | قوف                | اذن     | قاف              | —                  |
| ش              | 𐤔                | Φ                        | 𐤔               | ريش                | راس     | راه              | رو                 |
| ث              | 𐤕                | Χ                        | 𐤕               | شين                | سن      | شين              | —                  |
| ذ              | 𐤖                | Ψ                        | 𐤖               | تاو                | علامة   | تاء              | تاو (١)            |

(١) معاني الحروف التي تغالف ما جاء بالجدول: ب بمعنى بيت أى ضمه، =

الحروف ذات الزوايا وانحلال الزوايا والتفاف الحروف على نفسها وهالك  
مثالاً يدل على ذلك .

𐤀𐤁𐤂𐤃𐤄𐤅𐤆𐤇𐤈𐤉𐤊𐤋𐤌𐤍𐤎𐤏𐤐𐤑𐤒𐤓𐤔𐤕𐤖𐤗𐤘𐤙𐤚𐤛𐤜𐤝𐤞𐤟𐤠𐤡𐤢𐤣𐤤𐤥𐤦𐤧𐤨𐤩𐤪𐤫𐤬𐤭𐤮𐤯𐤰𐤱𐤲𐤳𐤴𐤵𐤶𐤷𐤸𐤹𐤺𐤻𐤼𐤽𐤾𐤿𐥀𐥁𐥂𐥃𐥄𐥅𐥆𐥇𐥈𐥉𐥊𐥋𐥌𐥍𐥎𐥏𐥐𐥑𐥒𐥓𐥔𐥕𐥖𐥗𐥘𐥙𐥚𐥛𐥜𐥝𐥞𐥟𐥠𐥡𐥢𐥣𐥤𐥥𐥦𐥧𐥨𐥩𐥪𐥫𐥬𐥭𐥮𐥯𐥰𐥱𐥲𐥳𐥴𐥵𐥶𐥷𐥸𐥹𐥺𐥻𐥼𐥽𐥾𐥿𐥰𐥱𐥲𐥳𐥴𐥵𐥶𐥷𐥸𐥹𐥺𐥻𐥼𐥽𐥾𐥿

ميتبا زي قرب معنن بر عمرون

𐤀𐤁𐤂𐤃𐤄𐤅𐤆𐤇𐤈𐤉𐤊𐤋𐤌𐤍𐤎𐤏𐤐𐤑𐤒𐤓𐤔𐤕𐤖𐤗𐤘𐤙𐤚𐤛𐤜𐤝𐤞𐤟𐤠𐤡𐤢𐤣𐤤𐤥𐤦𐤧𐤨𐤩𐤪𐤫𐤬𐤭𐤮𐤯𐤰𐤱𐤲𐤳𐤴𐤵𐤶𐤷𐤸𐤹𐤺𐤻𐤼𐤽𐤾𐤿𐥀𐥁𐥂𐥃𐥄𐥅𐥆𐥇𐥈𐥉𐥊𐥋𐥌𐥍𐥎𐥏𐥐𐥑𐥒𐥓𐥔𐥕𐥖𐥗𐥘𐥙𐥚𐥛𐥜𐥝𐥞𐥟𐥠𐥡𐥢𐥣𐥤𐥥𐥦𐥧𐥨𐥩𐥪𐥫𐥬𐥭𐥮𐥯𐥰𐥱𐥲𐥳𐥴𐥵𐥶𐥷𐥸𐥹𐥺𐥻𐥼𐥽𐥾𐥿

لصلم الها لحيى نقشه

أي « العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلّم لأجل حياة نفسه » فإن رؤوس الباء والعين والراء ، قد انفجرت حتى صارت مائلة إلى التريب على أن الشكل الفينيقي لا يزال ظاهراً فيها<sup>(١)</sup> .

ثم انتشر الخط الآرامي في جهات آسيا وأخذ يتنوع عند كل أمة باختلاف أحوالها ، فتولدت منه الفروع المتقدم ذكرها ، وبهمنا منها الحرف النبطي لأنه أصل الخط العربي النسخي . وقد دعوه نبطياً لأنه كان مستعملاً عند النبطيين أو الأنباط في مدن بصرى ( أسكي شام ) وحبرون وصلخا ( سرخد ) في حوران وغيرها ، وقد عثروا على شيء من هذه الكتابة في تلك الجهات ، فوجدوا أنها على نوعين مختلفين أحدهما أقرب إلى الكتابة

= الشكل . وفي هذا أساس الاختراع الذي يعتبر من أهم الاختراعات في حياة الانسان . وهو من الاختراعات التي مرت عليها قرون عديدة لم تتغير إلا بقدر ضئيل وهذا غريب في تاريخ الحضارة .

انتقلت الابجدية إلى بلاد اليونان في ما بين سنة ألف وسنة ثمانمائة قبل الميلاد .

(١) نقش ارامي عثر عليه في تيباء ، وهو محفوظ بمتحف اللوفر في باريس ويرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد .





صورية كالكتابة الهيروغليفية ، وقد تمكنوا من حل بعضها ، فوجدوا أنها كتابة أصلية مستقلة عن القلم الهيروغليفي . وهاك صورة بعض ما وجدوه على حجر في حارة الدهان بحماة ( سوريا ) .



فيريدون بصورة اليد في الفم الدلالة على التكلم . والمربعان تحتها يدلان على مقطع ( ما ) والشكل الذي يشبه نعال الفرس ، ومنه ثلاثة أشكال من أسفل يدل على مقطع ( اس ) ، ويراد به الدلالة على الفاعلية وقس على ذلك باقي الدلالات مما لم يقفوا على تمام حله بعد . والظاهر أن القلم الحثي قلما ولد أولاداً أو لعله ولد أولاداً نسوه لأن الخطين الحميري والحبشي في اعتبارنا متخلفان عن الحثي لمشابهة بينهما وبينه وخصوصاً أن العلماء كانوا في ريب من أمر هذين الخطين ، فلم يعثروا لهما على أصل يرجعان إليه ، فالقلم الحثي أقرب سائر الخطوط إليهما على ما نرى<sup>(١)</sup> وهاك صورة الخط الحميري .

---

(١) الخط الحميري أو ما نسميه بخط النقوش العربية الجنوبية ويسمى بالمسند لأنه قائم على سند خط أبجدي مشتق من الخط الفينيقي . أما الخط الحبشي فمشتق من المسند . والمسند يكتب مثل غيره من الأبجديات السامية بالحرف الصامت فقط أما الحبشي فقد أضيفت إليه الحركات ولهذا فكل صامت منه له سبعة أشكال كل بحركته .

|    |       |   |       |
|----|-------|---|-------|
| ش  | 𐩦     | ا | 𐩀     |
| ط  | 𐩇     | پ | 𐩁𐩁𐩁𐩁𐩁 |
| ك  | 𐩈𐩈𐩈   | ب | 𐩂𐩂𐩂𐩂  |
| ع  | 𐩉     | ت | 𐩃𐩃    |
| ح  | 𐩊𐩊𐩊𐩊𐩊 | ث | 𐩄𐩄    |
| ف  | 𐩋𐩋    | ج | 𐩅𐩅    |
| ق  | 𐩌     | ح | 𐩆𐩆𐩆𐩆𐩆 |
| ك  | 𐩍𐩍𐩍𐩍  | د | 𐩇𐩇𐩇𐩇  |
| ل  | 𐩎𐩎𐩎   | ذ | 𐩈𐩈𐩈𐩈𐩈 |
| م  | 𐩏𐩏𐩏𐩏𐩏 | ر | 𐩉𐩉𐩉𐩉𐩉 |
| ن  | 𐩐𐩐𐩐   | ز | 𐩊𐩊𐩊𐩊  |
| ر  | 𐩑𐩑𐩑   | س | 𐩋𐩋𐩋𐩋  |
| هـ | 𐩒𐩒𐩒   | ش | 𐩌𐩌𐩌𐩌  |
| ي  | 𐩓     | ص | 𐩍𐩍𐩍   |

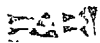
وهاك صورة الخط الحبشي :

𐩈𐩊𐩈𐩌𐩎𐩏𐩐𐩑 : 𐩈𐩊𐩈𐩌𐩎𐩏𐩐𐩑 : 𐩈𐩊𐩈𐩌𐩎𐩏𐩐𐩑 : 𐩈𐩊𐩈𐩌𐩎𐩏𐩐𐩑 :


فترى بينه وبين الحميري مشابهة كلية إلا أن الحبشي يكتب من اليسار إلى اليمين . فالحرف الأول من اليسار ( الف ) وهي كثيرة الشبه بالألف الحميرية والحرف الثاني ( جيم ) والثالث ( زاي ) وهو كالذال الحميرية تماماً وقس عليه .

٣ - القلم الاسفيني :

وهو القلم الذي كان الاشوريون والبابليون يستخدمونه قبل وصول

الحروف الفينيقية إليهم ، وتسمى كتابتهم بالاسفينية أو المسمارية لمشايتها بالمسامير ، أو الاسافين وهي من قبيل الدور الصوري الرمزي مع شيء من المقطعي ومن أمثالها قولهم ( كالو )  ومعناها ( احرق ) ومعظم اطلال بابل واشور في العراق تغشاها هذه الكتابة نقشاً على حجارة طينية كانوا يطبعون الأحرف بأدوات تشبه الاسافين ، أو المسامير على الطين النبيء ثم يتركونه ليحجف بخلاف المصريين القدماء ، فإنهم كانوا ينقشون كتابتهم على الحجر . وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن هذه الكتابة ليست من الصورية في شيء ، ولكن بالتأمل يتضح أنها متخلفة عن كتابة صورية سابقة لها لأننا بالرجوع إلى أقدم أنواعها نراها تقرب من الأشكال والرسوم . ولا نعرف قلماً تفرع عن الاسفيني<sup>(١)</sup> .

#### ٤ - القلم الصيني :

والكتابة الصينية قديمة وأشكالها تدل على ألفاظ كاملة كأقدم أنواع الكتابة ، ولذلك فإن أشكالها تعد بالمئات والألف ولكن لا يظهر عليها أنها صورية على أننا لو تأملنا لرأيناها متخلفة عن أصول صورية تغيرت بمرور الأعوام فترى في هذا الرسم  أمثلة من الكتابة الصينية .

ولدى التأمل يظهر لك أنها تشبه رسوماً حقيقية . وللغات الصينية أنواع كثيرة من الحروف ترجع كلها إلى أصل واحد صوري فقدت بتوالي الأجيال . وحكمنا على اللغات الصينية مسند بالأكثر إلى قياس التمثيل .

(١) القلم الاسفيني الاشوري اشتق من القلم الاسفيني الشوميري ، وكان في الاصل خطأ صورياً ثم اختصر إلى اسافين أفقية أو عمودية أو أفقية وعمودية معاً يدل كل شكل منها على مقطع . وقد كشف في رأس شمرا سنة ١٩٢٩ عن خط ابجدي اسفيني اشتق من الخط الاشوري البابلي .

وفي الصفحة التالية جدول بينا فيه تفرع الأقلام القديمة والحديثة من أصولها<sup>(١)</sup>.

---

(١) الخط اليوناني القديم ومنه اشتق :

الأييري والقوطي واللاتيني والأرميني والجورجي والأتراكسي والسلافي القديم ( الكيرلسي ) والسلافي القديم ( الجلاجليتي ) والقبطي .

ومن اللاتيني اشتق الأنجليزي السكسوني ( ومنه النوري القديم والإيسلندي والنرويجي ) والروني والأرلندي والألماني .

ومن الأتراكسي اشتق الأوسكي والامبري والفاليسكي .

ومن السلافي الكيرلسي اشتق البلغاري والصربي والروسي .

ومن البراهمي اشتق التبتية والتاجري والكنزري والتيلوجي والتمولي والسنغال والجاري اللاوتي والخميري والموناني والسيامي والتشامي والبوجي .

ومن الآرامية القديمة اشتق العبري المربع (وعنه الحبري) والآرامي الهندي والآرامي الفارسي ( ومنه المندعي والفهلوي وعن الفهلوي الأديجوري والمغولي والبيري ) والسرياني

والاسطرنجيلي والتدمري والتبتي ( وعنه العربي القديم ومن العربي القديم السينائي والكوفي القديم والنسخي القديم .

ومن العربي القديم اشتق المزابي والسامري .

ومن العربي الجنوبي اشتق الحبشي .

# العدوالأرقام

كيف تعلم الانسان العد واخترع الأرقام ؟

استنباط العد :

العد بالأرقام قديم جداً وقد احتاج الانسان إلى العد قبل احتياجه إلى التكلم ، ففضى أجيالاً عديدة قبل أن تولدت اللغة ، وهو يعد بالاشارات وأساس العدد عنده الأصابع ولا يزال أثر ذلك باقياً إلى اليوم . فإن الخرّس حتى في أعرق الأمم في المدنية يعدون على أصابعهم . وفي لغات الأمم المتوحشة ألفاظ تؤيد هذا القول ، فإن أهل الزولوس إذا أرادوا التعبير عن الستة قالوا : « تاتيسيتوبا » وتفسيرها في لسانهم « أخذ الابهام » ، ومعنى ذلك أن الحاسب عد أصابع إحدى يديه وضم إليها الابهام من اليد الأخرى ولهذا السبب أصبح لفظ اليد والقدم والانسان أعداد في كثير من اللغات . فإن بعض قبائل الهنود على ضفاف نهر أورينوكو بأمريكا الجنوبية يعبرون عن الخمسة بقولهم : « اليد كلها » ، وعن الستة بقولهم : « واحد من اليد الأخرى » ، وهكذا إلى العشرة فيقولون : « اليدان » ، ويعبرون عن الأحد عشر بقولهم : « واحد إلى القدم » ، ثم « اثنان إلى القدم » وهكذا إلى الخمسة عشر فيقولون : « كل القدم » ثم « واحد إلى القدم الأخرى » ، ويتدرجون على هذه الكيفية إلى العشرين فيقولون : « انسان » ثم يقولون : « واحد إلى أيدي الرجل

الآخر» أي واحد وعشرون . ولا يزالون على نحو ما تقدم إلى الأربعين فيقولون : « رجلان » .

فإذا علمت ذلك هان عليك تحليل السبب في اتخاذ العشرة أساساً للعدد لأنها مجموع أصابع اليدين . والظاهر أن أجدادنا جعلوا قاعدة العدد أولاً الخمسة لأنها أصابع يد واحدة ، ثم جعلوها العشرة لسبب لا نعلمه . فإن زنج السنغال في غربي إفريقيا لا يزال أساس العدد عندهم الخمسة ، فإذا عدوا الخمسة وأرادوا ما بعدها قالوا : « خمسة واحد . خمسة اثنين . خمسة ثلاثة . الخ » كما نقول نحن : « أحد عشر . اثنا عشر . ثلاثة عشر . الخ » ، ولا يزال أثر هذا النمط من العدد محفوظاً في الأرقام الرومانية التي كان الرومانيون يستخدمونها قبل استخدام الأرقام الهندية كما سيأتي . .

على أن بعض الأمم يجعلون أساس العدد العشرين . ومن هذا القبيل تعبير الانجليز عن الثمانين بقولهم Fourscore أي اربعة عشرينات . وقول الفرنسيين لهذا المعنى Quatre—Vingt . فيقول الانجليز Fourscore And Three والفرنسيون يقولون Quatre — vingt trois أي ثلاثة وثمانون . ويدل ذلك على أن بعض قبائل الجرمان القدماء كانوا يعدون بالعشرين ، وهي مجموع أصابع اليدين والرجلين . على أن الجمهور يعدون بالعشرات وعليها وضعت الأرقام .

### الأرقام :

أما وضع العلامات للدلالة على الاعداد فإنه طبيعي وقد تدرج إلى ما نسميه بالأرقام . وبديهي أن الانسان لما أراد في أول الكتابة أن يدون الاعداد عبر عن الواحد بخط أو نقطة أو عقدة أو فرض في عود ، فإذا

|                 |                                   |
|-----------------|-----------------------------------|
| الروماني        | وبه تكتب معظم لغات أوروبا وأمريكا |
| الغوطي          | وبه تكتب لغات جرمانيا             |
| اليوناني الحديث | وبه تكتب لغات بلاد اليونان        |
| القبطي          | وبه تكتب اللغة القبطية            |
| السلافي         | وبه تكتب لغات روسيا               |
| الفريجياني      | ( مهمل )                          |
| الليسياني       | ( مهمل )                          |
| الأتروسكاني     | ( مهمل )                          |
| الكارثاني       | ( مهمل )                          |

البرناني القديم

|  |          |
|--|----------|
| الهندي على أنواعه                        |          |
| العبراني المربع وتكتب به اللغة العبرانية |          |
| السطر نجيلي                              | السرياني |
|  | الكوفي   |
| النبطي ومنه العربي النسخي المشهور        |          |
| التدمري ( مهمل )                         |          |

الآرامي

|   |
|---|
| العبراني القديم ومنه السامري ( وكلاهما مهمل ) |
| القبرسي ( مهمل )                              |
| القرطاجني ( مهمل )                            |

|       |                           |
|-------|---------------------------|
| الحثي | الخميري                   |
|       | الحبشي وتكتب به لغة الحبش |

|         |                            |
|---------|----------------------------|
| الأشوري | الأسفيني                   |
| الصيني  | الأقلام الصينية واليابانية |

الحرف الفينيقي  
الهيروغليفي المصري

أراد الاثنين ضاعفها كما يفعل بعض هنود أمريكا إلى اليوم ، وهكذا كانت تفعل الأمم التي تمدنت قديماً وربما ظل الانسان أجيالاً لا يعد بغير هذه العلامات ، ولو تجاوز العشرة أو المئة . ثم رأى في ذلك مشقة وتشويشاً لأنه إذا أراد التعبير عن المئة مثلاً رسم مئة خط ، أو نقطة أو عقد بالخط مئة عقدة أو فرض في العود مئة فرضة . فدلته الحاجة إلى اختراع كفاء مؤونة هذه المشقة . فوضع علامة للخمسة وأخرى للعشرة ومثلها للخمسين والمئة والألف . فإذا أراد التعبير عن خمسة عشر مثلاً رسم العشرة والخمسة بجانبها ، أو الثلاثين رسم ثلاث عشرات أو ٣٥ رسم ثلاث عشرات وخمسة . على أن بعض الأمم خالفت البعض الآخر في ذلك فلم تضع علامة للخمسة ولا للخمسين بل دلوا على الأولى بخمسة آحاد وعلى الثانية بخمس عشرات ، كذلك فعلت الأمم التي تمدنت قديماً في مصر وفينيقية وتدمر كما يؤخذ من آثارهم الباقية .

وترى في الشكل الآتي صور الأرقام عند المصريين القدماء وبجانبها الأرقام الهيراتية المتخلقة عنها ، ثم الأرقام الفينيقية وتليها التدمرية ثم السريانية القديمة ، وقد تدرجت فيها تدريجاً .

فترى الأرقام الهيروغليفية أبسطها كلها لأنها قاصرة على مضاعفة الواحد والعشرة والمئة ، تليها الأرقام الفينيقية وفيها علامة خاصة بالعشرين ، ثم التدمرية وفيها علامة للخمسة وأخرى للعشرين . ثم السريانية القديمة وفيها علامة للأثنين وأخرى للخمسة ، ومثلها للعشرين فضلاً عن علامات للواحد والعشرة والمئة ، فالسريانية خطت الخطوة الأولى نحو الأرقام الهندية باتخاذ علامة خصوصية للاتنين . ولا يدل ذلك على أن الهندية مشتقة منها أو مرتقية عنها إذ يتفق أن يقع ذلك على سبيل التوارد .



اهير و غلبي العميرائي الفينيقي التدمري السرياني

|   |   |   |   |   |   |   |   |   |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |     |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|
| 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 | 13 | 14 | 15 | 16 | 17 | 18 | 19 | 20 | 21 | 22 | 23 | 24 | 25 | 26 | 27 | 28 | 29 | 30 | 31 | 32 | 33 | 34 | 35 | 36 | 37 | 38 | 39 | 40 | 41 | 42 | 43 | 44 | 45 | 46 | 47 | 48 | 49 | 50 | 51 | 52 | 53 | 54 | 55 | 56 | 57 | 58 | 59 | 60 | 61 | 62 | 63 | 64 | 65 | 66 | 67 | 68 | 69 | 70 | 71 | 72 | 73 | 74 | 75 | 76 | 77 | 78 | 79 | 80 | 81 | 82 | 83 | 84 | 85 | 86 | 87 | 88 | 89 | 90 | 91 | 92 | 93 | 94 | 95 | 96 | 97 | 98 | 99 | 100 |
| 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 | 13 | 14 | 15 | 16 | 17 | 18 | 19 | 20 | 21 | 22 | 23 | 24 | 25 | 26 | 27 | 28 | 29 | 30 | 31 | 32 | 33 | 34 | 35 | 36 | 37 | 38 | 39 | 40 | 41 | 42 | 43 | 44 | 45 | 46 | 47 | 48 | 49 | 50 | 51 | 52 | 53 | 54 | 55 | 56 | 57 | 58 | 59 | 60 | 61 | 62 | 63 | 64 | 65 | 66 | 67 | 68 | 69 | 70 | 71 | 72 | 73 | 74 | 75 | 76 | 77 | 78 | 79 | 80 | 81 | 82 | 83 | 84 | 85 | 86 | 87 | 88 | 89 | 90 | 91 | 92 | 93 | 94 | 95 | 96 | 97 | 98 | 99 | 100 |

وظل الانسان قروناً عديدة بعد أن تمدن وهو يحسب ويعد قبل اختراع الأرقام الخصوصية للأحاد أي ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ، المعبر عنها بالأرقام الهندية . وبعد استنباط الأحرف الهجائية استعاضوا عن تلك العلامات بأحرف مقتطعة من أوائل الألفاظ الدالة على تلك الأعداد . فالليونانيون القدماء دلوا على الواحد بهذه العلامة I وهي خط بسيط يشير إلى الوحدة من طبيعته . ودلوا على الخمسة بالباء II وهي مقتطعة من (  $\beta$  ) (خمس) وعلى العشرة بالدلتا (  $\Delta$  ) وهي مقتطعة من عشرة وعلى المئة بهذا الحرف H وهو غير مقتطع من اسم المئة عندهم ، ولعل لاستخدامه سبباً آخر . ودلوا على الألف بأول حرف من لفظ الألف عندهم وهو X من  $\chi\lambda\omicron\varsigma$  ( ألف ) والمظنون أن اليونانيين استخدموا هذه الاعداد من أيام صولون ، ولكنهم ينسبونها إلى هيروديان

الغراماطيقي الذي وصفها في آخر القرن الثاني للميلاد<sup>(١)</sup> .

واقترح الرومانيون باليونان في استخدام الأحرف بدل الأرقام على نحو ما تقدم وإن كانت لا ترد كلها إلى ألفاظ تدل على قيمتها . فالأرقام الرومانية هي ( ١ ) و ( ٥ ) و ( ١٠ ) و ( ١٠٠ ) و ( ١٠٠٠ ) و ( ٥٠٠ ) و ( ١٠٠٠ ) وهي لا تزال شائعة عند أمم أوروبا إلى اليوم يستخدمونها في بعض الأحوال .

ويقال نحو ذلك في استخدام الابجدية في اللغات السامية بدلاً من الأرقام . وكان الأصل في استخدامها أن يدلوا بالحرف على موضعه من الابجدية باعتبار عدد ما قبله . فالأحرف العبرانية مثلاً ٢٢ حرفاً فكان الحرف الأخير ( التاء ) يقوم مقام ٢٢ ثم تفتنوا بجعل الأحرف التسعة الأولى تنوب عن الأحاد التسعة والحرف العاشر وما بعده تدل على العقود ومن الحرف التاسع عشر إلى ٢٢ على المئات فكان أكبر عدد يعبرون عنه بها ٤٠٠ وهو التاء . وأما العرب فعندهم ستة أحرف زائدة ، فصارت الابجدية ٢٨ حرفاً آخرها قيمته العددية ألف وهاك الابجدية العربية ، وقيمة كل منها وهو ما يعبرون عنه بحساب الجمل على هذه الصورة :

|     |     |     |     |     |      |    |     |     |     |     |
|-----|-----|-----|-----|-----|------|----|-----|-----|-----|-----|
| أ   | ب   | ج   | د   | هـ  | و    | ز  | ح   | ط   | ي   | ك   |
| ١   | ٢   | ٣   | ٤   | ٥   | ٦    | ٧  | ٨   | ٩   | ١٠  | ٢٠  |
| ل   | م   | ن   | س   | ع   | ف    | ص  | ق   | ر   | ش   | ت   |
| ٣٠  | ٤٠  | ٥٠  | ٦٠  | ٧٠  | ٨٠   | ٩٠ | ١٠٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ |
| ث   | ز   | ذ   | ض   | ظ   | غ    |    |     |     |     |     |
| ٥٠٠ | ٦٠٠ | ٧٠٠ | ٨٠٠ | ٩٠٠ | ١٠٠٠ |    |     |     |     |     |

(١) المائة في اليونانية من هيكاتون وتكتب إيكاتون مع نطق الألف كالهاء فصورة الرقم مقتطعة أيضاً من اسم المائة .

وترجع الأرقام اليونانية إلى القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد .

هي الأرقام الشائعة في العالم المتمدن الآن ويسمىها الافرنج الأرقام العربية . والسبب في ذلك أن هذه الحروف استبطنها الهنود في زمن لا نعرفه ، والصفة المميزة لها « الصفر » وتخصيص كل عدد من الآحاد بعلامة خاصة إلى التسعة وتحويل هذه الآحاد إلى العشرات باضافة صفر إلى جانبها ، وإلى المئات باضافة صفرين ، وإلى الألوف بثلاثة أصفار إلى ما لا نهاية له . وهي مبنية على مبدأ اقتصادي لأنها قاصرة على عشر علامات يعبر بها عن أي مبلغ يمكن أن يتصوره العقل مما لا يتأتى بالأبجدية ولا بغيرها .

والظاهر أن العرب أخذوا هذه الأرقام عن الهنود في جملة ما أخذوه عنهم من العلوم الرياضية كالتهجيم والهيئة ونحوهما في أواسط القرن الثاني للهجرة . ويظن بعض المحققين أنها نقلت مع زيج حمله بعض أهل الهند إلى بغداد سنة ٧٧٣ م . وأول من شرحها من المسلمين أبو جعفر محمد الخوارزمي في القرن التاسع للميلاد ، ثم شاعت بين المسلمين في دواوينهم ومؤلفاتهم ، حتى إذا احتك بهم الافرنج في القرن الثاني عشر باسبانيا وأخذوا عنهم الحساب من كتاب ينسب إلى الخوارزمي المذكور فسموه باسمه ويظن « زينو » المستشرق الفرنسي الشهير أن لفظ Algorithm الافرنجية منحوتة من الخوارزمي ( والواو في خوارزم تكتب ولا تلفظ ) وهي أثر لفضل العرب على الافرنج في الحساب وكذلك Zero الافرنجية فأنها منحوتة من « صفر » العربية . وشاعت الأرقام الهندية في أوروبا وسماها الافرنج أرقاماً عربية لأنهم أخذوها عن العرب .

وفي الشكل الثاني أمثلة من الأرقام الهندية القديمة وكيف تدرجت حتى الافرنجية منحوتة من الخوارزمي ( والواو في خوارزم تكتب ولا تلفظ ) وهي في كل حال تختلف عن الأرقام الشائعة اليوم عندنا وعند

| ١                                   | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ٠ |
|-------------------------------------|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الأرقام الناناغاتية                 |   |   |   |   |   |   |   |   |   |
| أرقام الأحافير الهندية              |   |   |   |   |   |   |   |   |   |
| الأرقام الدفناجرية                  |   |   |   |   |   |   |   |   |   |
| الأرقام العربية الشرقية             |   |   |   |   |   |   |   |   |   |
| الأرقام الغوبارية والعربية المغربية |   |   |   |   |   |   |   |   |   |
| أرقام بوتويس                        |   |   |   |   |   |   |   |   |   |

الافرنج ولكن يظهر للمتأمل مع ذلك أنها من أصل واحد .

فالأرقام الناناغاتية كانت مستخدمة عند الهنود في القرن الثاني قبل الميلاد ، وتشبهها أرقام الأحافير الهندية ، وكلاهما قريب من الأرقام القديمة البسيطة . أما الأرقام الدفناجرية فأنها تمتاز عن السابقتين بوجود الصفر فضلاً عن اتمام تولد الأرقام التسعة الأخرى . وأقدم ما عثروا عليه من هذه الأرقام مكتوب في نحو القرن الثامن للميلاد . ويلى ذلك الأرقام العربية القديمة ويسمونها الشرقية ، وهي منقولة عن أصل مكتوب في القرن العاشر للميلاد في شيراز ، وتختلف عن أرقام هذه الأيام ، ولكنها كثيرة الشبه بها . وكانت تختلف عن الأرقام التي كان يستخدمها العرب في الأندلس وغيرها من بلاد المغرب ، كما ترى في الأرقام الغوبارية. وهي التي كانت تستعمل في بلاد المغرب وأخذها الافرنج في القرن الثاني عشر ، والشبه بينها وبين الأرقام الافرنجية الشائعة اليوم ظاهر .

\* \* \*

أما « بوتويس » فهو من فلاسفة الرومانيين في القرن الخامس للميلاد وينسبون إليه الأرقام المرسومة في السطر الأخير . وكان الافرنج يستخدمونها في أوروبا حوالي القرن الخامس للميلاد ثم ضاعت قبل الفتح الاسلامي ، ولذلك زعم بعض الافرنج أن الأرقام الهندية ( أو العربية ) التي ظهرت في القرن الثاني عشر في أوروبا ليست مما نقله العرب إليهم ، وإنما هي عبارة

عن احياء أرقام بوتيوس - قالوا ولعل المسلمين في المغرب اقتبسوا هذه الأرقام عن الافرنج ثم عاد الافرنج فأخذوها عنهم - على أن مزاعمهم في هذا الشأن لا تزال ضعيفة ولا يزال جمهور مؤرخيهم مجمعين على أن الأرقام الشائعة في أوروبا الآن منقولة عن العرب وهؤلاء نقلوها عن الهنود .



جرجي زيدان

# تاريخ اللغة العربية



دار الحداثة

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

لبنان - بيروت ص.ب. ٥٦٣٦ / ١٤



# المقدمة

هذا كتاب صغير في بحث جديد ، تنبها له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا « الفلسفة اللغوية » لأن موضوعه تابع لموضوعها أو هي خطوة ثانية في تاريخ اللغة باعتبار منشئها وتكونها ونموها . . فالفلسفة اللغوية تبحث في كيف نطق الانسان الأول ، وكيف نشأت اللغة وتولدت الألفاظ من حكاية الاصوات الخارجية ، كقصص الرعد ، وهبوب الريح ، والقطع ، والكسر ، وحكاية التف ، والنفخ ، والصفير ، ونحوها . . ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً ، كالتأوه ، والزفير . وكيف تنوعت تلك الاصوات لفظاً ومعنى بالنحت ، والابدال ، والقلب ، حتى صارت ألفاظاً مستقلة وتكونت الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وصارت اللغة على نحو ما هي عليه .

وأما تاريخ اللغة ، فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها ، بعد تمام تكونها ، فيبحث فيما طرأ عليها من التغيير بالتجدد أو الدثور ، فيبين الألفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال . وما قام مقامها من الألفاظ الجديدة ، والتراكيب الجديدة ، بما تولد فيها ، أو اقتبسته من سواها ، مع بيان الأحوال التي قضت بدثور القديم ، وتولد الجديد ، وأمثلة مما دثر ، أو أهمل ، أو تولد ، أو دخل . وهو بحث لغوي تاريخي

فلسفي قسمنا الكلام فيه إلى ثمانية فصول ، باعتبار الأدوار التي مرت على اللغة وهي :

١ - العصر الجاهلي : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها إلى ظهور الاسلام . . أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الألفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والهيروغليفية ، واليونانية وغيرها ، وأسندنا ذلك إلى أسباب تاريخية . وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الألفاظ ، وأمثلة مما تولد في اللغة نفسها من الألفاظ الجديدة ، وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها ، أو بالنظر إلى ألفاظها بحد ذاتها .

٢ - العصر الاسلامي : ونريد به ما حدث في اللغة بعد الاسلام من الألفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع ، والفقه ، والعلوم اللغوية ، ونحوها .

٣ - الألفاظ الإدارية في الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغة العربية من الألفاظ الإدارية التي اقتضاهها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب . . وهي إما دخيلة ، وإما مولدة . ويتخلل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى إلى آخر .

٤ - الألفاظ العلمية في الدولة العربية : ويدخل فيها الألفاظ والتراكيب التي اقتضاهها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها إلى اللغة العربية في العصر العباسي .

٥ - الألفاظ العامة في الدولة العربية : وهي الألفاظ التي تولدت في اللغة ، أو دخلتها بغير طريق الشرع ، أو العلم ، كالألفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الألفاظ النصرانية واليهودية : وهي ما دخل اللغة العربية من

الألفاظ ، والتراكيب السريانية ، أو العبرانية ، بنقل الكتب النصرانية إلى العربية .

٧ - الألفاظ الدخيلة في الدول الأعجمية : وتتناول ما اكتسبته اللغة من الألفاظ الأعجمية بعد زوال الدولة العربية ، وتولي الدول التركية ، والكردية ، وغيرها .

٨ - النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الألفاظ الجديدة ، واقتباس الألفاظ الأفرنجية للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والإدارة ، وغيرها .

وصدرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها ، وختمناه بفصل في لغة الدواوين ، وخلاصة في مجمل ما تقدم .

على أننا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجدير خواطر سائحة ، فتحنا بها باب البحث لأئمة الانشاء ، وعلماء اللغة . . . فتتقدم إليهم أن يوفوا الموضوع حقه ، أو يزيدونا منه لأنه يحتاج إلى بحث كثير ، ودرس طويل . وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم ، والأدب ، والشعر ، في غاية الافتقار إليه . . . ليعلم حملة الأقلام أن اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، تتجدد ألفاظها ، وتراكيبها على الدوام . . . فلا يتهيئون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له . وقد يكون تهيبهم مانعاً من استثمار قرائحهم ، وربما ترتب على إطلاق سراح أقلامهم فوائد عظيمة تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل . ولا بد من اعتبار القواعد العامة ، والروابط الأساسية ، مما أشرنا إليه في محله . . . ناهيك بما ينجم عن معرفة أصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي .

جرجي زيدان

# تمهيد

## نواميس الحياة

من أهم نواميس الحياة : النمو ، أو التجدد وهو ينطوي على دثور الأنسجة وتولد ما يحل محلها . . ومعنى ذلك أن الجسم الحي مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة ، إذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها وانصرفت ، وتولدت في مكانها خلية جديدة تتكون من العصارات الغذائية ، كالدم ونحوه . . فالجسم الحي في انحلال وتولد دائمين ، حتى قالوا : إن جسم الانسان يتجدد كله في بضع سنين ، أي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألف منها قبلاً ، وبغير هذا التجدد لا يكون الجسم حياً . وإذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدد الانسجة أسرع إليه الفناء . . . فالتجدد ضروري للحياة .

وحياة الأمة مثل حياة الفرد ، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه ، لأن الأمة إنما تحيا بدثور القديم ، وتولد الجديد . . فكأن أفراد الأمة خلايا يتألف منها بدن تلك الأمة ، وهو يتجدد في قرن كما يتجدد جسم الانسان في عقد من عقود تلك القرون .

وإذا تتبعنا نمو الأمة بتوالي الأجيال ، رأيناها تتفرع وتتشعب . . فتصير الأمة الواحدة أمماً يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والأحوال وكل

أمة من هذه ، تشعب بتوالي « الدهور » إلى أمم أخرى ، وهكذا إلى غير حد . . وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام .

## اللغة كائن حي

ويتبع الأحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها ، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل في الانسان ، كاللغة والعادات ، والديانات ، والشرائع ، والعلوم ، والآداب ، ونحوها . . فهذه تعد من ظواهر حياة الأمة ، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام . ولكل من هذه الظواهر تاريخ فلسفي طويل ، نعبر عنه بتاريخ تمدن الأمة ، أو تاريخ آدابها ، أو علومها ، أو حكومتها ، أو أديانها ، أو نحو ذلك . وهي أبحاث شائقة فيها فلسفة ونظر . ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها .



والبحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول :

أولاً : النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الأفعال ، والأسماء ، والحروف ، وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك ، والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » .

ثانياً : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى ، فاكتمت من لغاتهم ألفاظاً وتعابير جديدة ، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الألفاظ بتنوع الأحوال مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة .

ثالثاً : النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم ، والآداب ،

باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة ». وهذا التقسيم تقريبي ، إذ لا تجد حداً فاصلاً بين هذه الأقسام .

وإذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة ، كالآداب ، أو اللغة ، أو الشرائع ، أو غيرها ، باعتبار ما مر بها من الأحوال في أثناء نموها ، وارتقائها ، وتفرعها ، رأيته تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به المرء إلا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغييراً ظاهراً . . وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الأفكار بالاختلاط بين الأمم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ، أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي ، أو مشرع ، أو فيلسوف كبير ، أو نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو ، أو أمثال ذلك من أسباب الاختلاط . . فتتحاك الأفكار ، وتتمازج الطبائع ، فتتنوع العادات ، والأخلاق ، والأديان ، والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك . . بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحفظ بها قروناً بعد زوال تلك العادات ، أو الآداب ، أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبدله . .

وسنقتصر في هذا البحث على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني ، وهو تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها .

# أدوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغير على الفاظها  
وتراكيبها بعد تكونها وارتقائها

إذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكونها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الألفاظ وضروب التعبير ، رأيناها قد مرت في ثمانية أدوار ، أو عصور ، هي :

١ - العصر الجاهلي : وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير في ألفاظها وتراكيبها قبل الاسلام .

٢ - العصر الاسلامي : أي أثر الاسلام في ألفاظ اللغة وتراكيبها .

٣ - الألفاظ الإدارية في الدولة العربية .

٤ - الألفاظ العلمية في الدولة العربية .

٥ - الألفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الألفاظ النصرانية .

٧ - الألفاظ الأعجمية في دول الأعاجم .

٨ - النهضة الحديثة .

# العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مر على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياح ذلك في ثنيات الدهور التي مرت قبل زمن التاريخ . . ولكننا نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت ، أي تميزت فيها الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية . وبعبارة أخرى أن أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية تم نموها ، فتكونت أفعالها ، وأسمائها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزيداتها قبل أن تشتت أهلها ، أو نزحوا إلى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم . . فتولدت منها اللغات السامية المعروفة . فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعاً يناسب ما يحيط بهم من الأحوال ، أو يجاورهم من الأمم . . فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية . وتشعبت هذه اللغة في أثناء ذلك إلى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهي لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة . وتفرعت لغة كل من تلك البقاع إلى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما لا يمكن حصره . . كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ .



ويكفيها في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها ، وهي اللغة العربية التي وصلت إلينا ، لقد كانت قبل تدوينها - أي قبل الاسلام - لغات عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب ، كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها ، كما هو مشهور . وأقرب هذه اللغات شبيهاً باللغة السامية الأصلية أبعتها عن الاختلاط ، وبالعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام ، وخاصة أهل مكة ، وبالأخص قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوباً إلى بلاد اليمن ، وشرقاً إلى خليج فارس وما وراءه ، وغرباً إلى بلاد الحبشة .

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود ، والفرس ، والأنباط ، واليمنية ، والأحباش ، والمصريون ، عدا الذين كانوا يتزحون إليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات ، والتركيب ، ما لا مثيل له في اللغات الأخرى .

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين الأول ، والثاني ، قبل الاسلام ، بنزول الحبشة ، والفرس في اليمن ، والحجاز ، على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن . . . وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد ، وخاصة أهل نجران ، فطلب إليهم اعتناق اليهودية . . فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً ، فاستنجد بعضهم بالحبشة . . فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواماً . ثم أنف أحد ملوكها ذي يزن ، فاستنجد بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعاً في الفتح . . فأخرج الأحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ عاماً ، وكانوا في أثناء ذلك يترددون إلى الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن

السادس ، فجاءوا مكة بأفيالهم ، ورجالهم ولم يفلحوا . وأهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة إلى مكة حتى أرخوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن ، أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون إلى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون إليهم .

## الألفاظ الأعجمية

فكان لهذه النهضة تأثير كبير في اللغة العربية ، فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ، فلما جمعوا اللغة بلغت صيغ أبنية الأساء فقط بضع مئات ، ثم صارت بعد ذلك ببضعة قرون ألفاً ومائتين وعشرة أمثلة . . ناهيك بما دخلها من الألفاظ الغربية وما اقتبسته من التراكيب الأجنبية ، ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله . . على أننا نستدل على تكاثر الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الألفاظ . فإذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية ، أو الكلدانية ، أو الحبشية ، ترجع عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير ، أو الأدوات ، أو المصنوعات ، أو المعادن ، أو نحوها ، مما يحمل إلى بلاد العرب من بلاد الفرس ، أو الروم ، أو الهند ، أو غيرها . . ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، أو في أساء بعض المصطلحات الدينية ، أو الأدبية ، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية ، أو الحبشية ، لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب .

ويقال بالاجمال أن العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية .

ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهري من الألفاظ الفارسية « الكوز ،

الجرة ، الإبريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ، القصعة ، السكرجة ،  
السمور ، السنجاب ، الفاقم ، الفنك ، الدلق ، الخز ، الديباج ،  
التاخنج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البللور ، الكعك ،  
الدرمك ، الجردق ، السميد ، السكباج ، الزبرياج ، الاسفيداج ،  
الطياهج ، الفالودج ، اللوزينج ، الجوزينج ، البغرينج ، الجلاب ،  
السكنجين ، الخلنجين ، الدارصيني ، الفلفل ، الكراويا ، الزنجيل ،  
الخولنجان ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، النسرين ، الخيري ،  
السوسن ، المزنجوش ، الياسمين ، الجلنار ، المسك ، العنبر ، الكافور ،  
الصندل ، القرنفل .» وعندنا أن بعض هذه الألفاظ غير فارسي كما  
سترى .

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية : الفردوس ، والقسطاس ،  
والبطاقة ، والقرسطون ، والقبان ، والاصطرلاب ، والقسطل ،  
والقنطار ، والبطريق ، والترياق ، والقطرة ، وغيرها كثير .

وأما ما نقلوه عن الحبشية ، فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ،  
ولأن الحبشية والعربية أختان تتشابه الألفاظ فيهما . والمشهور عند علماء  
العربية من الألفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين ، والمشكاة ،  
والهرج . . . ولكننا لا نشك في أنهم اقتبسوا كثيراً غيرها ، وخاصة ما يتعلق  
منها بالاصطلاحات الدينية .

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو  
الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من  
« نبر » أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا أنه معرب « ومنبر »  
في الحبشة أي كرسي أو مجلس أو عرش .

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في  
القلب واطهار الإيمان » وقد شقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس

بين المعنيين تناسب ، فاضطروا لتعليله إلى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا : « ومنه اشتقاق المنافق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه إذا عرفنا أن « نفاق » في الحبشة معناها الهرطقة ، أو البدعة ، أو الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشة بدخول النصرانية فيها .

وكذلك لفظ « الحوارى » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض ، وقال في معنى الحوارى أنه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم ، أو لأنهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، والأظهر أن هذه اللفظة معرب « حوارى » في الحبشة ، ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً .

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها ، وهي في الحبشة « برهان » أي النور ، أو الايضاح ، مشتقة من « بره » عندهم أي اتضح أو أثار .

وقس على ذلك كثيراً من أمثاله ، كالمصحف ، فإنه حبشي من « صحف » أي كتب ، والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات ، أو النباتات ، أو نحوها . فإن « عنبة » من أسماء الأسد عند العرب ، وهي اسم الأسد بالحبشة .

وقد أخذوا عن العبرانية كثيراً من الألفاظ الدينية : كالحج ، والكاهن ، والعاشوراء ، وغيرها وأكثرها نقل إلى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لأنها شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن إيراد الأمثلة ولا ريب أن العرب اقتبسوا كثيراً من الألفاظ السنسكريتية من كان يخالطهم من الهنود في اثناء السفر للتجارة ، أو الحج ، لأن جزيرة

العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . . فكل تجارات الهند المحمولة إلى مصر ، أو الشام ، أو المغرب ، كانت تمر ببلاد العرب ، ويكون للعرب في حملها أو ترويجها شأن . وقد عثرنا في السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظاً عربية ، تغلب أن تكون سنسكريتية الأصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فإنهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ، ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل أنهما مأخوذان عن العربية لأن السنسكريتية دونت قبل العربية بزمن مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الأصل أيضاً ، وكذلك « ضياء » . . ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك .

على أننا نرجح أن العرب أخذوا عن الهندود كثيراً من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير والطيب مما يحمل من بلاد الهند . . والعرب يعدونها عربية ، أو يلحقونها بالألفاظ الفارسية تساهلاً : كالمسك مثلاً ، فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسياً ، وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو في الحقيقة سنسكريتي ، ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الألفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضاً أن القرنفل فارسي ، والغالب عندنا أنه سنسكريتي لأن أصله من الهند وقس عليه .

### القاعدة في تعيين أصول الألفاظ الأعجمية

وتعيين أصل اللفظ للاحاقه باللغة المأخوذة منها يحتاج إلى نظر لا يكفي فيه المشابهة اللفظية ، إذ كثيراً ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة ، وإنما يقع ذلك على سبيل النواذر بالاتفاق . . إلا إذا دلت القرائن على انتقال احدهما من لغة إلى

أخرى وساعد الاشتقاق على ذلك .

فإذا اتفق لفظان متقاربان لفظاً ومعنى في لغتين ، وكان بين أهل تينك اللغتين علاقات متبادلة من تجارة ، أو صناعة ، أو سياسة ، جاز لنا الظن أن احدهما اقتبست من الأخرى . . فإذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل ، أو المصنوعات ، أو الأدوات ، فيرجح الحاقه باللغة السابقة إلى ذلك ، كلفظ « المسك » مثلاً فإنه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها . . فإذا عرفنا أن المسك يحمل إلى العالم من تونكين ، وتيب ، ونيبال ، والصين ، وأن الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب إلى الأمم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا أن العرب أخذوا هذه اللفظة عن الهنود ، كما أخذها الفرس منهم ، أو لعلها انتقلت إلى الفارسية من العربية . . لأن الفرس يعدونها عربية ، كما يعدها العرب فارسية . . أو هي في الفارسية باعتبار أنها فرع من السنسكريتية كما هي في الانجليزية بطريق التفرع ، وكما هي في اللاتينية لأنها أخت السنسكريتية ، ومن اللاتينية انتقلت إلى الفرنسية لأنها فرع من اللاتينية .

ويقال نحو ذلك في « كافور » فإن العرب يعدونها فارسية ، والفرس يقولون أنها عربية . . وهي موجودة أيضاً في السنسكريتية ، واللاتينية ، وفروعها . . فبأيها نلحقها ؟

في مثل هذه الحال ، يجب البحث في مصدر الكافور . . فإذا علمنا أنه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا ، وأن اسمه باللغة الملقية « كابور » ترجح عندنا أنه ملقي الأصل . وكذلك « الزنجيل » - الجذور المعروفة - فإن العرب يقولون أنها تعريب « شنكييل » في الفارسية ، والفرس يقولون أنها عربية . . ولم نجد « شنكييل » في القاموس الفارسي . وإذا بحثنا عن اسم هذا العقار في اللغات الأخرى ، رأينا اسمه في اليونانية « زنجباريس » وفي اللاتينية « زنجبار » فأول ما يتبادر إلى

الذهن أنه من « زنجبار » البلد المعروف ، وإنه سمي بذلك لأنه كان يحمل منه أو لسبب آخر . . فإذا رجعنا إلى منبت هذا العقار ، رأيناه هنديا . . ورأينا اسمه في اللغة السنسكريتية « زرنجابير » مشتقة من « كرينجا » أو « زرنجا » أي القرن ، لمشابهة جذوره به . . فيترجح عندنا أنه سنسكريتي الأصل .

ومن هذا القبيل « الفلفل » فإن العرب يقولون أنه فارسي ، والفرس يقولون أنه عربي . . وهو موجود أيضاً بمثل هذا اللفظ في الانجليزية ، والالمانية ، واللاتينية ، ويوجد أيضاً في السنسكريتية ، ويلفظ فيها « بالا » أو « فيفالا » ولما كان الفلفل من محاصيل الهند ، وأجوده يرد من ملابار ، نرجح أن هذه اللفظة سنسكريتية الأصل . ومعنى « ببالا » عندهم أيضاً « التينة المقدسة » .

ويقال عكس ذلك في الألفاظ الدالة على محاصيل بلاد العرب أو حيواناتها ، كالقهوة مثلاً . . فإنها موجودة في الفارسية وفي كل لغات أوروبا ، فالأرجح أنها عربية الأصل لأن هذه اللفظة كانت عند العرب قبل اصطناع القهوة اسماً من أسماء الخمر . . فأطلقوها على قهوة البن . ومثل ذلك أسماء الجمل ، والزرافة ، والغزال ، وغيرها من أسماء الحيوانات العربية . . وربما كان بعضها مأخوذاً في الأصل من لغة غير عربية .

وإذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات ، فالحاقها بأصحاب تلك الصناعة من الأمتين أولى . . فقد اختلط العرب بالفرس وخاصة بعد الاسلام ، وأخذوا ، منهم كثيراً من الملابس والأنسجة ، ولم ينقلوها إلى لسانهم . . بل عربوها وأبقوها على ما هي ، كالسراويل ، والقباء (ومنها الجبة) والتبان ، والجورب ، والديباج ، والأرجوان ، والسرروج . والقفطان ، والطربوش ، والبابوچ . . كما فعل أهل هذا

العصر بأسماء الملابس الافرنجية التي اقتبسوها من الافرنج في تمدنهم الأخير ، كالبنطلون ، والجاكت ، والستيك ، وغيرها ..

واقبتس العرب من الفرس كثيراً من ألبان الأطعمة ، وأنواع الأسلحة والفرش والأدوات ، وأبقوها على لفظها الأعجمي . . . وهي كثيرة ، يضيق هذا المقام عن ذكرها ، ومنها الجلاب ، والجلنار ، والبنفسج ، والخشاف ، والخوذة ، والدسكرة ، والدولاب ، والدهقان ، والسرجين ، والسرداب ، والطنبور ، والفرسخ وغيرها كثير . . . فالحاقها بلغاتها الأصلية ، يسوغه أولاً التاريخ لأنه يبدلنا على أن العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس ، فإذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوي ، كان الدليل اثبت . . . مثل « جلاب » فإنها مؤلفة في الأصل الفارسي من « كل آب » أي ماء الزهر . و« خشاف » من « خش آب » و« سرداب » من « سرد آب » أو « سردابه » بيت الثلج من « سرد » أي بارد و« آب » ماء . والطربوش من « سربوش » أي غطاء الرأس . والبابوج من « بابوش » أي غطاء القدم .

وكثيراً ما يكفي الاشتقاق اللغوي وحده في معرفة أصل اللفظة ، بشرط ملاحظة مقابلة اللغات . فإذا وجدنا لفظة في العربية ومثلها في الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية مثلاً ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة أصلها ، عمدنا إلى اشتقاقها وصيغتها ، فإذا لم يكن لها مجانس في أخوات العربية وكان لها ذلك في أخوات الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية ، نرجح أنها من إحدى هذه اللغات مثل « البلاط » بمعنى « قصر الملك » فقد عدها العرب عربية ، وشقوها من البلاط المعروف لأن القصور تفرش به . ولكن هذه اللفظة في اللاتينية Palatium ومعناها قصر الملك . فإذا ادعى مدع أنها عربية الأصل ، وأن الرومان اقتبسوها من العرب ، قلنا أن الرومان يرجعون بأصلها إلى تل كان في رومية بهذا الاسم ، نزل عليه



أوغسطس قيصر وأقام فيه ، فسمى قصره به . . وإذا اعجزنا الدليل التاريخي ، عمدنا إلى الاشتقاق . . فإن Pala في السنسكريتية معناها الحامي أو المدافع ، وكان الملوك القدماء إنما يبنون القصور للتحصن بها . . وقد لا يهدين التاريخ مطلقاً كما في لفظ « جاموس » فإن التاريخ لا يساعدنا على معرفة أصلها ، هل هي عربية أم فارسية ، فإذا رجعنا إلى الاشتقاق لم نر لها اشتقاقاً في العربية ، أما في الفارسية فإنها مركبة من لفظين « كاو » ثور أو بقرة و« ميش » كيش ، ولكن الجاموس هندي الأصل . ومعنى « جاوميشا » في السنسكريتية « البقرة الكاذبة » .

## عود

وبالجملة فقد دخل العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات التي كانت شائعة في التاريخ القديم ، ممن خالط العرب كالمصريين القدماء ، والحثيين ، والفينيقيين ، والكلدان ، والهنود ، والفرس . . حتى الزوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكناً لتقدم عهده واختلاف شكله .

ومن أمثلة ما أخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية لفظ « قبس » بمعنى الشعلة ، فهي في الهيروغليفية « خبس » ومعناها مصباح . وبعض تلك الاقتباسات أخذها العرب رأساً عن أصحابها ، والبعض الآخر حملت إليهم على يد الأمم الأخرى ، كما نقل لهم اليهود لفظ « نبي » من اللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » واصل معناه فيها « رئيس العائلة » أو « رب المنزل » .

وكما نقل لهم الفرس « الشطرنج » عن اللغة الهندية السنسكريتية ، فحسبها العرب فارسية . . وقالوا أنها تعريب « شترنك » بالفارسية ، ومعناها ستة ألوان - ولعلمهم يريدون « ششرنك » - والصواب أنها لعبة هندية قديمة ، كانت تسمى في اللغة السنسكريتية « شُورنكا » أي الأجزاء الأربعة التي يتألف منها الجند عندهم . . وهي الأفراس ، والأفيال ،

والمركبات ، والمشاة . . فأخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ، ثم أخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية ، وتكلفوا في تحليلها كما رأيت .

ولم يقتصر العرب على اقتباس الألفاظ من اللغات الأخرى واستبقائها على حالها ، ولكنهم صرفوها وشقوا منها الأفعال ، ونوعوا معناها على ما اقتضته أحوالهم . . فقد شقوا من لفظ النبي : « نبأ » و « تنبأ » و « نابأ » . وشقوا من قبس أفعلاً وأسماء عديدة .

ومن هذا القبيل « اللجام » وهو من « لكام » في الفارسية ، فشقوا منه أولاً « الجم الدابة » ألبسها اللجام و « التجمت الدابة » مطاوع أجم . وجمعوا لجام على لجم وألجمه ، ثم استخدموه مجازاً فقالوا : « لجمه الماء » أي بلغ فاه ، وقالوا « لفظ لجامه » أي انصرف من حاجته مجهوداً من الاعياء والعطش . . وقولهم « التقى ملجم » أرادوا به أنه مقيد اللسان والكف .

والمهر الخاتم في الفارسية ، استعاره العرب وبنوا منه فعلاً فقالوا : مهر الكتاب أي ختمه بالمهر .

ومن ذلك ما شقوه من لفظ « ديوان » وهي أعجمية فقالوا : « دُون » أي كتب اسمه في الجندية .

وقس على ذلك كثيراً من الألفاظ الدخيلة التي يعتقد العرب أنها عربية ، وقد شقوا منها الأفعال والأسماء مثل « سراب » وهي تعريب « سيرآب » في الفارسية أي مملوء ماء . والزمهرير من « زم اريز » بالفارسية أي ضباب بارد . وجزاف من « كزاف » بالفارسية أي العبث من الكلام والضنك من « تنك » في الفارسية ضيق ، وقد شقوا منها أفعلاً وأسماءاً ترجع إلى هذا المعنى .

ثم أن أكثر ما أدخله العرب إلى لغتهم من الألفاظ الأجنبية ، لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم على أن كثيراً منه كانت له عندهم أسماء مشهورة . . لا يبعد أن يكون بعضها دخيلاً أيضاً ، فغلب استعمال الدخيل الجديد وأهمل القديم . من ذلك أن العرب كانوا يسمون الإبريق « تامورة » والطاجن « مقل » والهاوون « منحاز » أو « مهراس » والميزاب « مثقب » والسكرجة « الثقوة » والمسك « المشموم » والجاسوس « الناطس » والتوت « الفرصاد » والاترج « المتك » والكوسج « الاثط » والباذنجان « الانب » والرصاص « الصرفان » والخيار « البقت » . . فهذه الأسماء وأمثالها ، أهملها العرب قبل الاسلام ، بعد أن استبدلوها بأسماء دخيلة . . فعلوا ذلك عفواً بلا تواطؤ أو قصد ، وإنما هو ناموس النمو يقضي عليهم بذلك .

## التغير في الألفاظ

ذكرنا فيما تقدم أمثلة مما دخل اللغة العربية من الألفاظ الأجنبية قبل زمن التاريخ الذي عبرنا عنه بالعصر الجاهلي . . ونذكر الآن ما لحق ألفاظها الأصلية من التنوع والتفرع في ذلك العصر . والأدلة على ذلك كثيرة ، نكتفي منها بالواضح الصريح . . فنذكر أولاً ما نستدل عليه من مقابلة العربية بأخواتها العبرانية والسريانية ، ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها .

### مقابلة العربية بأخواتها

من الحقائق المقررة ، أن العربية والعبرانية والسريانية ، كانت في قديم الزمان لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ،

والحجاز ، في صدر الاسلام . فلما تفرق الشعب السامي ، أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة . . أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية . . كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام إلى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، وغيرها . ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة . فإذا راجعت الالفاظ السامية المشتركة في العربية وأخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الأخرى . والأدلة على ذلك لا تحصى ، إذ لا تخلو المعجمات من شاهد أو غير شاهد في كل صفحة من صفحاتها . . فنكتفي بالإشارة إلى بعضها على سبيل المثال . .

فلفظ « الشتاء » في العربية مثلاً هو أصل مادة « شتا » في القاموس ، وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها إلى معنى الشتاء ( الفصل المعروف ) ، فقالوا : شتا في المكان ، أقام فيه شتاء ، وشتا فلان دخل في الشتاء ، وأشتى القوم اشتاء أجذبوا في الشتاء . . الخ .

ولم يدلنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ ، ولكنه أورد رأي المبرد في ذلك ، فقال إن الشتاء « جمع شتوة » وأن الشتوة « الغبراء التي تهب فيها الرياح والأرض يابسة فيهب الغبار » وفي قوله تكلف . . على أننا إذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية ، رأينا الأصل في دلالتها « الشرب » أو « الري » أو « الصب » فهي كذلك في العبرانية والسريانية إلى اليوم . وقد شقوا منها الأفعال والأسماء لمعان كثيرة ترجع إلى الري ونحوه . . إلا فصل الشتاء فأنهم شقوا له كلمة من أصل آخر يقرب منه لفظاً ويؤخذ من مراجعات كثيرة أن المادة الاصلية ( شتا ) كانت تدل على الرطوبة أو الري في اللغة السامية ، فلما تفرقت القبائل كما تقدم ، تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الأحوال ،

فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية ، وأهل معنى الشرب أو السري منها . ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هذه اللفظة في أخوات العربية ، لرأيتها تختلف الواحدة عما في الأخرى .

وإذا بحثنا عن لفظ « شهر » في العربية بالمقابلة مع أخواتها رأينا الأصل فيه الدلالة على الاستدارة ، ثم سماوا القمر به لأنه مستدير ، ثم أطلقه العرب على الشهر لأنهم كانوا يوقتون بالقمر . على أن دلالة على القمر لا تزال باقية في العربية إلى اليوم ، وكذلك في السريانية ( سهر ) تدل عندهم على الشهر والقمر . وأما العبرانية فإن للقمر فيها لفظاً مشتقاً من مادة أخرى هي ( يرح ) والأصل في معناها « الدوران » فاشتقوا منها « يراح » للدلالة على القمر وعلى الشهر . ومن هذه المادة في العربية « رواح » أي العشى . . « فكانوا يقولون : « راح فلان » أي جاء أو ذهب في العشي أي أن أصل المعنى راجع إلى « العشى » بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم : أصبح وأمسى . . ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب . . حدث كل ذلك التنوع بلا قصد ولا تواطؤ .

ومن بقايا « يرح » في العربية ، مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة أصلها ، فعدها بعضهم فارسية ، وعدّها آخرون يونانية ، واكتفى غيرهم بأنها غير عربية . وهي في الحقيقة سامية الأصل ، نعتي بها لفظ « آراخ » أو « ورخ » أو « أرخ » بمعنى وقت ، والظاهر عندنا أنها من بقايا اسم الشهر عندهم « يرح » - والاببدال بين الخاء والحاء هين - ومنه « التاريخ » تعريف الوقت ، ثم تنوع معنى هذه اللفظة ، فصاروا يدلون بها على علم التاريخ ، أي ذكر الوقائع والحوادث .

ومن هذا القبيل « كتب » فإن الأصل في دلالتها « حفر في الحجر ، أو الخشب » فالظاهر أنهم استعملوها في أول عهدهم بالكتابة ، وكانوا

يكتبون على الحجارة أو الخشب حفراً أو نحتاً ، شأن الكتابة عند الأمم القديمة . فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق أو الأقمشة ، تحول معناها إلى الكتابة المعروفة ، ولم يبق لدلالاتها على الحفر أثر في العربية ، وإن كنا نرى أن أثر ذلك في « قطب » ونحوها من تفرعات « قط » حكاية صوت القطع . فيلوح لنا أن الأصل في دلالة كتب (أو قطب) على الحفر، أنهم كانوا يقولون مثلاً « قط بالخشب » أي قطع في الخشب أو حفر الخشب ، ثم الصقوا الباء بالفعل فصار « كتب » أو « قطب » كما الصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجيء ، فبدلاً من أن يقولوا « جاء به » قالوا « جابه » وصرفوه فقالوا « يجيبه ، وجابوه ، ويجيبوه » بدلاً من « يجيء به ، وجاءوا به ، ويجيئون به . . »

ومثل « كتب » أيضاً « سطر » فأنها كانت تدل في الأصل على الحفر ، ثم تحول معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه . ولا تزال « سطر » تدل على الحفر أيضاً في العبرانية ، وأما في العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك في لفظ مجانس ها هو « شطر » أو نحوها .

وكثيراً ما تحول المعنى في بعض الألفاظ بانتقاله من الكل إلى الجزء أو من الصفة إلى الموصوف مثل « اللحم » في العربية ، فإن معناها في اللغات السامية « الطعام » على اجماله ، ثم خصصه العرب بالدلالة على أهم الأطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار في السريانية يدل على الخبز والأصل في « طبخ » الدلالة على « الذبح » واللفظان متشابهان ، فتحول معناها في العربية إلى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظاً .

و« الملح » أصل دلالاته في اللغات السامية كلها من « ملح أو مأل » أي نبع الماء . ثم تحول معناها إلى أكبر مستودعات الماء وهو « البحر » ونظراً لظهور الملوحة في مياه البحار أكثر من سائر صفاتها ، ولأن الملح

يستخرج منها سمو الملح بها . والظاهر أن هذه اللفظة كانت في أمهات اللغات السامية والآرية قبل تفرقها . فإن اسم البحر في اليونانية يشبه أن يكون مبدلاً من « ملح » أو أن تكون ملح مبدلة منه ، وكذلك في اللغة السنسكريتية .

و « انبو » كانت تدل في اللغة السامية الأصلية على « الثمر » عموماً ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الاشورية ، والآرامية أما في العبرانية فقد أدغمت النون في الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت ( ابه ) بتشديد الباء ، عملاً بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية . ثم شقوا من هذه اللفظة فعلاً فقالوا ( ابب ) بمعنى أثمر ، وأما في السريانية فقد أصاب هذه اللفظة نفس ما أصابها في العبرانية ، وصارت ( ابا ) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ، والرمان . وأما في العربية ، فقد حدث نحو ذلك ، ولكن « الإب » صار عندهم للدلالة على الكأ والمرعى أو ما أنبت الأرض وقالوا : « الإب » للبهائم كالفاكهة للناس .



وتحولت « انبو » أيضاً بالابدال إلى « عنبو » ومنها « عنب » للدلالة على نوع واحد من الأثمار هو ثمر الكرم ، وهذه دلالتها الآن في اللغات العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، بعد أن كانت تدل في أقدم أزمانها على الثمر عموماً .

ويقال نحو ذلك في « عبد » فأنها في اللغات السامية تدل على العمل ، وخاصة الحرث في الحقل ، ولم يبق من مشتقات « عبد » في العربية ما يدل على معناها الأصلي إلا « المعبدة » أي « المجرفة » أو « المحراث » . وفيما خلا ذلك فإن عبد ومشتقاتها إنما تدل على العبادة ، ومنها « العبد » أي الرق و « التعبد » لأن خدمة الحقول كان أكثرهم من

لنا هذا الناموس بأجلى بيان . . إذ نرى للمادة الواحدة أو اللفظ الواحد عدة معان متفرعة من معنى واحد ، ثم يتنوع المعنى على مقتضيات الأحوال . ولا نحتاج في اثبات ذلك إلى أيراد الشواهد لأنه بديهي ، وإنما يحسن بنا أن نشير إلى أسباب ذلك التنوع وهي كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم من الكلام في مقابلة الألفاظ العربية بألفاظ أخواتها ، كاشتقاق معنى الملح من البحر ، ومعنى الثلج من البياض ، وغير ذلك مما بينه مناسب في المعنى . وقد تكتسب الكلمة معنى جديداً من عادة أو عقيدة ، مثل قولهم : « بني على أهله أو بأهله » بمعنى تزوج . وليس في أصل فعل البناء هذا المعنى ، وإنما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب ، وهي أن الداخل بتأهله كان يضرب عليه قبة ليلة الزفاف . ومن هذا القبيل تحول معنى القمر إلى الشهر ، لأنهم كانوا يوقتون بالقمر .

ومن أسباب زيادة النمو في اللغة العربية غير النحت والابدال والقلب ، التصحيف وهو التبادل بين الحروف المتشابهة شكلاً كالباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، والياء ، أو الجيم ، والحاء ، والخاء ، أو الدال ، والذال ، أو الراء ، والزاي ، أو السين والشين ، وقيس عليه . .

فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف ، قولهم رجل صلب وصلت ، والدبر والدير ، والكرت والكرب ، ورغبات ورغاب ، والجلجلة والحلجلة ، وجاض وحاص ، والنافجة والنافحة ، وهو كثير . . وقد ذكر منه علماء اللغة مئات . والغالب أن ذلك التصحيف لم يحدث إلا بعد تدوين اللغة ، لأنه خطأ بقراءة الخطوط .

وما اقتصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، ورود الألفاظ الكثيرة للمعنى الواحد . . فعندهم للسنة ٢٤ اسماً ، وللنور ٢١ اسماً ، وللظلام ٥٢ اسماً ، وللشمس ٢٩ اسماً ، وللحساب ٥٠ اسماً ، وللمطر ٨٤ اسماً ، وللبئر ٨٨ اسماً ، وللهاء ١٧٠ اسماً ، وللبين ١٢ اسماً ،



وللعسل نحو ذلك ، وللخمر ، مائة اسم ، وللاسد ٣٥٠ اسماً ، وللحية مائة اسم ، ومثل ذلك للجمل ، أما الناقة فأسماءها ٢٥٥ اسماً . . . وقس على ذلك أسماء : الثور ، والفرس ، والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الأسلحة ، : كالسيف ، والرمح ، وغيرها . ناهيك بمرادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظاً ، وللقصير ١٦٠ لفظاً ، ونحو ذلك للشجاع ، والكريم ، والبخيل ، مما يضيق المقام عن استيفائه .

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فإن فيها مئات من الألفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين : مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيلولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار أو الاستغناء .

ومن خصائصها أيضاً ، دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة . . فمن ألفاظها نيف ومائتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان . . ونيف ومائة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ، وكذلك التي تدل على خمسة معان . . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان ، فسبعة فثمانية فتسعة إلى خمسة وعشرين معنى ، كالحميم ، والفن ، والطيس ، ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فأنها تدل على ٢٧ معنى ، ولللفظ « العين » ٣٥ معنى ولللفظ « العجوز » ٦٠ معنى .

فتكاثر المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة لا يحدث إلا من تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل . وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مئة اسم أو مائتان بتوالي الأجيال . . وأحدث تلك الألفاظ أكثرها استعمالاً ، وأقدمها أقربها إلى الإهمال .

والاعلال ، والحقيقة ، والمجاز ، والنقض ، والمنع ، والقلب ، والرفع ،  
والنصب ، والخفض ، والمديد ، والطويل ، وغيرها من أسماء البحور  
وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جداً ولها فروع  
واشتقاقات . . حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي ، وآخر لغوي ،  
وآخر عروضي ، وآخر ديني ، مما لا يمكن حصره . وسنذكر أمثلة أخرى  
عند الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام .

وأحدث الاسلام تغييراً كبيراً في أساليب التعبير ، كقولهم : « أطال  
الله بقاءك » فإن أول من قالها عمر بن الخطاب لعلي بي أبي طالب .

### ٣ - الألفاظ المهملة

وكما أحدث الاسلام ألفاظاً جديدة للتعبير عن معان جديدة ،  
اقتضاها الشرع الجديد والعلم الجديد . . فقد محا من اللغة ألفاظاً قديمة ،  
ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم . . منها قولهم :  
« المربع » وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في  
الجاهلية . و « النسيطة » وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة  
القوم ، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي  
قصدوه . و « المكس » وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في  
الأسواق في الجاهلية . وكذلك : الاتاة ، والحلوان . وما أبطل قولهم :  
« أنعم صباحاً وأنعم ظلاماً » وقولهم للملك : « أبيت اللعن » وقول  
المملوك لمالكة : « ربي » . وتسمية من لم يحج « صرورة » وغير ذلك . وقد  
نرى بعض هذه الألفاظ مستعملاً في اللغة الآن فهو ، إما مستعمل في غير  
معناه الأصلي . . وإما أنه قد أرجع إليه بعد إهماله . .

على أننا لا نشك في إهمال كثير من الألفاظ العربية في القرنين الأولين  
 للهجرة ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور . .

يكفي لتحقيق ذلك ، مراجعة المعجمات وتدبر ألفاظها ، فإنك ترى فيها  
مئات وألوفاً من الألفاظ التي بطل استعمالها ، ولا نظنهم جمعوها في صدر  
الاسلام ، إلا لأنها كانت شائعة على ألسنة العرب .

وقد يعترض على ذلك أن تلك الألفاظ إنما أهملت في العصور الأخيرة  
فلا ننكر إهمال بعضها في هذه العصور ، ولكن جانباً كبيراً منها أهمل في  
العصور الأولى ، فضلاً عما قل استعماله قبل الاسلام . . حتى لقد كان  
أحدهم يسمع اعرابياً يتكلم ، فإذا ذكر ألفاظاً مهملة أغلق على السامع  
فهمها ولو كان لغوياً . .

\* \* \*

يروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال : « بينما أنا في المسجد الحرام ،  
إذ وقف علينا اعرابي ، فقال : يا مسلمون - بعد الحمد لله والصلاة على  
نبيه - إني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي ، المواصي أسياف تهامه ، عكفت  
علينا سنون محش ، فاجتبت الذري ، وهشت العرى ، وجشت النجم ،  
وأعجبت البهم ، وهمت الشحم ، والتجت اللحم ، وأحجنت العظم ،  
وغادرت التراب موراً ، والماء غوراً ، والناس اوزاعاً ، والنبت قعاعاً ،  
والضهيل جراعاً ، والمقام جعجاعاً ، يصبحنا الهاوي ، ويطرقنا العاوي ،  
فخرجت لا أتلفع بوصيده ، ولا أتقوت بمهيده ، فالبخصات وقعه ،  
والركبات زلعه ، والأطراف فقعه ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ،  
اعشوا فاغطش ، وأضحى فاخفش ، اسهل ظالغاً ، واحزن راكعاً ، فهل  
من أمر بيمر ، أو داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ،  
وسوء الموارد ، وفضوح المصادر . . قال أبو زيد فأعطيته ديناراً وكتبت  
كلامه واستفسرت منه ما لم أعرفه » وأبو زيد الانصاري من فطاحل أئمة  
اللغة . وأمثال هذه كثيرة في أخبار العرب .

و « الحجابة » تدل في الأصل على الستر والمنع ، فالحاجب الساتر أو المانع ، فكان حاجب الخليفة من أصغر رجال الدولة . فلما ضعف الخلفاء واستبد الحجاب ، صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير .

\* \* \*

وقس على ذلك سائر مناصب الدولة ، كالامارة ، والشرطة ، والقضاء ، والحسبة ، والنقابة ، والامامة ، وغيرها من اصطلاحات الجند كالسترزقة ، والمتطوعة ، والعلوفة ، والعسكر . . وضروب الحرب وأبواب الهجوم ، كالزحف ، والكر ، والفر ، والبيات ، والكفاح ، والغرة . . . وصنوف الاسلحة : كالدبابة ، والكبش ، والعردة ، وغيرها . ناهيك باصطلاحات الدواوين على اجمالها ، كقولهم الثغور ، والعواصم ، والاقليم ، والقصة ، والعمل ، والولاية ، والضيايع ، والحكومة ، والسكة ، والتوقيع ، والوظيفة ، والخراج ، والجزية ، والعشور ، والمرافق ، والصوافي ، والجوالي ، والجباية ، والوقف ، والمصادرة ، والمستغلات ، والصدقة ، والمكوس ، والمراصد ، ودار الضرب ، والضمان والدفاتر ، والجرائد ، والخرائط ، والايغار ، والراتب ، والجاري ، والعطاء ، والبيعة ، والدعوة ، والختم ، والخطط ، والمطالعة ، والمؤامرة ، وغير ذلك كثير جداً .

فالألفاظ المذكورة عربية الأصل وأكثرها معروف قبل الاسلام ، ولكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال المسلمين بعد انشاء دولتهم . . إذ حدث بانشائها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها الى ألفاظ جديدة ، فنوعوا ما عندهم . . إما عمداً أو عفواً فصارت إلى ما هي عليه .

« فالخراج » مثلاً كان معناه في الجاهلية الكراء والغلة ، ويدل ذلك

على معنى ضرب الخراج في الاسلام ، فإنهم كانوا يعدون الأرض ملكاً لهم وقد سلموها لأهلها على سبيل الايجار بالكراء ، فصار معنى الخراج بعد ذلك « ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها » ثم صار الخراج مقاسمة ، أو مساحة أو سيحاً أو سقياً ، وأكثرها ألفاظ جديدة لمعانٍ جديدة . .

و « الحكومة » كانت تدل في الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لأنها مصدر حكم أي قضى ، وتلك كانت أعمال صاحب الحكومة في الجاهلية ، ثم تحول معناها إلى « ارباب السياسية أو رجال الدولة » .

و « السكة » في الأصل الحديدية المنقوشة التي كانوا يضربون عليها النقود ، ثم سميت النقود بها ، واشتقوا منها الأفعال والأسماء لهذا المعنى .



و « التوقيع » الأصل فيه « التأثير » من قولهم : « وقع الوبر ظهر البعير توقيعاً أثر فيه » ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة إلى الخليفة ، أو السلطان ، أو الأمير ، فكان الكاتب يجلس بين يدي السلطان في مجالس حكمه . . فإذا عرضت قصة ( عرضحال ) على السلطان ، أمر الكاتب أن يوقع عليها ( يؤشر ) بما يجب اجراؤه . ثم تحول معناها إلى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا . . وعلى نحو هذا النمط تحول معنى « الامضاء » اليوم إلى التوقيع ، ومعناه في الأصل « التنفيذ » فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن أمر رجال الدولة في امضاؤها ، أي تنفيذ توقيعها ثم تحول معناها إلى التوقيع أي وضع العلامة على الصكوك ونحوها .

ومن هذا القبيل « الوظيفة » فإن الأصل في معناها « ما يقدر من

عمل ، وطعام ، ورزق ، وغير ذلك » ومنها وظف عليه الخراج ونحوه ، أي قدره . . فاستعملها كتاب الدولة العربية لهذا المعنى مع بعض الانحراف ، فقالوا : « وظف الرجل توظيفاً عين له في كل يوم وظيفة » فالموظف هو الذي يأخذ الوظيفة ، أو الراتب . . ثم توسعوا في لفظ الوظيفة ، فدلوا بها على المنصب أو الخدمة المعينة . والمشهور أن استعمالها لهذا المعنى من اصطلاحات هذا العصر ، ولكنه أقدم من ذلك كثيراً . . فقد استعملها لهذا المعنى جماعة من فحول الكتبة ، كإبن خلدون في مقدمته . والمقريري في خططه ، وغيرهما . وتولد في اثناء تحول هذه اللفظة إلى هذا المعنى ألفاظ أخرى تقوم مقامها في معناها الأول ، كالراتب ، والجاري ، والمাহية ( وهذه فارسية الأصل من « ماه » شهر والمাহية الشهرية ) . . واستحدثوا لفظة أخرى للمنصب لم يكن لها هذا المعنى من قبل ، وهي « الخططة » فمعناها في القاموس « الأرض التي تنزلها ولم ينزل بها نازل قبلك » و « الخططة » بالضم « الخصلة وشبه القصة والأمر والجهل » فاستعملوها بمعنى المنصب لعلاقة لا نعلمها . . ومن ذلك قول ابن خلدون : « الوزارة أم الخطط الاسلامية والرتب الملوكية » .

## ٢ - انتقال اللفظ من معنى إلى آخر

وانتقال الألفاظ من معنى إلى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثير في اللغة العربية ، ومنها الاضداد ، أي اللفظ ذو المعنيين المتضادين . وأسباب هذا الانتقال كثيرة يصعب تتبعها في كل ما نراه من الاختلاف في معاني اللفظ الواحد أو مشتقاته ، لكننا نذكر أربعة منها على سبيل المثال :

١ - دخول كلمة أعجمية لفظها يشبه لفظ كلمة عربية ، فيجعلونها من مشتقاتها . . كما فعلوا بالبلاط بمعنى القصر ، فإنهم أخذوها عن

اللاتينية ، فأشبهت لفظ البلاط الحجر المعروف فجعلوها من مشتقات « بلط » .

ومثل قولهم « تباشير » فقد شقها القاموس من « بشر » فقال : « التباشير البشرى . . . وتباشير الصبح أوائله ، وكذلك أوائل كل شيء ولا يكون منه فعل » واللفظ فارسية مركبة من تبا « مثل » وشير « لبن » أي أبيض كاللبن ، وكان الفرس يدلون لها على بياض الصبح عند أول شروق الشمس ، فاقتبسها العرب منهم ودلوا بها على أوائل كل شيء وعلى البشرى .

٢ - استعمال لفظين معاً ، ثم إهمال أحدهما بالاستعمال التماساً للاختصار ، فيبقى الآخر للدلالة على ذلك المعنى . . مثل قولهم « ارتفاع » بمعنى جباية فيقولون : « ارتفاع الدولة » ويريدون مقدار جبايتها أي مجموع دخلها . وليس في هذه اللفظة ما يلمح منه هذا المعنى ولا ذكره لها القاموس . وأصل هذا الدلالة أنهم كانوا يستعملون ارتفاع مع لفظ جباية ، فيقولون : « ارتفاع جباية الدولة » أي مقدار ما بلغت إليه جبايتها ( من ارتفع السعر أي غلا ) ثم اسقطوا « الجباية » للاختصار فظلت « ارتفاع » وحدها لنفس ذلك المعنى .

ومثل ذلك قولهم : « أشفى العليل » بمعنى « امتنع شفاؤه » ( أي ضد معنى المادة الأصلي الشفاء ) وسبب هذا التضاد أن « اشفى » من مشتقات « شفا » الواوية بمعنى الاشراف أو الاقتراب ، وليس من مشتقات « شفى » اليائية كما أوردها القاموس . . فكانوا يقولون : « أشفى المريض على الموت » أي أشرف عليه ، ثم اختصروه فقالوا : « أشفى المريض » لنفس هذا المعنى ، والتبس على صاحب القاموس أصل مادتها ، فعدها من مشتقات شفى .

وكذلك قولهم : « عقد له » بمعنى « ولاه » وليس في مادة « عقد » ما

الرجل على المجهول ، زال عقله أو فسد أو دخلته الجن . » ونظراً لاختفاء الأرواح عن حواس البشر ، وخاصة عن انظارهم ، دلوا بتلك اللفظة على الظلمة ، والاختفاء أو الاستتار . . فقالوا جن الليل : أظلم ، وجنه الليل : ستره . . فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة إلى المعاني الخمسة التي ذكرناها ، وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعاني يرجع إلى أحدها .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نتبع تاريخ هذه اللفظة في الافرنجية وما يقابلها في اللغات السامية . . فقد خسرت دلالتها على « الروح » في كل اللغات الآرية ( إلا الفارسية والسنسكريتية ) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من Gen ومشتقاتها ، ومنها Genus في اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس . . ويقابلها في العربية « جنس » ويقابل Gen في العربية « جيل » واللفظ والمعنى متقاربان .

ولم تحسر لفظه « جان » دلالتها على « الروح » إلا بعد أن تولد ما يقوم مقامها ، لأسباب ترجع إلى تغيير حدث في عادات الأمم أو اعتقاداتهم . وأهم ما حدث في اعتقادات البشر الانتقال من الشرك إلى التوحيد . . فلما اعتقد الساميون بالتوحيد ، أصبحت الأرواح السماوية عندهم أي الملائكة خدماً للاله العظيم . . ينفذها حيث شاء لتبليغ أوامره أو نواهيه ، فعبروا عن الروح بلفظ « الرسول » وهذا معنى « الملاك » في اللغات السامية فإنه اسم مفعول من « هلك » أرسل ، وأصل المادة « هلك » مشى أو سار . . ومنها قولهم في التوراة ملاك الرب : أي رسول الله . وقد فقدت هذه المادة في العربية ، ولا يزال أثرها باقياً في « ألوكه » أي الرسالة .

وحدث نحو ذلك في اللغات الآرية فإن معنى الملاك عندهم يرجع إلى Angel وهي مأخوذة من ( انجلوس ) اليونانية ومعناها « الرسول » كأنهم ترجعوا لفظ ملاك إلى لسانهم حرفياً .



٤ - اكتساب اللفظ معنى جديداً من عادة شائعة ، كما اكتسب لفظ « بنى » معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف ، وجملة « عقد له » معنى « ولاه » وقد تقدم ذكرها .

وبالجملة ، فقد حدث في اثناء التغيير الإداري في الدولة الاسلامية ، نهضة عظيمة أحدثت تغييراً كبيراً في اللغة لفظاً ومعنى . . وليس ما ذكرناه إلا أمثلة قليلة .

## ١ - الألفاظ الادارية الأعجمية

أما الألفاظ التي اقتبسها العرب في أثناء انشاء دولتهم فكثيرة أيضاً ، تأتي بأمثلة منها :

من أقدم ما اقتبسوه من الألفاظ الإدارية الفارسية « الديوان » على عهد عمر بن الخطاب ، فإنه أول من دَوّن الدواوين في الاسلام ، فوضع الديوان على نحو ما كان عند الفرس ، واستعار له اللفظ الفارسي . . فاستعمله أولاً للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا إذا قالوا الديوان أرادوا ديوان الجند فقط ، ثم أطلقوه على سائر الدواوين ، وألحقوا به ألفاظاً تميز بينها : كديوان الانشاء ، وديوان العرض ، وديوان الضياع ، وديوان الخراج ، وهي كثيرة . ودلوا به على الكتاب الذي تدوّن فيه أسماء الجنود ، فكانوا إذا قالوا : فلان من أهل الديوان ، أرادوا أنه ممن أثبتت أسماؤهم في ذلك الكتاب . ثم أطلق على كل كتاب ، ثم انحصر في الدلالة على الكتب التي تجمع فيها الأشعار . . فإذا قالوا : ديوان فلان : أرادوا به مجموع أشعاره .

ولما كان أهل الديوان يجتمعون في مكان واحد ، سموا ذلك المكان ديواناً ، وأطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح أو

النظر فيها . . والعامة تعبر بالديوان عن المقعد .

وقس على ذلك كثيراً من الألفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحات الحكومة ، وخاصة الجند والأسلحة ونحوها : كالخوذة ، والجامكية ، والجزية ، والدولاب ، والدلق ، ودهقان ، والدانق ، ورستاق ، وسباهي ، والبريد ، وزنديق ، وكسري ، ونيشان ، ويلمق ، والطرار ونحوها .

والألفاظ اليونانية الإدارية قليلة في اللغة العربية ، ومنها : الاسطول ، والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والقنداق ، والكردوس ، والليمان .

وإذا تدبرت تاريخ هذه الألفاظ في لغتها الأصلية أو بعد انتقالها إلى العربية ، رأيت مدلولاتها تنوع بتنوع الأحوال ، فالدرهم مثلاً الأصل فيه الدلالة على الوزن ، ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ، ثم أطلق على النقود كلها .

وأما الألفاظ اللاتينية فمنها : البلاط ( بمعنى قصر الملك ) والدينار والدمستق . وربما أدخلوا ألفاظاً تركية ، أو هندية ، أو كلدانية ، أو نبطية ، أو نحوها . . مما يضيق المقام عن استيفائه . .

# الألفاظ العلمية

## العصر العباسي

نريد بالألفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم، والفلسفة إلى اللغة العربية في العصر العباسي من الألفاظ الجديدة، لتأدية ما جَدَّ من المعاني، مما لم يكن له مثيل في لسان العرب، كالمصطلحات الطبية، والكيمائية، والفلسفية، والطبيعية، والرياضية، والفلكية، والمنطقية، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام، والتصوف، ونحوهما. وشأن أهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية، والفارسية، والهندية، وغيرها، مثل شأننا في نقل علوم هذا العصر من الفرنسية، والانجليزية، والألمانية، وغيرها. . بل هم كانوا أحوج منا إلى اقتباس الألفاظ الأعجمية، وتنويع المعاني العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك، بما وصل إلينا مما اقتبسوه ونوعوه من تلك الألفاظ.

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الألفاظ وتبديلها، ولكنها أحدثت تنوعاً في التعبير يسهل علينا تصويره لكثرة في نهضتنا هذه مما سنذكره في حينه. . فالتغيير الذي أصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم، والفلسفة قسمان: أحدهما في المفردات، والآخر في التراكيب. والتغيير اللفظي أما بتنوع الألفاظ العربية، أو باقتباس ألفاظ أعجمية.

دارُ الحِزَّةِ

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

لبنان - بيروت - ص.ب. ٥٦٣٦ / ١٤

المقدمة

هذا كتاب صغير في بحث جديد ، تنبها له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا « الفلسفة اللغوية » لأن موضوعه تابع لموضوعها أو هي خطوة ثانية في تاريخ اللغة باعتبار منشئها وتكونها ونموها . . فالفلسفة اللغوية تبحث في كيف نطق الانسان الأول ، وكيف نشأت اللغة وتولدت الألفاظ من حكاية الاصوات الخارجية ، كقصص الرعد ، وهبوب الريح ، والقطع ، والكسر ، وحكاية النفث ، والنفخ ، والصفير ، ونحوها . . ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً ، كالتأوه ، والزفير . وكيف تنوعت تلك الاصوات لفظاً ومعنى بالنحت ، والابدال ، والقلب ، حتى صارت ألفاظاً مستقلة وتكونت الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وصارت اللغة على نحو ما هي عليه .

وأما تاريخ اللغة ، فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها ، بعد تمام تكونها ، فيبحث فيما طرأ عليها من التغيير بالتجدد أو الدثور ، فيبين الألفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال . وما قام مقامها من الألفاظ الجديدة ، والتراكيب الجديدة ، بما تولد فيها ، أو اقتبسته من سواها ، مع بيان الأحوال التي قضت بدثور القديم ، وتولد الجديد ، وأمثلة مما دثر ، أو أهمل ، أو تولد ، أو دخل . وهو بحث لغوي تاريخي

فلسفي قسمنا الكلام فيه إلى ثمانية فصول ، باعتبار الأدوار التي مرت على اللغة وهي :

١ - العصر الجاهلي : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها إلى ظهور الاسلام . . أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الألفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والهيروغليفية ، واليونانية وغيرها ، وأسندنا ذلك إلى أسباب تاريخية . وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الألفاظ ، وأمثلة مما تولد في اللغة نفسها من الألفاظ الجديدة ، وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها ، أو بالنظر إلى ألفاظها بحد ذاتها .

٢ - العصر الاسلامي : ونريد به ما حدث في اللغة بعد الاسلام من الألفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع ، والفقه ، والعلوم اللغوية ، ونحوها .

٣ - الألفاظ الإدارية في الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغة العربية من الألفاظ الإدارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب . . وهي إما دخيلة ، وإما مولدة . ويتخلل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى إلى آخر .

٤ - الألفاظ العلمية في الدولة العربية : ويدخل فيها الألفاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها إلى اللغة العربية في العصر العباسي .

٥ - الألفاظ العامة في الدولة العربية : وهي الألفاظ التي تولدت في اللغة ، أو دخلتها بغير طريق الشرع ، أو العلم ، كالألفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الألفاظ النصرانية واليهودية : وهي ما دخل اللغة العربية من

الألفاظ ، والتراكيب السريانية ، أو العبرانية ، بنقل الكتب النصرانية إلى العربية .

٧ - الألفاظ الدخيلة في الدول الأعجمية : وتتناول ما اكتسبته اللغة من الألفاظ الأعجمية بعد زوال الدولة العربية ، وتولي الدول التركية ، والكردية ، وغيرها .

٨ - النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الألفاظ الجديدة ، واقتباس الألفاظ الأفرنجية للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والإدارة ، وغيرها .

وصدرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها ، وختمناه بفصل في لغة الدواوين ، وخلاصة في مجمل ما تقدم .

على أننا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجدير خواطر سانحة ، فتحنا بها باب البحث لأئمة الانشاء ، وعلماء اللغة . . . فتتقدم إليهم أن يوفوا الموضوع حقه ، أو يزيّدونا منه لأنه يحتاج إلى بحث كثير ، ودرس طويل . وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم ، والأدب ، والشعر ، في غاية الافتقار إليه . . . ليعلم حملة الأقلام أن اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، تتجدد ألفاظها ، وتراكيبها على الدوام . . فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له . وقد يكون تهييبهم مانعاً من استثمار قرائحهم ، وربما ترتب على إطلاق سراح أعلامهم فوائد عظيمة تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل . ولا بد من اعتبار القواعد العامة ، والروابط الأساسية ، مما أشرنا إليه في محله . . ناهيك بما ينبجم عن معرفة أصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي .

جرجي زيدان

# تمهيد

## نواميس الحياة

من أهم نواميس الحياة : النمو ، أو التجدد وهو ينطوي على دثور الأنسجة وتولد ما يحل محلها . . ومعنى ذلك أن الجسم الحي مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة ، إذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها وانصرفت ، وتولدت في مكانها خلية جديدة تتكون من العصارات الغذائية ، كالدّم ونحوه . . فالجسم الحي في انحلال وتولد دائمين ، حتى قالوا : إن جسم الانسان يتجدد كله في بضع سنين ، أي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألف منها قبلاً ، وبغير هذا التجدد لا يكون الجسم حياً . وإذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدد الأنسجة أسرع إليه الفناء . . . فالتجدد ضروري للحياة .

وحياة الأمة مثل حياة الفرد ، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه ، لأن الأمة إنما تحيا بدثور القديم ، وتولد الجديد . . فكأن أفراد الأمة خلايا يتألف منها بدن تلك الأمة ، وهو يتجدد في قرن كما يتجدد جسم الانسان في عقد من عقود تلك القرون .

وإذا تبعنا نمو الأمة بتوالي الأجيال ، رأيناها تتفرع وتشعب . . فتصير الأمة الواحدة أمماً يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والأحوال وكل



أمة من هذه ، تشعب بتوالي « الدهور » إلى أُمَمٍ أخرى ، وهكذا إلى غير حد . . وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام .

## اللغة كائن حي

ويتبع الأحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها ، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل في الإنسان ، كاللغة والعادات ، والديانات ، والشرائع ، والعلوم ، والآداب ، ونحوها . . فهذه تعد من ظواهر حياة الأمة ، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد وناموس الارتقاء العام . ولكل من هذه الظواهر تاريخ فلسفي طويل ، نعبر عنه بتاريخ تمدن الأمة ، أو تاريخ آدابها ، أو علومها ، أو حكومتها ، أو أديانها ، أو نحو ذلك . وهي أبحاث شائقة فيها فلسفة ونظر . ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها .

\* \* \*

والبحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول :

أولاً : النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الأفعال ، والأسماء ، والحروف ، وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك ، والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » .

ثانياً : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأُمَمِ الأخرى ، فكتسبت من لغاتهم ألفاظاً وتعبيرات جديدة ، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأُمَمِ ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الألفاظ بتنوع الأحوال مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة .

ثالثاً : النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم ، والآداب ،

باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » . وهذا التقسيم تقريبي ، إذ لا تجد حداً فاصلاً بين هذه الأقسام .

وإذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة ، كالآداب ، أو اللغة ، أو الشرائع ، أو غيرها ، باعتبار ما مر بها من الأحوال في أثناء نموها ، وارتقائها ، وتفرعها ، رأيتها تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به المرء إلا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغييراً ظاهراً . . وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضة على الغالب احتكاك الأفكار بالاختلاط بين الأمم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ، أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي ، أو مشرع ، أو فيلسوف كبير ، أو نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو . أو أمثال ذلك من أسباب الاختلاط . . فتتحاك الأفكار ، وتتمازج الطبائع ، فتتوحد العادات ، والأخلاق ، والأديان . والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك . . بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحفظ بها قروناً بعد زوال تلك العادات ، أو الآداب ، أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبدله . .

وسنقتصر في هذا البحث على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني . وهو تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها .

# أدوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغير على الفاظها  
وتراكيبها بعد تكونها وارتقائها

إذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكونها  
وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الألفاظ وضروب التعبير ، رأيناها  
قد مرت في ثمانية أدوار ، أو عصور ، هي :

١ - العصر الجاهلي : وفيه ما خلق اللغة من التنوع والتغير في ألفاظها  
وتراكيبها قبل الإسلام .

٢ - العصر الإسلامي : أي أثر الإسلام في ألفاظ اللغة وتراكيبها .

٣ - الألفاظ الإدارية في الدولة العربية .

٤ - الألفاظ العلمية في الدولة العربية .

٥ - الألفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الألفاظ النصرانية .

٧ - الألفاظ الأعجمية في دول الأعاجم .

٨ - النهضة الحديثة .

# العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مر على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياح ذلك في ثنيات الدهور التي مرت قبل زمن التاريخ . . ولكننا نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت ، أي تميزت فيها الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية . وبعبارة أخرى أن أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية تم غوها ، فتكونت أفعالها ، وأسمائها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزاداتها قبل أن تشتت أهلها ، أو نزحوا إلى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم . . فتولدت منها اللغات السامية المعروفة . فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعاً يناسب ما يحيط بهم من الأحوال ، أو يجاورهم من الأمم . . فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية . وتشعبت هذه اللغة في أثناء ذلك إلى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهي لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة . وتفرعت لغة كل من تلك البقاع إلى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما لا يمكن حصره . . كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ .

ويكفيها في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها ، وهي اللغة العربية التي وصلت إلينا ، لقد كانت قبل تدوينها - أي قبل الاسلام - لغات عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب ، كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها ، كما هو مشهور . وأقرب هذه اللغات شَبْهاً باللغة السامية الأصلية أبعدها عن الاختلاط ، وبِعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام ، وخاصة أهل مكة ، وبالأخص قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوباً إلى بلاد اليمن ، وشرقاً إلى خليج فارس وما وراءه ، وغرباً إلى بلاد الحبشة .

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود ، والفرس ، والأنباط ، واليمينية ، والأحباش ، والمصريون ، عدا الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات ، والتراكيب ، ما لا مثيل له في اللغات الأخرى .

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين الأول ، والثاني ، قبل الاسلام ، بنزول الحبشة ، والفرس في اليمن ، والحجاز ، على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن . . وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد ، وخاصة أهل نجران ، فطلب إليهم اعتناق اليهودية . . فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً ، فاستنجد بعضهم بالحبشة . . فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواماً . ثم أنف أحد ملوكها ذي يزن ، فاستنجد بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعاً في الفتح . . فأخرج الأحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ عاماً ، وكانوا في أثناء ذلك يترددون إلى الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن

باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » . وهذا التقسيم تقريبي ، إذ لا تجد حداً فاصلاً بين هذه الأقسام .

وإذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة ، كالآداب ، أو اللغة ، أو الشرائع ، أو غيرها ، باعتبار ما مر بها من الأحوال في أثناء نموها ، وارتقائها ، وتفرعها ، رأيته تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به المرء إلا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغييراً ظاهراً . . وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضة على الغالب احتكاك الأفكار بالاختلاط بين الأمم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ، أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي ، أو مشرع ، أو فيلسوف كبير ، أو نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو ، أو أمثال ذلك من أسباب الاختلاط . . فتتحاك الأفكار ، وتتمازج الطبائع ، فتتنوع العادات ، والأخلاق ، والأديان ، والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك . . بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحتفظ بها قروناً بعد زوال تلك العادات ، أو الآداب ، أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبدله . .

وسنقتصر في هذا البحث على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني ، وهو تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها .

# أدوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغير على الفاظها  
وتراكيبها بعد تكونها وارتقائها

إذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكونها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الألفاظ وضروب التعبير ، رأيناها قد مرت في ثمانية أدوار ، أو عصور ، هي :

١ - العصر الجاهلي : وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير في ألفاظها وتراكيبها قبل الاسلام .

٢ - العصر الاسلامي : أي أثر الاسلام في ألفاظ اللغة وتراكيبها .

٣ - الألفاظ الإدارية في الدولة العربية .

٤ - الألفاظ العلمية في الدولة العربية .

٥ - الألفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الألفاظ النصرانية .

٧ - الألفاظ الأعجمية في دول الأعاجم .

٨ - النهضة الحديثة .

# العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مر على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياح ذلك في ثنيات الدهور التي مرت قبل زمن التاريخ . . ولكننا نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت ، أي تميزت فيها الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية . وبعبارة أخرى أن أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية تم نموها ، فتكونت أفعالها ، وأسمائها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزاداتها قبل أن تشتت أهلها ، أو نزحوا إلى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم . . فتولدت منها اللغات السامية المعروفة . فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعاً يناسب ما يحيط بهم من الأحوال ، أو يجاورهم من الأمم . . فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية . وتشعبت هذه اللغة في أثناء ذلك إلى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهي لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة . وتفرعت لغة كل من تلك البقاع إلى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما لا يمكن حصره . . كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ .



ويكفيها في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها ، وهي اللغة العربية التي وصلت إلينا ، لقد كانت قبل تدوينها - أي قبل الاسلام - لغات عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب ، كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها ، كما هو مشهور . وأقرب هذه اللغات شبهاً باللغة السامية الأصلية أبعتها عن الاختلاط ، وبمعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام ، وخاصة أهل مكة ، وبالأخص قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوباً إلى بلاد اليمن ، وشرقاً إلى خليج فارس وما وراءه ، وغرباً إلى بلاد الحبشة .

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود ، والفرس ، والأنباط ، واليمانية ، والأحباش ، والمصريون ، عدا الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات ، والتراكيب ، ما لا مثيل له في اللغات الأخرى .

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين الأول ، والثاني ، قبل الاسلام ، بنزول الحبشة ، والفرس في اليمن ، والحجاز ، على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن . . وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد ، وخاصة أهل نجران ، فطلب إليهم اعتناق اليهودية . . فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً ، فاستنجد بعضهم بالحبشة . . فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواماً . ثم أنف أحد ملوكها ذي يزن ، فاستنجد بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعاً في الفتح . . فأخرج الأحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ عاماً ، وكانوا في أثناء ذلك يترددون إلى الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن

السادس ، فجاءوا مكة بأفيالهم ، ورجالهم ولم يفلحوا . وأهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة إلى مكة حتى أرحوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن ، أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون إلى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون إليهم .

## الألفاظ الأعجمية

فكان لهذه النهضة تأثير كبير في اللغة العربية ، فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ، فلما جمعوا اللغة بلغت صيغ أبنية الأسماء فقط بضع مئات ، ثم صارت بعد ذلك ببضعة قرون ألفاً ومائتين وعشرة أمثلة . . ناهيك بما دخلها من الألفاظ الغربية وما اقتبسته من التراكيب الاجنبية ، ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله . . على أننا نستدل على تكاثر الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الألفاظ . فإذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية ، أو الكلدانية ، أو الحبشية ، ترجع عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير ، أو الأدوات ، أو المصنوعات ، أو المعادن ، أو نحوها ، مما يحمل إلى بلاد العرب من بلاد الفرس ، أو الروم ، أو الهند ، أو غيرها . . ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية ، أو الأدبية ، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية ، أو الحبشية ، لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب .

ويقال بالاجمال أن العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية .

ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهرة من الألفاظ الفارسية « الكوز ،

الجرة ، الإبريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ، القصعة ، السكرجة ،  
 السمر ، السنجاب ، الفاقم ، الفنك ، الدلق ، الخز ، الديباج ،  
 التاخنج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البللور ، الكعك ،  
 الدرملك ، الجردق ، السميد ، السكباج ، الزبرباج ، الاسفيداج ،  
 الطياهج ، الفالوذج ، اللوزينج ، الجوزينج ، البغرينج ، الجلاب ،  
 السكنجين ، الخلتجين ، الدارصيني ، الفلفل ، الكراويا ، الزنجيل ،  
 الخولنجان ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، النسرين ، الخيري ،  
 السوسن ، المزنجوش ، الياسمين ، الجلنار ، المسك ، العنبر ، الكافور ،  
 الصندل ، القرنفل .» . وعندنا أن بعض هذه الألفاظ غير فارسي كما  
 سترى .

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية : الفردوس ، والقسطاس ،  
 والبطاقة ، والقرسطون ، والقبان ، والاصطرلاب ، والقسطل ،  
 والقنطار ، والبطريق ، والترياق ، والقطرة ، وغيرها كثير .

وأما ما نقلوه عن الحبشية ، فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ،  
 ولأن الحبشية والعربية أختان تتشابه الألفاظ فيهما . والمشهور عند علماء  
 العربية من الألفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين ، والمشكاة ،  
 والهرج . . . ولكننا لا نشك في أنهم اقتبسوا كثيراً غيرها ، وخاصة ما يتعلق  
 منها بالاصطلاحات الدينية .

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو  
 الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من  
 « نبر » أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا أنه معرب « ومنبر »  
 في الحبشة أي كرسي أو مجلس أو عرش .

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في  
 القلب واطهار الإيمان » وقد شقه من « نفق » راجع أو رغب فيه ، وليس

بين المعنيين تناسب ، فاضطروا لتعليله إلى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا : « ومنه اشتقاق المنافق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه إذا عرفنا أن « نفاق » في الحبشة معناها الهرطقة ، أو البدعة ، أو الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشة بدخول النصرانية فيها .

وكذلك لفظ « الحواري » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض ، وقال في معنى الحواري أنه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم ، أو لأنهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، والأظهر أن هذه اللفظة معرب « حواري » في الحبشة ، ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً .

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها ، وهي في الحبشة « برهان » أي النور ، أو الايضاح ، مشتقة من « بره » عندهم أي اتضح أو أثار .

وقس على ذلك كثيراً من أمثاله ، كالمصحف ، فإنه حبشي من « صحف » أي كتب ، والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات ، أو النباتات ، أو نحوها . فإن « عنيسة » من أسماء الأسد عند العرب ، وهي اسم الأسد بالحبشة .

وقد أخذوا عن العبرانية كثيراً من الألفاظ الدينية : كالحج ، والكاهن ، والعاشوراء ، وغيرها وأكثرها نقل إلى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لأنها شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن إيراد الأمثلة ولا ريب أن العرب اقتبسوا كثيراً من الألفاظ السنسكريتية ممن كان يخاطبهم من الهنود في أثناء السفر للتجارة ، أو الحج ، لأن جزيرة

العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . . فكل تجارات الهند المحمولة إلى مصر ، أو الشام ، أو المغرب ، كانت تمر ببلاد العرب ، ويكون للعرب في حملها أو تروييحها شأن . وقد عثرنا في السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظاً عربية ، تغلب أن تكون سنسكريتية الأصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فإنهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ، ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل أنهما مأخوذان عن العربية لأن السنسكريتية دونت قبل العربية بزمن مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الأصل أيضاً ، وكذلك « ضياء » . . ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك .

على أننا نرجح أن العرب أخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير والطيب مما يحمل من بلاد الهند . . والعرب يعدونها عربية ، أو يلحقونها بالألفاظ الفارسية تساهلاً : كالمسك مثلاً ، فقد رأيت صاحب المزهري يعبه فارسيّاً ، وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو في الحقيقة سنسكريتي ، ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الألفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضاً أن القرنفل فارسي ، والغالب عندنا أنه سنسكريتي لأن أصله من الهند وقس عليه .

### القاعدة في تعيين أصول الألفاظ الأعجمية

وتعيين أصل اللفظ للاحاقه باللغة المأخوذة منها يحتاج إلى نظر لا يكفي فيه المشابهة اللفظية ، إذ كثيراً ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة ، وإنما يقع ذلك على سبيل النوادر بالاتفاق . . إلا إذا دلت القرائن على انتقال احدهما من لغة إلى

أخرى وساعد الاشتقاق على ذلك .

فإذا اتفق لفظان متقاربان لفظاً ومعنى في لغتين ، وكان بين أهل تينك اللغتين علاقات متبادلة من تجارة ، أو صناعة ، أو سياسة ، جاز لنا الظن أن احدهما اقتبست من الأخرى . . فإذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل ، أو المصنوعات ، أو الأدوات ، فيرجح الحاقه باللغة السابقة إلى ذلك ، كلفظ « المسك » مثلاً فإنه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها . . فإذا عرفنا أن المسك يحمل إلى العالم من تونكين ، وتيب ، ونيبال ، والصين ، وأن الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب إلى الأمم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا أن العرب أخذوا هذه اللفظة عن الهنود ، كما أخذوا الفرس منهم ، أو لعلها انتقلت إلى الفارسية من العربية . . لأن الفرس يعدونها عربية ، كما يعدها العرب فارسية . . أو هي في الفارسية باعتبار أنها فرع من السنسكريتية كما هي في الانجليزية بطريق التفرع ، وكما هي في اللاتينية لأنها أخت السنسكريتية ، ومن اللاتينية انتقلت إلى الفرنسية لأنها فرع من اللاتينية .

ويقال نحو ذلك في « كافور » فإن العرب يعدونها فارسية ، والفرس يقولون أنها عربية . . وهي موجودة أيضاً في السنسكريتية ، واللاتينية ، وفروعها . . فبأيها نلحقها ؟

في مثل هذه الحال ، يجب البحث في مصدر الكافور . . فإذا علمنا أنه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا ، وأن اسمه باللغة الملقية « كابور » ترجح عندنا أنه ملقي الأصل . وكذلك « الزنجيل » - الجذور المعروفة - فإن العرب يقولون أنها تعريب « شنكييل » في الفارسية ، والفرس يقولون أنها عربية . . ولم نجد « شنكييل » في القاموس الفارسي . وإذا بحثنا عن اسم هذا العقار في اللغات الأخرى ، رأينا اسمه في اليونانية « زنجباريس » وفي اللاتينية « زنجبار » فأول ما يتبادر إلى

الذهن أنه من « زنجبار » البلد المعروف ، وإنه سمي بذلك لأنه كان يحمل منه أو لسبب آخر . . فإذا رجعنا إلى منبت هذا العقار ، رأينا هندية . . ورأينا اسمه في اللغة السنسكريتية « زرنجايرا » مشتقة من « كرينجا » أو « زرنجا » أي القرن ، لمشابهة جذوره به . . فيترجح عندنا أنه سنسكريتي الأصل .

ومن هذا القبيل « الفلفل » فإن العرب يقولون أنه فارسي ، والفرس يقولون أنه عربي . . وهو موجود أيضاً بمثل هذا اللفظ في الانجليزية ، والالمانية ، واللاتينية ، ويوجد أيضاً في السنسكريتية ، ويلفظ فيها « بالا » أو « فيفالا » ولما كان الفلفل من محاصيل الهند ، وأجوده يرد من مالابار ، نرجح أن هذه اللفظة سنسكريتية الأصل . ومعنى « ببالا » عندهم أيضاً « التينة المقدسة » .

ويقال عكس ذلك في الألفاظ الدالة على محاصيل بلاد العرب أو حيواناتها ، كالقهوة مثلاً . . فإنها موجودة في الفارسية وفي كل لغات أوروبا ، فالأرجح أنها عربية الأصل لأن هذه اللفظة كانت عند العرب قبل اصطناع القهوة اسماً من أسماء الخمر . . فأطلقوها على قهوة البن . ومثل ذلك أسماء الجمل ، والزرافة ، والغزال ، وغيرها من أسماء الحيوانات العربية . . وربما كان بعضها مأخوذاً في الأصل من لغة غير عربية .

وإذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات ، فالحاقها بأصحاب تلك الصناعة من الأمتين أولى . . فقد اختلط العرب بالفرس وخاصة بعد الاسلام ، وأخذوا ، منهم كثيراً من الملابس والأنسجة ، ولم ينقلوها إلى لسانهم . . بل عربوها وأبقوها على ما هي ، كالسراويل ، والقباء ( ومنها الجبة ) والتبان ، والجورب ، والديباج ، والارجوان ، والسرموج ، والقفطان ، والطربوش ، والبابوج . . كما فعل أهل هذا

العصر بأسماء الملابس الافرنجية التي اقتبسوها من الافرنج في تمدنهم الأخير ، كالبنطلون ، والجاك ، والستيك ، وغيرها . .

واقبس العرب من الفرس كثيراً من ألوان الأطعمة ، وأنواع الأسلحة والفرش والأدوات ، وأبقوها على لفظها الأعجمي . . . وهي كثيرة ، يضيق هذا المقام عن ذكرها ، ومنها الجلاب ، والجلنار ، والبنفسج ، والخشاف ، والخوذة ، والدسكرة ، والدولاب ، والدهقان ، والسرجين ، والسرداب ، والطنبور ، والفرسخ وغيرها كثير . . فالحاقها بلغاتها الأصلية ، يسوغه أولاً التاريخ لأنه يدلنا على أن العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس ، فإذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوي ، كان الدليل اثبت . . مثل « جلاب » فإنها مؤلفة في الأصل الفارسي من « كل آب » أي ماء الزهر . و« خشاف » من « خوش آب » و« سرداب » من « سرد آب » أو « سردابه » بيت الثلج من « سرد » أي بارد و« آب » ماء . والطربوش من « سربوش » أي غطاء الرأس . والبابوج من « بابوش » أي غطاء القدم .

وكثيراً ما يكفي الاشتقاق اللغوي وحده في معرفة أصل اللفظة ، بشرط ملاحظة مقابلة اللغات . فإذا وجدنا لفظة في العربية ومثلها في الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية مثلاً ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة أصلها ، عمدنا إلى اشتقاقها وصيغتها ، فإذا لم يكن لها مجانس في أخوات العربية وكان لها ذلك في أخوات الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية ، نرجح أنها من إحدى هذه اللغات مثل « البلاط » بمعنى « قصر الملك » فقد عدها العرب عربية ، وشقوها من البلاط المعروف لأن القصور تفرش به . ولكن هذه اللفظة في اللاتينية Palatium ومعناها قصر الملك . فإذا ادعى مدع أنها عربية الأصل ، وأن الرومان اقتبسوها من العرب ، قلنا أن الرومان يرجعون بأصلها إلى تل كان في رومية بهذا الاسم ، نزل عليه



أوغسطس قيصر وأقام فيه ، فسمى قصره به . . وإذا اعجزنا الدليل التاريخي ، عمدنا إلى الاشتقاق . . فإن Pala في السنسكريتية معناها الحامي أو المدافع ، وكان الملوك القدماء إنغا ينون القصور للتحصن بها . . وقد لا يهديننا التاريخ مطلقاً كما في لفظ « جاموس » فإن التاريخ لا يساعدنا على معرفة أصلها ، هل هي عربية أم فارسية ، فإذا رجعنا إلى الاشتقاق لم نر لها اشتقاقاً في العربية ، أما في الفارسية فإنها مركبة من لفظين « كاو » ثور أو بقرة و« ميش » كبش ، ولكن الجاموس هندي الأصل . ومعنى « جاوميشا » في السنسكريتية « البقرة الكاذبة » .

### عود

وبالجملة فقد دخل العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات التي كانت شائعة في التاريخ القديم ، ممن خالط العرب كالمصريين القدماء ، والحيثيين ، والفينيقيين ، والكلدان ، والهنود ، والفرس . . حتى الزوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكناً لتقدم عهده واختلاف شكله .

ومن أمثلة ما أخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية لفظ « قبس » بمعنى الشعلة ، فهي في الهيروغليفية « خبس » ومعناها مصباح . وبعض تلك الاقتباسات أخذها العرب رأساً عن أصحابها ، والبعض الآخر حملت إليهم على يد الأمم الأخرى ، كما نقل لهم اليهود لفظ « نبي » من اللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » واصل معناه فيها « رئيس العائلة » أو « رب المنزل » .

وكما نقل لهم الفرس « الشطرنج » عن اللغة الهندية السنسكريتية ، فحسبها العرب فارسية . . وقالوا أنها تعريب « شترنك » بالفارسية ، ومعناها ستة ألوان - ولعلهم يريدون « ششرنك » - والصواب أنها لعبة هندية قديمة ، كانت تسمى في اللغة السنسكريتية « شُتورنكا » أي الأجزاء الأربعة التي يتألف منها الجند عندهم . . وهي الأفراس ، والأفيال ،

والمركبات ، والمشاة . . فأخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ، ثم أخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية ، وتكلفوا في تحليلها كما رأيت .

ولم يقتصر العرب على اقتباس الألفاظ من اللغات الأخرى واستبقائها على حالها ، ولكنهم صرفوها وشقوا منها الأفعال ، ونوعوا معناها على ما اقتضته أحوالهم . . فقد شقوا من لفظ النبي : « نأ » و « تنأ » و « نابأ » .

وشقوا من قيس أفعلاً وأسماءً عديدة .

ومن هذا القبيل « اللجام » وهو من « لكام » في الفارسية ، فشقوا منه أولاً « الجم الدابة » ألبسها اللجام و « التجمت الدابة » مطاوع أجم . وجعوا لجام على لجم وأجمه ، ثم استخدموه مجازاً فقالوا : « لجمه الماء » أي بلغ فاه ، وقالوا « لفظ لجامه » أي انصرف من حاجته مجهوداً من الاعياء والعطش . . وقولهم « التقي ملجم » أرادوا به أنه مقيد اللسان والكف .

والمهر الخاتم في الفارسية ، استعاره العرب وبنوا منه فعلاً فقالوا : مهر الكتاب أي ختمه بالمهر .

ومن ذلك ما شقوه من لفظ « ديوان » وهي أعجمية فقالوا : « دَوْن » أي كتب اسمه في الجندية .

وقس على ذلك كثيراً من الألفاظ الدخيلة التي يعتقد العرب أنها عربية ، وقد شقوا منها الأفعال والأسماء مثل « سراب » وهي تعريب « سيرآب » في الفارسية أي مملوء ماء . والزمهرير من « زم اريز » بالفارسية أي ضباب بارد . وجزاف من « كزاف » بالفارسية أي العبث من الكلام والضنك من « تنك » في الفارسية ضيق ، وقد شقوا منها أفعلاً وأسماءً ترجع إلى هذا المعنى .

ثم أن أكثر ما أدخله العرب إلى لغتهم من الألفاظ الاجنبية ، لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم على أن كثيراً منه كانت له عندهم أسماء مشهورة . . لا يبعد أن يكون بعضها دخيلاً أيضاً ، فغلب استعمال الدخيل الجديد وأهمل القديم . من ذلك أن العرب كانوا يسمون الإبريق « تامورة » والطاجن « مقل » والهاوون « منحاز » أو « مهراس » والميزاب « مثقب » والسكرجة « الثقوة » والمسك « المشموم » والجاسوس « الناطس » والتوت « الفرصاد » والاترج « المتك » والكوسج « الاثط » والباذنجان « الانب » والرصاص « الصرفان » والخيار « البقت » . . فهذه الأسماء وأمثالها ، أهملها العرب قبل الاسلام ، بعد أن استبدلوها بأسماء دخيلة . . فعلوا ذلك عفواً بلا تواطؤ أو قصد ، وإنما هو ناموس النمو يقضي عليهم بذلك .

## التغير في الألفاظ

ذكرنا فيما تقدم أمثلة مما دخل اللغة العربية من الألفاظ الاجنبية قبل زمن التاريخ الذي عبرنا عنه بالعصر الجاهلي . . ونذكر الآن ما لحق ألفاظها الأصلية من التنوع والتفرع في ذلك العصر . والأدلة على ذلك كثيرة ، نكتفي منها بالواضح الصريح . . فنذكر أولاً ما نستدل عليه من مقابلة العربية بأخواتها العبرانية والسريانية ، ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها .

### مقابلة العربية بأخواتها

من الحقائق المقررة ، أن العربية والعبرانية والسريانية ، كانت في قديم الزمان لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ،

والحجاز ، في صدر الاسلام . فلما تفرق الشعب السامي ، أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة . . أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية . . كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام إلى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، وغيرها . ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة . فإذا راجعت الالفاظ السامية المشتركة في العربية وأخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الأخرى . والأدلة على ذلك لا تحصى ، إذ لا تخلو المعجمات من شاهد أو غير شاهد في كل صفحة من صفحاتها . . فنكتفي بالإشارة إلى بعضها على سبيل المثال . .

فلفظ « الشتاء » في العربية مثلاً هو أصل مادة « شتا » في القاموس ، وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها إلى معنى الشتاء ( الفصل المعروف ) ، فقالوا : شتا في المكان ، أقام فيه شتاء ، وشتا فلان دخل في الشتاء ، وأشتى القوم اشتاء أجذبوا في الشتاء . . الخ .

ولم يدلنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ ، ولكنه أورد رأي المبرد في ذلك ، فقال إن الشتاء « جمع شتوة » وأن الشتوة « الغبراء التي تهب فيها الرياح والأرض يابسة فيهبج الغبار » وفي قوله تكلف . . على أننا إذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية ، رأينا الأصل في دلالتها « الشرب » أو « الري » أو « الصب » فهي كذلك في العبرانية والسريانية إلى اليوم . وقد شقوا منها الأفعال والأسماء لمعان كثيرة ترجع إلى الري ونحوه . . إلا فصل الشتاء فأنهم شقوا له كلمة من أصل آخر يقرب منه لفظاً ويؤخذ من مراجعات كثيرة أن المادة الاصلية ( شتا ) كانت تدل على الرطوبة أو الري في اللغة السامية ، فلما تفرقت القبائل كما تقدم ، تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الأحوال ،

فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية ، وأهمل معنى الشرب أو الري منها . ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هذه اللفظة في أخوات العربية ، لرأيتها تختلف الواحدة عما في الأخرى .

وإذا بحثنا عن لفظ « شهر » في العربية بالمقابلة مع أخواتها رأينا الأصل فيه الدلالة على الاستدارة ، ثم سمو القمر به لأنه مستدير ، ثم أطلقه العرب على الشهر لأنهم كانوا يوقتون بالقمر . على أن دلالة على القمر لا تزال باقية في العربية إلى اليوم ، وكذلك في السريانية ( سهرا ) تدل عندهم على الشهر والقمر . وأما العبرانية فإن للقمر فيها لفظاً مشتقاً من مادة أخرى هي ( يرح ) والأصل في معناها « الدوران » فاشتقوا منها « يارح » للدلالة على القمر وعلى الشهر . ومن هذه المادة في العربية « رواح » أي العشى . . « فكانوا يقولون : « راح فلان » أي جاء أو ذهب في العشي أي أن أصل المعنى راجع إلى « العشى » بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم : أصبح وأمسى . . ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب . . حدث كل ذلك التنوع يلا قصد ولا تواطؤ .

ومن بقايا « يرح » في العربية ، مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة أصلها ، فعدها بعضهم فارسية ، وعدّها آخرون يونانية ، واكتفى غيرهم بأنها غير عربية . وهي في الحقيقة سامية الأصل ، نعتي بها لفظ « آراخ » أو « ورخ » أو « أرخ » بمعنى وقت ، والظاهر عندنا أنها من بقايا اسم الشهر عندهم « يرح » - والابدال بين الحاء والحاء هين - ومنه « التاريخ » تعريف الوقت ، ثم تنوع معنى هذه اللفظة ، فصاروا يدلون بها على علم التاريخ ، أي ذكر الوقائع والحوادث .

ومن هذا القبيل « كتب » فإن الأصل في دلالتها « حفر في الحجر ، أو الخشب » فالظاهر أنهم استعملوها في أول عهدهم بالكتابة ، وكانوا

يكتبون على الحجارة أو الخشب حفراً أو نحتاً ، شأن الكتابة عند الأمم القديمة . فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق أو الأقمشة ، تحول معناها إلى الكتابة المعروفة ، ولم يبق لدالتها على الحفر أثر في العربية ، وإن كنا نرى أن أثر ذلك في « قطب » ونحوها من تفرعات « قط » حكاية صوت القطع . فيلوح لنا أن الأصل في دلالة كتب (أو قطب) على الحفر، أنهم كانوا يقولون مثلاً « قط بالخشب » أي قطع في الخشب أو حفر الخشب ، ثم الصقوا الباء بالفعل فصار « كتب » أو « قطب » كما الصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجيء ، فبدلاً من أن يقولوا « جاء به » قالوا « جابه » وصرفوه فقالوا « يجييه ، وجابوه ، ويجيئوه » بدلاً من « يجيء به ، وجاءوا به ، ويجيئون به . . »

ومثل « كتب » أيضاً « سطر » فأنها كانت تدل في الأصل على الحفر ، ثم تحول معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه . ولا تزال « سطر » تدل على الحفر أيضاً في العبرانية ، وأما في العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك في لفظ مجانس لها هو « شطر » أو نحوها .

وكثيراً ما تحول المعنى في بعض الألفاظ بانتقاله من الكل إلى الجزء أو من الصفة إلى الموصوف مثل « اللحم » في العربية ، فإن معناها في اللغات السامية « الطعام » على اجماله ، ثم خصصه العرب بالدلالة على أهم الأطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار في السريانية يدل على الخبز والأصل في « طبخ » الدلالة على « الذبح » واللفظان متشابهان ، فتحول معناها في العربية إلى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظاً .

و« الملح » أصل دلالاته في اللغات السامية كلها من « ملح أو ملاً » أي نبع الماء . ثم تحول معناها إلى أكبر مستودعات الماء وهو « البحر » ونظراً لظهور الملوحة في مياه البحار أكثر من سائر صفاتها ، ولأن الملح

يستخرج منها سمو المالح بها . والظاهر أن هذه اللفظة كانت في أمهات اللغات السامية والآرية قبل تفرقها . . فإن اسم البحر في اليونانية يشبه أن يكون مبدلاً من « ملح » أو أن تكون ملح مبدلة منه ، وكذلك في اللغة السنسكريتية .

و « انبو » كانت تدل في اللغة السامية الأصلية على « الثمر » عموماً ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الاشورية ، والآرامية أما في العبرانية فقد أدغمت النون في الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت ( آبه ) بتشديد الباء ، عملاً بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية . . ثم شقوا من هذه اللفظة فعلاً فقالوا ( اب ) بمعنى أثمر ، وأما في السريانية فقد أصاب هذه اللفظة نفس ما أصابها في العبرانية ، وصارت ( ابا ) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ، والرمان . وأما في العربية ، فقد حدث نحو ذلك ، ولكن « الإب » صار عندهم للدلالة على الكلاء والمرعى أو ما أنبت الأرض وقالوا : « الإب » للبهائم كالفاكهة للناس .



وتحولت « انبو » أيضاً بالاببدال إلى « عنبو » ومنها « عنب » للدلالة على نوع واحد من الأثمار هو ثمر الكرم ، وهذه دلالتها الآن في اللغات العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، بعد أن كانت تدل في أقدم أزمانها على الثمر عموماً .

ويقال نحو ذلك في « عبد » فأنها في اللغات السامية تدل على العمل ، وخاصة الحرث في الحقل ، ولم يبق من مشتقات « عبد » في العربية ما يدل على معناها الأصلي إلا « المعبدة » أي « المجرفة » أو « المحراث » . وفيما خلا ذلك فإن عبد ومشتقاتها إنما تدل على العبادة ، ومنها « العبد » أي الرق و « التعبد » لأن خدمة الحقول كان أكثرهم من

لنا هذا الناموس بأجل بيان . . إذ نرى للمادة الواحدة أو اللفظ الواحد عدة معان متفرعة من معنى واحد ، ثم يتنوع المعنى على مقتضيات الأحوال . ولا نحتاج في إثبات ذلك إلى أيراد الشواهد لأنه بديهي ، وإنما يحسن بنا أن نشير إلى اسباب ذلك التنوع وهي كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم من الكلام في مقابلة الألفاظ العربية بألفاظ أخواتها ، كاشتقاق معنى الملح من البحر ، ومعنى الثلج من البياض ، وغير ذلك مما بينه مناسب في المعنى . وقد تكتسب الكلمة معنى جديداً من عادة أو عقيدة ، مثل قولهم : « بني على أهله أو بأهله » بمعنى تزوج . وليس في أصل فعل البناء هذا المعنى ، وإنما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب ، وهي أن الداخل بآهله كان يضرب عليه قبة ليلة الزفاف . ومن هذا القبيل تحول معنى القمر إلى الشهر ، لأنهم كانوا يوقتون بالقمر .

ومن أسباب زيادة النمو في اللغة العربية غير النحت والابدال والقلب ، التصحيف وهو التبادل بين الحروف المتشابهة شكلاً كالباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، والياء ، أو الجيم ، والحاء ، والخاء ، أو الدال ، والذال ، أو الراء ، والزاي ، أو السين والشين ، وقس عليه . .

فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف ، قولهم رجل صلب وصلت ، والدبر والدير ، والكرت والكرب ، ورغبات ورغاب ، والجلجلة والحلحلة ، وجاض وحاص ، والنافحة والنافحة ، وهو كثير . . وقد ذكر منه علماء اللغة مئات . والغالب أن ذلك التصحيف لم يحدث إلا بعد تدوين اللغة ، لأنه خطأ بقراءة الخطوط .

وما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، ورود الألفاظ الكثرة للمعنى الواحد . . فعندهم للسنة ٢٤ اسماً ، وللنور ٢١ اسماً ، وللظلام ٥٢ اسماً ، وللشمس ٢٩ اسماً ، وللحساب ٥٠ اسماً ، وللمطر ٨٤ اسماً ، وللبئر ٨٨ اسماً ، وللماء ١٧٠ اسماً ، وللبن ١٢ اسماً ،



وللغسل نحو ذلك ، وللخمر ، مائة اسم ، وللاسد ٣٥٠ اسماً ، وللحبة مائة اسم ، ومثل ذلك للجمل ، أما الناقة فأسماءها ٢٥٥ اسماً . . . . . وقيس على ذلك أسماء : الثور ، والفرس ، والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوقة عند العرب ، وأسماء الأسلحة ، : كالسيف ، والرمح ، وغيرهما . ناهيك بمترادف الصفات ، فعندهم للتويل ٩١ لفظاً ، وللقصير ١٦٠ لفظاً ، ونحو ذلك للشجاع ، والكريم ، والبخيل ، مما يضيق المقام عن استيفائه .

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فإن فيها مئات من الألفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين : مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيلولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار أو الاستغناء .

ومن خصائصها أيضاً ، دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة . . . فمن ألفاظها نيف ومائتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان . . . ونيف ومائة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ، وكذلك التي تدل على خمسة معان . . . . . وقيس على ذلك ما يدل على ستة معان ، فسبعة فثمانية فتسعة إلى خمسة وعشرين معنى ، كالحميم ، والفرن ، والطيس ، ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فأنها تدل على ٢٧ معنى ، ولللفظ « العين » ٣٥ معنى ولللفظ « العجوز » ٦٠ معنى .

فتكاثر المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة لا يحدث إلا من تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل . وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مئة اسم أو مائتان بتوالي الأجيال . . . وأحدث تلك الألفاظ أكثرها استعمالاً ، وأقدمها أقربها إلى الإهمال .

والاعلال ، والحقيقة ، والمجاز ، والنقض ، والمنع ، والقلب ، والرفع ،  
والنصب ، والخفض ، والمديد ، والطويل ، وغيرها من اسماء البحور  
وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جداً ولها فروع  
واشتقاق . . . حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي ، وآخر لغوي ،  
وآخر عروضي ، وآخر ديني ، مما لا يمكن حصره . وسنذكر أمثلة أخرى  
عند الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام .

وأحدث الاسلام تغييراً كبيراً في أساليب التعبير ، كقولهم : « أطال  
الله بقاءك » فإن أول من قالها عمر بن الخطاب لعلي بي أبي طالب .

### ٣ - الألفاظ المهمة

وكما أحدث الاسلام ألفاظاً جديدة للتعبير عن معان جديدة ،  
اقتضاها الشرع الجديد والعلم الجديد . . فقد محا من اللغة ألفاظاً قديمة ،  
ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم . . منها قولهم :  
« المرباع » وهو رباع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في  
الجاهلية . و « النشيطة » وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة  
القوم ، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي  
قصدوه . و « المكس » وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في  
الأسواق في الجاهلية . وكذلك : الاتاة ، والحلوان . وما أبطل قولهم :  
« أنعم صباحاً وأنعم ظلاماً » وقولهم للملك : « أبيت اللعن » وقول  
المملوك لمالكه : « ري » . وتسمية من لم يحج « ضرورة » وغير ذلك . وقد  
نرى بعض هذه الألفاظ مستعملاً في اللغة الآن فهو ، إما مستعمل في غير  
معناه الأصلي . . وإما أنه قد أرجع إليه بعد إهماله . .

على أننا لا نشك في إهمال كثير من الألفاظ العربية في القرنين الأولين  
للهجرة ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور . .

يُكفي لتحقيق ذلك ، مراجعة المعجمات وتدبر ألفاظها ، فإنك ترى فيها مئات وألوفاً من الألفاظ التي بطل استعمالها ، ولا نظنهم جمعوها في صدر الاسلام ، إلا لأنها كانت شائعة على ألسنة العرب .

وقد يعترض على ذلك أن تلك الألفاظ إنما أهملت في العصور الأخيرة فلا ننكر إهمال بعضها في هذه العصور ، ولكن جانباً كبيراً منها أهمل في العصور الأولى ، فضلاً عما قل استعماله قبل الاسلام . . حتى لقد كان أحدهم يسمع اعرابياً يتكلم ، فإذا ذكر ألفاظاً مهملة أغلق على السامع فهمها ولو كان لغوياً . .



يروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال : « بينا أنا في المسجد الحرام ، إذ وقف علينا اعرابي ، فقال : يا مسلمون - بعد الحمد لله والصلاة على نبيه - إني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي ، المواصي أسياف تهامة ، عكفت علينا سنون محش ، فاجتبت الذري ، وهمشت العرى ، وجهشت النجم ، وأعجبت البهم ، وهمت الشحم ، والتجت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب موراً ، والماء غوراً ، والناس اوزاعاً ، والنبت قعاعاً ، والضمهيل جراعاً ، والمقام جعجاعاً ، يصبحنا الهاوي ، ويطرقنا العاوي ، فخرجت لا أتلفع بوصيده ، ولا أتقوت بمهيده ، فالبخصات وقعه ، والركبات زلعه ، والأطراف فقعه ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ، اعشوا فاغطش ، وأضحى فاخفش ، اسهل ظالماً ، واحزن راكعاً ، فهل من أمر بمير ، أو داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ، وسوء الموارد ، وفضوح المصادر . . قال أبو زيد فأعطيته ديناراً وكتبت كلامه واستفسرت منه ما لم أعرفه » وأبو زيد الانصاري من فطاحل أئمة اللغة . وأمثال هذه كثيرة في أخبار العرب .

# الألفاظ الإدارية في الدولة الإسلامية

## مصالح الدولة

كانت مصالح الدولة قبل الاسلام ، عبارة عن مناصب كبار الامراء من قریش في الكعبة ، كالسدانة ، والسقاية ، والرفادة ، والقيادة ، والمشورة ، والاعنة ، والسفارة ، والحكومة ، والعمارة ، وغيرها . . وكلها عربية يدل لفظها على معناها . فلما ظهر الاسلام ، وفتح المسلمون الشام ، والعراق ومصر ، وفارس ، أنشأوا على انقاض دولتي الروم ، والفرس ، دولة دونوا فيها الدواوين ، ونظموا الجند ، وسنوا القوانين ، على ما اقتضاه تمدنهم ، مما لم يكن له مثيل في جاهليتهم . . فاضطروا للتعبير عن ذلك إلى ألفاظ جديدة ، فاستعاروا بعضها من لغات القوم الذين أقاموا بينهم وخاصة الفرس ، واليونان ، والرومان ، واستعملوا ما بقي ألفاظاً عربية حولوا معانيها حتى تؤدي معاني تلك الموضوعات ، كما فعلوا في الاصطلاحات الشرعية واللغوية . ولو شئنا ذكر كل ما استحدثت من تلك الألفاظ لما وسعه غير المجلدات . . فنكتفي بالأمثلة .

## ١ - الألفاظ الادارية العربية

أول الألفاظ الإدارية التي استحدثت في الدولة العربية « الخليفة »

فأنها كانت تدل في الأصل على من يخلف غيره ويقوم مقامه بدون تخصيص ، ثم انحصر معناها فيمن يخلف النبي ، وأول الخلفاء أبو بكر . . ومنها صارت تؤدي معنى « السلطان يحكم بين الخصوم والسلطان الأعظم والمحكم الذي يستخلف عن قبله » ويقال نحو ذلك في سائر مناصب الدولة ، كالوزارة ، والامارة ، والنقابة ، والكتابة ، والحجابه ، والشرطة ، ونحوها . .

فإن الوزارة كانت تدل على المعاونة ، ثم تغير معناها باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها . . ويشق دار مستتر لفظ الوزير من أصل فارسي قديم ( بهلوي ) هذا نطقه « ويجيرا » ومعناه حكم ، أو أقر .



ومثل ذلك « الكاتب » فقد رأيت فيما تقدم أن الأصل في دلالة « كتب » الحفر على الخشب أو الحجر ، لأنهم كانوا يكتبون بالحفر . . فلما كتبوا بالمداد ، صار معناها الكتابة المعروفة . ولما ظهر الاسلام احتاجوا إلى من يكتب السور فكان الذين يكتبونها يسمون كتبة الوحي . وكان بعضهم يكتبون بين الناس في المدينة ، فلما تولى أبو بكر استخدام كاتباً يكتب له الكتب إلى العمال والقواد . . ولما تولى عمر دون الدواوين استخدام الكتبة لضبط اسماء الجند وأعطياتهم ، فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب . ولما استبد الكتاب في الدولة المصرية وغيرها ، صار الكاتب بمعنى الوزير . . ويراد بالكاتب الآن العالم بالمشي .

ومن ذلك لفظ « الدولة » فقد كانوا يريدون به « انقلاب الزمان والعقبة في المال والفتح في الحرب » ثم دلوا به على الملك ووزرائه ورجال حكومته ، ولم يكن لها هذه الدلالة قبلاً .

و « الحجابة » تدل في الأصل على الستر والمنع ، فالحاجب الساتر أو المانع ، فكان حاجب الخليفة من أصغر رجال الدولة . فلما ضعف الخلفاء واستبد الحجاب ، صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير .

\* \* \*

وقس على ذلك سائر مناصب الدولة ، كالامارة ، والشرطة ، والقضاء ، والحسبة ، والنقابة ، والامامة ، وغيرها من اصطلاحات الجند كالمستزرقة ، والمتطوعة ، والعلوفة ، والعسكر . . وضروب الحرب وأبواب الهجوم ، كالزحف ، والكر ، والفر ، والبيات ، والكفاح ، والغرة . . . وصنوف الاسلحة : كالدبابة ، والكبش ، والعرادة ، وغيرها . ناهيك باصطلاحات الدواوين على اجمالها ، كقولهم الثغور ، والعواصم ، والاقليم ، والقصة ، والعمل ، والولاية ، والضياع ، والحكومة ، والسكة ، والتوقيع ، والوظيفة ، والخراج ، والجزية ، والعشور ، والمرافق ، والصوافي ، والجوالي ، والجباية ، والوقف ، والمصادرة ، والمستغلات ، والصدقة ، والمكوس ، والمراصد ، ودار الضرب ، والضمان والدفاتر ، والجرائد ، والخرائط ، والايغار ، والراتب ، والجاري ، والعطاء ، والبيعة ، والدعوة ، والختم ، والخطط ، والمطالعة ، والمؤامرة ، وغير ذلك كثير جداً .

فالألفاظ المذكورة عربية الأصل وأكثرها معروف قبل الاسلام ، ولكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال المسلمين بعد انشاء دولتهم . . إذ حدث بانشائها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها الى ألفاظ جديدة ، فنوعوا ما عندهم . . إما عمداً أو عفواً فصارت إلى ما هي عليه .

« فالخراج » مثلاً كان معناه في الجاهلية الكراء والغلة ، ويدل ذلك

على معنى ضرب الخراج في الاسلام ، فإنهم كانوا يعدون الأرض ملكاً لهم وقد سلموها لأهلها على سبيل الايجار بالكرء ، فصار معنى الخراج بعد ذلك « ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها » ثم صار الخراج مقاسمة ، أو مساحة أو سيحاً أو سقياً ، وأكثرها ألفاظ جديدة لمعانٍ جديدة . .

و « الحكومة » كانت تدل في الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لأنها مصدر حكم أي قضى ، وتلك كانت أعمال صاحب الحكومة في الجاهلية ، ثم تحول معناها إلى « ارباب السياسية أو رجال الدولة » .

و « السكة » في الأصل الحديد المنقوشة التي كانوا يضربون عليها النقود ، ثم سميت النقود بها ، واشتقوا منها الأفعال والأسماء لهذا المعنى .



و « التوقيع » الأصل فيه « التأثير » من قولهم : « وقع الوبر ظهر البعير توقيعاً أثر فيه » ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة إلى الخليفة ، أو السلطان ، أو الأمير ، فكان الكاتب يجلس بين يدي السلطان في مجالس حكمه . . فإذا عرضت قصة ( عرضحال ) على السلطان ، أمر الكاتب أن يوقع عليها ( يؤشّر ) بما يجب اجراؤه . ثم تحول معناها إلى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا . . وعلى نحو هذا النمط تحول معنى « الامضاء » اليوم إلى التوقيع ، ومعناه في الأصل « التنفيذ » فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن أمر رجال الدولة في امضاءها ، أي تنفيذ توقيعها ثم تحول معناها إلى التوقيع أي وضع العلامة على الصكوك ونحوها .

ومن هذا القبيل « الوظيفة » فإن الأصل في معناها « ما يقدر من

يقرب من هذا المعنى ، ولا رأينا في القاموس أنها تستعمل لمعنى الولاية ، ولكنها كثيرة الورد في كتب التاريخ لهذا المعنى . والأصل في هذه الدلالة ، أن الخلفاء في صدر الاسلام ، كانوا إذا وجهوا جيشاً إلى حرب عقدوا له الأولوية وسلموها إلى الأمراء ، لكل أمير لواء . . وكان توجيههم إلى الفتح يتضمن معنى الأولوية على البلاد التي يفتحونها ، ثم صار الخلفاء بعدهم يعتقدون ذلك اللواء للأمراء عند توليتهم بعض الامارات . . فيقال : « عقد له اللواء على البلاد الفلاني » أي ولاه ، ثم اختصروا فقالوا : « عقد له » .

ولمثل هذا السبب يستعمل كتابنا اليوم « برهة » بمعنى الزمن القصير ، وهي تدل في الأصل على الزمن الطويل . . فالظاهر أنهم كانوا يقولون : « برهة قصيرة » أو « برهة وجيزة » للزمن القصير . . ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى .

٣ - تفرع اللفظ الواحد بالقلب والابدال إلى ألفاظ كثيرة تدل على تفرعات المعنى الأصلي . . وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة لا حاجة إلى ذكرها . ولكن قد يتنوع المعنى ويبقى اللفظ على حاله ، فيندر أن يهتدي إلى سبب ذلك التنوع . . ومن أغرب الأمثلة على ذلك « جن » ومشتقاتها ، فأنها تدل على معاني كثيرة ترجع إلى « الظلمة ، والاختفاء ، والجنون ، والجن ، والجنة » . . ولا يخفى ما بين هذه المعاني من التباين والتناقض . فلنتبع هذه اللفظة إلى أصلها لعلنا نهتدي إلى تعليل هذا الاختلاف :

يظهر لنا أن هذه المادة قديمة في تاريخ اللغة ، بدليل وجودها في جميع اللغات السامية وأمها اللغات الآرية . . فهي في العبرانية ، والسريانية على نحو ما هي في العربية لفظاً ومعنى . وفي السنسكريتية « جان » الروح وكذلك في الفارسية ، ويظهر أنها حدثت والانسان في أول أدوار حياته ،



أي يوم كان المغول ، والآريون ، والساميون ، وغيرهم عائلة واحدة لأن الصينيين يدلون على الروح بنحو هذا اللفظ أي « تسن » وأما في اليونانية ، واللاتينية فتدل على الولادة ، أو التسلسل ، وهما من فروع المعنى الأصلي ..

و « جانا » في السنسكريتية « مسكن الأرواح ، أو الآلهة » ولعل هذا هو الأصل في دلالة لفظ « الجنة » ( الفردوس ) في اللغات السامية أيضاً .. ثم تنوقلت حكاية الخليفة عند الساميين أجيالاً قبل تدوينها ، فعرض في أثناء ذلك انتقاهم إلى اعتقاد التوحيد ، فأثر هذا الانتقال على معنى تلك اللفظة وتحول إلى ما نعلمه ..

فلما كتب سفر الخليفة ، كان المعنى الأول قد تنوسي من اللغة العبرانية ، فصاع كما صاع معنى لفظ « عدن » .. فأدى ذلك إلى الترجم في تفسيرهما بعد ذلك . أما في السنسكريتية ، فلفظ « أدن » ، أو عدن « معناه الأكل ، أو الطعام .. وربما كان هذا هو المراد بجنة عدن في حكاية سفر الخليفة ، لأن الله خلق الانسان ووضعه في « جنة عدن » وغرس له فيها الاشجار ليأكل ، ومنعه من شجرة الخير والشر .. كأنه أقامه في جنة فيها أكل ..



ثم أن دلالة مادة « جان » أو « جن » على الروح في اللغات السامية لا يزال أثرها باقياً في لفظ « الجان » العربية ، والأصل في دلالتها « كل ما استتر عن الحواس من الملائكة أو الشياطين » أي الأرواح على إطلاقها . وكان اعتقاد الناس في سبب الجنون ، أنه حلول تلك الأرواح في المجنون .. فعبروا عن الجنون بلفظ مشتق من « الجان » : فقالوا : « جن

الرجل على المجهول ، زال عقله أو فسد أو دخلته الجن . » ونظراً لاختفاء الأرواح عن حواس البشر ، وخاصة عن انظارهم ، دلوا بتلك اللفظة على الظلمة ، والاختفاء أو الاستار . . فقالوا جن الليل : أظلم ، وجنه الليل : ستره . . فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة إلى المعاني الخمسة التي ذكرناها ، وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعاني يرجع إلى أحدها .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نتبع تاريخ هذه اللفظة في الافرنجية وما يقابلها في اللغات السامية . . فقد خسرت دلالتها على « الروح » في كل اللغات الآرية ( إلا الفارسية والسنسكريتية ) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من Gen ومشتقاتها ، ومنها Genus في اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس . . ويقابلها في العربية « جنس » ويقابل Gen في العربية « جيل » واللفظ والمعنى متقاربان .

ولم تخسر لفظة « جان » دلالتها على « الروح » إلا بعد أن تولد ما يقوم مقامها ، لأسباب ترجع إلى تغيير حدث في عادات الأمم أو اعتقاداتهم . وأهم ما حدث في اعتقادات البشر الانتقال من الشرك إلى التوحيد . . فلما اعتقد الساميون بالتوحيد ، أصبحت الأرواح السماوية عندهم أي الملائكة خدماً لئله العظيم . . ينفذها حيث شاء لتبليغ أوامره أو نواهيه ، فعبروا عن الروح بلفظ « الرسول » وهذا معنى « الملاك » في اللغات السامية فإنه اسم مفعول من « هلك » أرسل ، وأصل المادة « هلك » مشى أو سار . . ومنها قولهم في التوراة ملاك الرب : أي رسول الله . وقد فقدت هذه المادة في العربية ، ولا يزال أثرها باقياً في « ألوكة » أي الرسالة .

وحدث نحو ذلك في اللغات الآرية فإن معنى الملاك عندهم يرجع إلى Angel وهي مأخوذة من ( انجلوس ) اليونانية ومعناها « الرسول » كأنهم ترجموا لفظ ملاك إلى لسانهم حرفياً .

٤ - اكتساب اللفظ معنى جديداً من عادة شائعة ، كما اكتسب لفظ « بنى » معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف ، وجملة « عقد له » معنى « ولاه » وقد تقدم ذكرها .

وبالجملة ، فقد حدث في اثناء التغيير الإداري في الدولة الاسلامية ، نهضة عظيمة أحدثت تغييراً كبيراً في اللغة لفظاً ومعنى . . وليس ما ذكرناه إلا أمثلة قليلة .

## ١ - الألفاظ الادارية الأعجمية

أما الألفاظ التي اقتبسها العرب في أثناء انشاء دولتهم فكثيرة أيضاً ، نأتي بأمثلة منها :

من أقدم ما اقتبسوه من الألفاظ الإدارية الفارسية « الديوان » على عهد عمر بن الخطاب ، فإنه أول من دوّن الدواوين في الاسلام ، فوضع الديوان على نحو ما كان عند الفرس ، واستعار له اللفظ الفارسي . . فاستعمله أولاً للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا إذا قالوا الديوان أرادوا ديوان الجند فقط ، ثم اطلقوه على سائر الدواوين ، وألحقوا به ألفاظاً تميز بينها : كديوان الانشاء ، وديوان العرض ، وديوان الضياع ، وديوان الخراج ، وهي كثيرة . ودلوا به على الكتاب الذي تدوّن فيه أسماء الجنود ، فكانوا إذا قالوا : فلان من أهل الديوان ، أرادوا أنه ممن أثبتت أسماؤهم في ذلك الكتاب . ثم أطلق على كل كتاب ، ثم انحصر في الدلالة على الكتب التي تجمع فيها الأشعار . . فإذا قالوا : ديوان فلان : أرادوا به مجموع أشعاره .

ولما كان أهل الديوان يجتمعون في مكان واحد ، سمو ذلك المكان ديواناً ، وأطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح أو

النظر فيها . . والعامة تعبر بالديوان عن المقعد .

وقس على ذلك كثيراً من الألفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحات الحكومة ، وخاصة الجند والأسلحة ونحوها : كالخوذة ، والجامكية ، والجزية ، والدولاب ، والدلق ، ودهقان ، والدانق ، ورستاق ، وسباهي ، والبريد ، وزنديق ، وكسري ، ونیشان ، ويلمق ، والطاراز ونحوها .

والألفاظ اليونانية الإدارية قليلة في اللغة العربية ، ومنها : الإسطول ، والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والقنداق ، والكردوس ، والليمان .

وإذا تدبرت تاريخ هذه الألفاظ في لغتها الأصلية أو بعد انتقالها إلى العربية ، رأيت مدلولاتها تنوعت بتنوع الأحوال ، فالدرهم مثلاً الأصل فيه الدلالة على الوزن ، ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ، ثم أطلق على النقود كلها .

وأما الألفاظ اللاتينية فمنها : البلاط ( بمعنى قصر الملك ) والدينار والدمستق . وربما أدخلوا ألفاظاً تركية ، أو هندية ، أو كلدانية ، أو نبطية ، أو نحوها . . مما يضيق المقام عن استيفائه . .

# الألفاظ العلمية

## العصر العباسي

نريد بالألفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم، والفلسفة إلى اللغة العربية في العصر العباسي من الألفاظ الجديدة، لتأدية ما جَدَّ من المعاني، مما لم يكن له مثل في لسان العرب، كالمصطلحات الطبية، والكيمائية، والفلسفية، والطبيعية، والرياضية، والفلكية، والمنطقية، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام، والتصوف، ونحوهما. وشأن أهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية، والفارسية، والهندية، وغيرها، مثل شأننا في نقل علوم هذا العصر من الفرنسية، والانجليزية، والألمانية، وغيرها. . بل هم كانوا أحوج منا إلى اقتباس الألفاظ الأعجمية، وتنويع المعاني العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك، بما وصل إلينا مما اقتبسوه ونوعوه من تلك الألفاظ.

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الألفاظ وتبديلها، ولكنها أحدثت تنوعاً في التعبير يسهل علينا تصويره لكثرتة في نهضتنا هذه مما سنذكره في حينه. . فالتغيير الذي أصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم، والفلسفة قسمان: أحدهما في المفردات، والآخر في التراكيب. والتغيير اللفظي أما بتنوع الألفاظ العربية، أو باقتباس ألفاظ أعجمية.

## ١ - الألفاظ العلمية العربية

هي ألفاظ عربية تنوعت معانيها ، للدلالة على ما حدث من المعاني الجديدة العلمية ، والفلسفية ، التي تنوعت من قبل للدلالة على المعاني الشرعية ، واللغوية ، والأدبية في صدر الاسلام .

وأول تلك الألفاظ ، أسماء العلوم التي نقلت إلى لساننا أو حدثت فيه على أثر ذلك ، كالطبيعات ، والالهيات ، والرياضيات ، والمنطق ، والهيئة ، والجبر ، والمقابلة ، ونحو ذلك . مع ما في كل علم من الاصطلاحات الخاصة به ، وهي كثيرة جداً . . إليك أمثلة منها :

### (١) - الألفاظ الطبية

فالألفاظ الطبية العربية لم يكن منها في الجاهلية إلا مفردات قليلة ، كالحجامة ، والكلي ، ونحوهما . . فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلية ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد ، ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات . والأمزجة ، والاختلاط من الحار ، والبارد ، والجاف ، واليابس ، والسوداء ، والصفراء ، والبلغم ، والنبض ، والتخمة ، والانذار ، والهضم والبحران ، والمشاركات .

وأسماء الأدوية : كالمسخرات ، والمبردات ، والمرطبات . والمجففات ، والمسهلات ، والتطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والاطلية .

والكلمات الدالة على أثر تلك الأدوية ، مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن ، وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، وأكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو ،

ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ،  
ومزلق ، ومملىس ، وترياق ، وغير ذلك .

من الألفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثي ، والرض ،  
والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار وغيره .

ناهيك بأسماء الأمراض أو أعراضها : كالصداع ، والكابوس ،  
والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعدة ، والاختلاج ، والسرطان ،  
والسلاق ، والشتر ، والشرناق ، والخنوق ، والذبحة ، والربو ، وذات  
الجنب ، وذات الرئة ، والجهر ، والضمور ، والخفقان ، والغثيان ،  
واليرقان ، والاستسقاء ، والذبيلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ،  
والسد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك .. مما لا يمكن حصره .

ومن أوصاف الأمراض أنواع الحميات ، كالزمنة ، والحادة ،  
والمختلطة ، والغب ، والمطبة ، والربع ، والدق ، وغيرها .. غير  
الألفاظ التشريحية : كأسماء الأوعية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر  
الأعضاء الباطنة التي لم يكن العرب يعرفونها .

ولأكثر الألفاظ الطبية العربية معان لغوية ، عرفها العرب قبل عصر  
العلم .. فلما احتاجوا إلى المعاني الجديدة استعملوا من تلك الألفاظ ما  
يقرب معناه من المعنى المقصود .

## (٢) - الألفاظ الرياضية

ويقال نحو ذلك في الألفاظ الكيماوية ، والرياضية ، والفلكية ،  
وسائر العلوم الطبيعية ، مما يضيق هذا المقام عن استيفائه ، وقد يلزم  
لاصطلاحات كل علم كتاب بذاته .

فمن أمثلة الألفاظ الفلكية ، أكثر أسماء الأبراج ، والأفلاك ،

والمصطلحات الفلكية ، والازياج ، وما يلحق ذلك ، كالرصد ،  
والتعديل ، والتقويم ، والخسوف ، والكسوف .

ومن الألفاظ الرياضية في الهندسة ، والحساب ، والجبر ، ما لا  
يحصى ، كالمماس ، والمخروط ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك .

### (٣) - الألفاظ الفلسفية والمنطقية والكلامية

وأما الفلسفة والمنطق ، فاصطلاحاتهما تفوق الحصر . . ومن العلوم  
التي اقتضاها التمدن الاسلامي بعد نقل الفلسفة والمنطق إلى لسان  
العرب ، علم الكلام والتصوف مع التوسع في الفقه والأصول . وقد كان  
لهذه العلوم تأثير كبير في اللغة العربية ، فتوَّعت ألفاظها ، وأحدثت فيها  
ألفاظاً جديدة :

وذلك كقولهم : الكون ، والظهور ، والقدم ، والحدوث ،  
والاثبات ، والنفي ، والحركة ، والسكون ، والمماس ، والمباينة ،  
والوجود ، والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ،  
والتحرير ، والمصاف ، من اصطلاحات علم الكلام . والماجس ،  
والمريد ، والمراد ، والسالك ، والمسافر ، والسطح ، والقطب ، والهية ،  
والانس ، والبقاء ، والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من  
اصطلاحات التصوف .

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية  
حتى صارت تعد بالألوف ، فاضطروا إلى وضع المعجمات الخاصة  
لتفسيرها ، وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم .  
ومن أشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة  
صفحة و« كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو ألفي صفحة



كبيرة و « كليات أبي البقاء » في أربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فإذا ذكروا لفظاً أوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه أو الكلام أو التصوف أو الأصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية أو الطبيعية أو النحوية . . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق .

فيقول الجرجاني في لفظ « القياس » مثلاً : « القياس في اللغة عبارة عن التقدير ، يقال : قست النعل بالنعل إذا قدرته وسويته ، وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره . وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه إلى غيره ، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم . وفي المنطق قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، كقولنا العالم متغير وكل متغير جادث ، فإنه قول مركب من قضيتين . . إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث هذا عند المنطقيين . وعند أهل الأصول ، القياس ابانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر واختيار لفظ الابانة دون الاثبات ، لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت ، وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين » ثم ميز الجرجاني بين أنواع القياس بألفاظ تلحق به كالقياس الجلي والخفي والاستثنائي والاقتراي وقياس المساواة ، ولكل منها معنى اصطلاحى خاص .

وفي الاصطلاحات الصوفية : « الهاجس » يعبرون به عن الخاطر الأول ، وهو الخاطر الرباني ، وهو لا يخطئ أبداً . . وقد يسميه سهل السبب الأول ونقر الخاطر ، فإذا تحقّق في النفس سموه ارادة ، فإذا تردد الثالثة سموه همة ، وفي الرابعة سموه عزمًا ، وعند التوجه إلى القلب إن كان خاطر فعل سموه قصداً ، ومع الشروع في الفعل سموه نية .

و «المريد» هو المتجرد عن ارادته ، وقال أبو حامد : « وهو الذي فتح له باب الأسماء ودخل في جملة المتوصلين إلى الله بالاسم » . و « المراد » عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيه الأمور له . فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة . و « السالك » هو الذي مشى على المقامات بحاله ، لا بعمله فكان العلم له عيناً . و « المسافر » هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات . . فغير من عدوة الدنيا إلى عدوة القصوى . و « السفر » عبارة عن القلب ، إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر . . وقس على ذلك .

## ٢ - الألفاظ العلمية الأعجمية

حينما قام العرب بتعريب العلوم ، نقلوا من اصطلاحاتها إلى لسانهم ما استطاعوا نقله ، ونوعوا الألفاظ على مقتضى المراد كما تقدم . وما لم يستطيعوا تعريبه ، نقلوه بلفظه إلى لسانهم . . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير ، والأمراض ، أو الأدوات ، أو المصنوعات التي لم يكن لها شبهة في بلادهم .

فما اقتبسوه من أسماء العقاقير : الافستين ، والبقدونس ، والزيفون ، والسقمونيا ، والقنطاريون ، والمصطكي من اللغة اليونانية . والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمبر ، والراتينج ، والزرجون ، والزرنينج ، والزاج ، والسريقين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشيرج ، والمرداسنج من اللغة الفارسية .

ومن أسماء الأمراض ونحوها من الاستعمالات الطبية : القولنج ، والترياق ، والكيמוש ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا من اليونانية . . وسرسام ، ومارستان من الفارسية .

ومن المصنوعات والأدوات : الاصطربلاب ، والقيراط ، والانيق ،  
والصابون من اليونانية . . والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ، والدسكرة ،  
والاسطوانة من الفارسية .

ومن الاصطلاحات الفلسفية نحوها : الهيلي ، والاسطقس ،  
والفلسفة ، والطلسم ، والمغنطيس ، والاقليم ، والقاموس ، والقانون من  
اليونانية . . غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير  
ونحوها .

فترى عما تقدم أن أهل تلك النهضة لم يكونوا يستكفون من اقتباس  
الألفاظ الأعجمية ، ولم يتعبوا أنفسهم في وضع ألفاظ عربية لتأدية المعاني  
التي نقلوها عن الأعاجم . . بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد  
لفظين من لغتين أعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب  
الدماغ ، استعمله العرب للدلالة على هذا المرض . . ولما ترجموا الطب  
من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استكفوا  
من استخدام الألفاظ الأعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً .

### ٣ - التراكيب الأعجمية في اللغة العربية

هذا مطلب بعيد الأطراف ، يستغرق درساً طويلاً وبحثاً عميقاً ، لا  
يأذن بهما المقام . . فنكتفي بالتنبيه إليه ، ونأتي ببعض الأمثلة لتأييد قولنا .  
لكننا بالقياس على ما دخل اللغة العربية من التراكيب الاجنبية في أثناء  
نهضتنا الأخيرة ، بما نقلناه من علوم الافرنج إلى لساننا ، نقطع بحدوث  
مثل ذلك في النهضة العباسية ، ونقلة العلم يومئذ من غير أهل اللسان  
العربي . .

على أننا لو فحصنا لغة ذلك العصر ، وقابلنا بين عبارة كتب الطب ،

والفلسفة ، وعبرة كتب الادب ، لرأينا الفرق بينهما واضحاً . وإذا دققنا النظر في سبب ذلك الفرق ، رأينا عبارة أصحاب الفلسفة تمتاز بأمور ، هي سبب ضعفها وركاكتها منها :

١ - استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله أهل اللغات الافرنجية .

٢ - كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم .

٣ - الاكثار من استعمال الفعل المجهول .

٤ - استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه .

٥ - ادخال الألف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات ، كقولهم روحاني ، ونفساني ، وباقلائي ، ونحو ذلك ، مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي .

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ، ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

١ - تركيب الألفاظ مع لا النافية ، وادخال أل التعريف عليها ، كقولهم اللانهاية ، واللاأدرية ، واللاضرورة .

٢ - صوغ الاسم من الحروف أو الضمير ، مثل قولهم اللمية ، والكيفية ، والكمية ، والهوية .

٣ - نقل الألفاظ من الوصفية إلى الاسمية ، كقولهم المائية ، والمنضجة ، والخاصة .

ومن هذا القبيل ، اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الإدارية مثل قولهم « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسي .

# الألفاظ العامة

كل ما ذكرناه من أمثلة نحو اللغة العربية في العصر الاسلامي ، إنما هو قاصر على تفرع ألفاظها وتجدها ، بما اقتضاه الشرع ، والعلم ، والفلسفة ، والإدارة ، والسياسة . وهناك تغييرات أخرى ، نتجت عما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير ، فضلاً عن التجارة والصناعة ، وما اقتضاه كل منهما من تنوع الألفاظ العربية أو اقتباس الألفاظ الأجنبية ، كأسماء الأنعام الموسيقية ، والألحان وفروعها . . عدا ما اقتبسه المسلمون من العادات الأجنبية ، وما يتبع ذلك من أسماء الملابس ، والأطعمة ، والاحتفالات مما تغني شهرته عن إيراده .

وهناك تغييرات أخرى أصابت ألفاظ اللغة بغير داع من الدواعي التي قدمناها ، بل هي جرت في ذلك على ناموس الارتقاء العام القاضي على الاحياء بالتجدد والتنوع والتفرع ، لأسباب بعضها معلوم ، وبعضها غير معلوم . والغالب في هذا التنوع أن يكون بالانتقال من معنى كلي إلى معنى جزئي ، أو من معنى إلى ما يشبهه ، أو يتعلق به ، مما يعبرون عنه بالتوليد . . فالألفاظ المولودة هي التي أحدثها المولّدون بعد أن دوّنت اللغة وضبطت ألفاظها في أوائل الاسلام . والألفاظ المولدة أكثر كثيراً مما يظن اللغويون ، بل هي تتولد على الدوام بلا انقطاع . وكل ما تقدم ذكره من

الألفاظ الاسلامية ، والإدارية ، والعلمية ، والتجارية ، إنما هو من قبيل المولد ، ولكنهم قلما يسمونها مولدة . . وعندهم أن القاموس هو الحكم الفصل في العربي والمولد العامي ، فما لا يذكره القاموس بين الألفاظ العربية عدوه عامياً أو مولداً وحظروا استعماله .

ولكن القاموس وحده لا يكفي للحكم في ذلك ، لأنه لم يتضمن كل ما تناقلته ألسنة البلغاء أو تداولته أقلام أعلام الكتاب ، ولا كل ما نطقت به العرب . . وقد فطن إلى ذلك أئمة اللغة في العصر الاسلامي وما بعده ونبهوا إليه . . قال ابن فارس : « إن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير » وقال السيوطي : « ومع كثرة ما في القاموس من النوادر والشوارد ، فقد فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة ، حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلاً عليه » .

فعدم ورود اللفظ في القاموس لا يدل دائماً على أنه عامي أو ضعيف . . ناهيك بألفاظ كثيرة ، اكتسبت بالحضارة معاني جديدة لم يدونها القاموس ، لأن الأئمة اعتبروها من قبيل الألفاظ العامة . . ولكن الكتاب استعملوها ، وفيهم المشاهير المشهود لهم بالبلاغة وسلامة الذوق .



فالأصل في معنى « البيت » في القاموس البناء المعروف ، والشرف ، والشریف . فكانوا يقولون بيت بني تميم أي شرفهم ، وفلان بيت قومه أي شريفهم ، وبيت القصيدة أحسن أبياتها قال « والعامية تقول هو من بيت فلان ، أي من عائلته » مع أن استعمال البيت بمعنى العائلة مما تداولته أقلام البلغاء وفي مقدمتهم ابن خلدون ، وقد عرّفه بقوله : « البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرفاً مذكورين تكون له بولادتهم إياه

والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته » وقال : « وكان بنو اسرائيل بيتاً من أعظم بيوت العالم » .

و « الحضارة » الأصل في معناها سكنى المدن أي ضد البداوة . . فلما تحضر العرب ، وكثر الترف في مدنها ، صار معنى الحضارة عندهم « التفتن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش وغيرها .

ويقال نحو ذلك في « العمران » فإن أصل معناها من عمر الرجل في المكان سكن فيه ، ثم صارت تدل على معنى المدنية والحضارة .

وهذا ما أصاب لفظ « التمدن » فإنها من تمدن الرجل أي تخلق بأخلاق أهل المدن ، ثم دلوا بها على مثل ما تدل عليه الحضارة أو العمران أو المدنية .

وقد استعملوا « ركاب السلطان » بمعنى موكبه ، ولا تجد لهذه اللفظة هذا المعنى في القاموس ، ولكن الكتاب استعملوها له .

وكذلك « كافة » فقد نبه القاموس أنها تستعمل في مثل : « جاء الناس كافة » أي كلهم ، وأنها لا تدخل عليها أَل التعريف ولا تضاف . ولكن بلغاء الكتاب قد استعملوها في الحالين مرارا :

قال ابن خلدون : « لما كان الجهاد فيها مشروعاً لعموم الدعوة وحمل كافة على دين الاسلام » .

وقال صاحب أدب الدنيا والدين : « وفرض جميعه على كافة كان أولى مما لم يجب فرضه على الأعيان ولا على كافة » .

\* \* \*

وقال أبو اسحق الصابي الكاتب الشهير من نسخة عهد كتبها عن

المطيع لله إلى الغضنفر بن ناصر الدولة : « أمره أن يعرف لركن الدولة أبي علي وعز الدولة أبي منصور مولاي أمير المؤمنين تولاها الله حق منزلتهما من أمير المؤمنين وغنائهما عن كافة المسلمين » .

ومن الألفاظ التي استعملها الكتاب القدماء ، واقتدى بهم كتابنا . . مع أن استعمالها يخالف قول القاموس ، تخصيص « القينة » بمعنى المغنية ، والأصل إطلاقها على الأمة مغنية كانت أو غير مغنية .

و « المقراض » و « المقص » فإن الأصل في استعمالها بالثنى ، لأنها مقراضان ومقصان ، أي شفرتان . فيقال : « قرضته بالمقراضين » و « قصصته بالمقصين » . ولما نرى بين الكتاب القدماء أو المحدثين من يستعملها كذلك ، بل هم يقولون : قرضته بالمقراض ، وقصصته بالمقص .

والأصل في « المأتم » الاجتماع على العموم ، ثم خصصوه بالاجتماع في مجتمع النياحة .

و « أرق » في الأصل للسهر في مكروه ، ثم صار عاماً .

ومن الاستعمالات الجارية على أقلام الكتاب ، وهي خطأ باعتبار القواعد المدونة ، قولهم : « بدأ به أولاً » والصواب : « بدأ به أول » مثل قولهم قبل ، وحكمهما واحد .

ومن هذا القبيل ، جمع حاجة على حوائج ، وعادة على عوائد ، وهما شائعتان عند الكتاب مع مخالفتها للقاعدة .

وكذلك جمع ريح على أرياح خطأ ، ولكن الحريري استعملها ، ومثله جمع أرض على أراضي وجمع الجواب على أجوبة .

وقولهم : « شفعه بثالث » غلط ، إذ لا يقال شفعه إلا للثاني من



الشفع والأصل في « القافلة » الرفقة الراجعة ، فصارت تطلق على الرفقة المسافرين ذهاباً أو إياباً .



وقس على ذلك تنوعات كثيرة يعدها القاموس خطأ ، وقد نبه إلى خطأها جماعة من فطاحل البلغاء ، وألفوا في تصحيحها الكتب .

وأشهر ما ألفوه كتاب « درة الغواص في أوهام الخواص » لأبي محمد الحريري صاحب المقامات ، وقد شرحها وعلق عليها كثيرون ، منهم ابن بيري بن عبد الجبار النحوي المتوفي عام ٥٨٢ هـ ، وأبو عبد الله المعروف بحجة الدين الصقلي المتوفي عام ٥٥٥ هـ ، وابن المظفر المكي المتوفي عام ٥٦٨ هـ ، وابن الخشاب النحوي ، وأبو بكر الانصاري ، وأحمد الخفاجي المصري ، وغيرهم . وكل من هؤلاء أضاف إلى ذلك الكتاب ألفاظاً من هذا القبيل فاتت صاحب الدرة ، ونبهوا إلى خطأ استعمالها . . ومع ذلك فالطبيعة غلبت على آرائهم وأقوالهم لأن ما عدوه خطأ ، إنما هو من نتائج النواميس الطبيعية التي لا بد منها . . سنة الله في خلقه .

# الألفاظ النصرانية واليهودية

نريد بالألفاظ النصرانية واليهودية ، ما دخل اللغة العربية من الاصطلاحات الدينية لأهل الكتاب ، وخاصة بعد أن نقلت التوراة ، والانجيل إلى اللسان العربي . فقد كانت لغة الدين المسيحي قبل الاسلام السريانية ، واليونانية ، والقبطية . . . ولغة اليهود العبرانية ، على تفاوت في استخدام الواحدة دون الأخرى ، واختلاف ذلك باختلاف العصور والأماكن .

فلما جاء الاسلام ، وانتشر المسلمون في العراق والشام ، ومصر ، وتسلمت اللغة العربية ، أخذت تلك اللغات تتقهقر ، حتى توارت . . ولم يبق منها إلا آثار قليلة في بعض الطقوس . فالمسيحيون أصبحت العربية لغتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير بها عن كل اصطلاحاتهم الدينية ، ولما ترجموا التوراة والانجيل إلى العربية ، أبقوا كثيراً من الألفاظ الدينية على لفظها ومعناها . . . على أن كثيراً من الألفاظ النصرانية دخلت اللغة العربية في العصر الجاهلي ، كالفقيس ، والدير ، والتوراة ، والانجيل ، وغيرها .

## ١ - الألفاظ الدينية والسريانية :

وإليك أشهر الألفاظ النصرانية واليهودية التي دخلت اللغة العربية

وأصلها سرياني ، أو كلداني ، مرتبة على حروف الهجاء ، وقد يشبه بعضها بالأصل العبراني ، أو ربما كان بعضها عبرانياً . . وقد وصل العربية على يد السريان .

|                    |        |        |                 |
|--------------------|--------|--------|-----------------|
| آب بالمد لاسم الله | بحران  | تفشرة  | جهنم            |
| عز وجل             | برخ    | توبة   | حانوت           |
| اسطوانة            | برنساء | توراة  | حبر             |
| امين               | ترعة   | تيمن   | دين بمعنى الحكم |
| أنبا               | تلميذ  | جالوت  | دير             |
| باعوث              | تنور   | جبروت  | رشم الطفل       |
| زياح               | صحاح   | قداس   | مزمور           |
| زيق                | صراط   | قربان  | مشحة            |
| ساعور              | صلوت   | قسيس   | ملكوت           |
| تسبيح              | طاغوت  | قيامة  | ميمر            |
| سبط                | طوبى   | كاروز  | ناسوت           |
| سعانين             | طور    | كراس   | ناطور           |
| سفر                | طوفان  | كنيسة  | ناقوس           |
| سفسير              | عراب   | كهنوت  | نياحة           |
| سليح               | عروبة  | كورة   | يم              |
| سنور               | عماد   | لا هوت | يوناني          |
| شين                | غفارة  | مار    |                 |
| شماس               | فصح    | مرعزا  |                 |

فضلاً عن اسماء الشهور الشمسية مثل : كانون ، وتشرين ، وايلول .

ومن الألفاظ النصرانية ، ما هو من أصل يوناني دخل العربية إما  
رأساً وإما بواسطة اللغة السريانية ، مثل قولهم : انجيل ، وهرطقة ،  
واسقف ، ومطران ، وطقس ، وطغمة ، وقس على ذلك .

## ٢ - التراكيب أو العبارات النصرانية

نريد بهذه التراكيب ما دخل العربية من أساليب اللغة السريانية ،  
والعبرانية ، واليونانية ، وخاصة بعد ترجمة التوراة ، وهي كثيرة تأتي بأمثلة  
منها :

فمن التراكيب العبرانية قولهم :

قال في قلبه : أي افكر

واستراح الله من جميع عمله الذي عمله .

من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . . وإذا أكلت موتاً تموت وحدث بعد  
أيام أن قايين قدم أثماراً . . وحدث إذ كان في الحقل أن قايين قام على  
أخيه . . الخ .

فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته .

صنع له خيراً وصنع له شراً : بدل أحسن إليه وأساء إليه

ورفع عينيه ونظر

وصار كلام الرب إلى ابرام قائلاً

قد وجد نعمة في عينيه

حسن ذلك في عيني الله . . وقبح ذلك في عيني الله

فتح فاه وعلمهم .

ومن التراكيب اليونانية قولهم :

هكذا مكتوب بالنبي .

° في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان

ثم أصدع يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من ابليس

وفيما هو خارج من الطريق ركض واحد وجثا له

تكلم الرب بفم انبيائه

وربما كان في بعض هذه التراكيب مسحة غير يونانية لاعتماد أكثر مترجمي الأناجيل على بعض ترجماتها في اللغات الأخرى فضلاً عن الأصل اليوناني . . على أننا لا نعد هذه التراكيب مما يستحسن اقتباسه والنسج على منواله ، وإنما هو خاص في لغة الكتاب المقدس أدخله المترجمون لاضطرارهم إلى المحافظة على النص الحرفي .

# الألفاظ الدخيلة والمولدة في عصر التدهور

ما برحت اللغة العربية منذ الفتح الاسلامي ، وهي تكتسب الألفاظ الأعجمية والتراكيب الاجنبية كما رأيت ، مما دخلها من الألفاظ الإدارية والعلمية في العصر العباسي وغيره حتى في العصر الجاهلي . . ولكن المراد بالألفاظ الأعجمية في هذا الفصل ، ما خالط اللغة من الألفاظ والتراكيب الأعجمية بعد انقضاء دولة العرب وافضاء الملك إلى السلاطين والأمراء من الفرس ، والديلم ، والترك ، والاكرد ، والجركس ، في العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر وغيرها .

لأن اللغة العربية ما زالت سائدة في تلك الدول ، على اختلاف نزعاتها ولغاتها ، وكانت في أكثرها هي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها الحكومات . ولم تكن الدول الأعجمية أقل عناية بآداب اللغة العربية من الدول العربية ، بل كانوا أكثر اهتماماً منهم في انشاء المدارس ، وتعليم الفقراء ، واستنساخ الكتب ، ولكن حال العمران على اجماله يومئذ قضى على اللغة بالانحطاط ، فدخلها التكلف والتجمل والتصنع وتكاثر فيها ألفاظ التفخيم والتبجيل . . وشاع التسجيع في الانشاء ، وحدث في تلك الدول وظائف جديدة ، وتنوعت الوظائف القديمة ، فحدث في اللغة ألفاظ جديدة ، أو تنوعت الوظائف القديمة ، للتعبير عن تلك

## السجع والتفخيم

فالتفخيم والتبجيل والتمليق ، اقتضت العناية في تنميق العبارات وتحشيتها ، وكان السجع قد اشتهر على أقلام الكتاب ، فبالغوا في تنميجه وتوسيعه . والتزام السجع ، يدعو إلى استخدام الألفاظ الوحشية المهجورة ، حتى يصير إلى ما تنفر منه الاسماع .

والسجع حسن إذا جاء عفواً بلا تكلف ، لا أن يتعمده المسجعون بالعمل والتصنع حتى يمجج الذوق ، وينفر منه السمع . وأصبح التسجيع في ذلك العصر كثيراً ، يتفاخر به أكبر الكتاب ، والناس يومئذ يعدون ذلك مستحسناً ، ونحن نراه قبيحاً ولو كان قائله من أشهر الكتبة ، كالعماد الأصفهاني فإنه تعمد التسجيع في كلامه عن فتح بيت المقدس ، في كتابه المسمى الفتح القسي ، وهو من أشهر كتبه . وإليك عبارة منه تدل على باقيه ، وهي قوله في رحيل صلاح الدين للفتح ، « رحل من عسقلان للقدس طالباً . . وبالعزم غالباً . وللتصر مصاحباً ولذيل العز ساحباً . وقد أصحب ريش مناه . وأخصب روض غناه . وأصبح رائج الرجاء . أرج الأرجاء . سيب العزف . طيب العرف . طاهر اليد . قاهر الأيد . سنى عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملأ الملأ فأفاض الآلاء . وقد بسط عثير فيلقه ملاءته على الفلق . وكأنا أعاد العجاج راد الضحى جنح الغسق . فالأرض شاكية من أجحاف الجحافل . والسماء حاظية بأقساط القساطل الخ » .

فترى من نص هذه العبارة ، إنهم كانوا يستعينون بالتسجيع للاطناب على ما اقتضاه حال تلك الأيام وتلك الدول من التفخيم ، لأن في

التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء . . ولهذا السبب أيضاً كثرت  
المترادفات في نعوت التفخيم ، فمن أمثلة ذلك ما قاله المرادي في تعريب  
الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه « أعيان القرن الثاني عشر للهجرة »  
قال :

« هو استاذ الاساتذة ، وجهبذ الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف  
والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، العالم العلامة ، والحجة  
الفهامة ، البحر الكبير ، والخبر الشهير ، شيخ الاسلام صدر الأئمة  
الاعلام ، قطب الاقطاب الذي لم تنجب بمثله الاحقاب ، العارف بربه ،  
والفائز بقربه وحبه ، ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة الخ . .  
الخ » ولم يكن ذلك التطويل قاصراً في وصف رجال الفضل ،  
كالنابلسي ، بل كان شاملاً كل انسان .

وما زالت الركاقة تتوالى على الانشاء العربي ، حتى بلغت منتهاها في  
أول القرن الماضي ، وكثرت الألفاظ العامية والدخيلة . . فمن أمثلة ذلك  
ما جاء في الجبرتي في أثناء كلامه عن حرب الفرنسيين وهي قوله : « وفي  
الثلاثة حضر هجان وباش سراجين ، ابراهيم بك وأخبر أن الجماعة  
عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ، فعمل الباشا ديواناً الخ »  
وقوله : « وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده  
مرسومات ، فعملوا في صباحها ديواناً وقرئت المرسومات الخ » .

## ١ - الألفاظ المولدة في عصر التدهور

هذا ما يقال من حيث التراكيب ، وأما الألفاظ فقد كثر فيها الدخيل  
والمولد ، وأكثرها في الألفاظ الإدارية المتعلقة بالحكومة ونظمها وما يتعلق  
بها .



وإليك أمثلة من الألفاظ المولدة في عصر التدهور مما يختص بالإدارة ،  
وقد وضعنا بازاء كل لفظ ما صار إليه معناه في ذلك العصر :

النائب : القائم مقام السلطان

الساقى : المتولى مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب

المشرف : متولى أمر المطبخ

ملك الأمراء : من الألقاب التي اصطلحوا عليها لنواب السلطان

رأس التوبة : الذي يتحدث على ممالك السلطان

أمير المجلس : الذي يتولى أمر مجلس السلطان

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثه في الدول التركية ، والكردية ،  
كأمير السلاح ، ومقدم الماليك ، وأمير علم ونقيب الجيش ، والعامل . .  
وهذا غير العامل في الدولة العربية فإنه في الدولة التركية يراد به منظم  
الحسابات . . ومثلها الصيرفي ، وكاتب السر ، والناظر . . وهو خاص في  
الاموال وصاحب الديوان ، والشاهد ، وغيرها .

ومن هذا القبيل الألفاظ أو النعوت التي تكتب في المكتبات  
والولايات ، وإليك أمثلة منها :

الجانب : من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم ، كامام  
الزيدية اليمني في مكاتباته عن الأبواب السلطانية .

المقام : هو خاص بالملوك

المقر : يختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكاتب الشرف :  
كناظر الخاص ، وناظر الجيش ، وكاتب الدست .

الجناب : من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعاً . . فيها يكتب به

التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء .. ولهذا السبب أيضاً كثرت المترادفات في نعوت التفخيم ، فمن أمثلة ذلك ما قاله المرادي في تعريب الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه « أعيان القرن الثاني عشر للهجرة » قال :

« هو استاذ الاساتذة ، وجهيد الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، العالم العلامة ، والحجة الفهامة ، البحر الكبير ، والخبر الشهير ، شيخ الاسلام صدر الأئمة الاعلام ، قطب الاقطاب الذي لم تنجب بمثله الاحقاب ، العارف بربه ، والفائز بقربه وحبه ، ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة الخ .. الخ » ولم يكن ذلك التطويل قاصراً في وصف رجال الفضل ، كالنابلسي ، بل كان شاملاً كل انسان .

وما زالت الركافة تتوالى على الانشاء العربي ، حتى بلغت متنهاها في أول القرن الماضي ، وكثرت الألفاظ العامية والدخيلة .. فمن أمثلة ذلك ما جاء في الجبرتي في أثناء كلامه عن حرب الفرنسيين وهي قوله : « وفي الثلاثة حضر هجان وباش سراجين ، ابراهيم بك وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ، فعمل الباشا ديواناً الخ » وقوله : « وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا في صبحها ديواناً وقرئت المرسومات الخ » .

## ١ - الألفاظ المولدة في عصر التدهور

هذا ما يقال من حيث التراكيب ، وأما الألفاظ فقد كثر فيها الدخيل والمولد ، وأكثرها في الألفاظ الإدارية المتعلقة بالحكومة ونظمها وما يتعلق بها .

وإليك أمثلة من الألفاظ المولدة في عصر التدهور مما يختص بالإدارة ،  
وقد وضعنا بازاء كل لفظ ما صار إليه معناه في ذلك العصر :

النائب : القائم مقام السلطان

الساقى : المتولى مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب

المشرف : متولى أمر المطبخ

ملك الأمراء : من الألقاب التي اصطلحوا عليها لنواب السلطان

رأس النوبة : الذي يتحدث على ممالك السلطان

أمير المجلس : الذي يتولى أمر مجلس السلطان

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثّة في الدول التركية ، والكردية ،  
كأمير السلاح ، ومقدم الممالك ، وأمير علم ونقيب الجيش ، والعامل . .  
وهذا غير العامل في الدولة العربية فأنه في الدولة التركية يراد به منظم  
الحسابات . . ومثلها الصيرفي ، وكاتب السر ، والناظر . . وهو خاص في  
الاموال وصاحب الديوان ، والشاهد ، وغيرها .

ومن هذا القبيل الألفاظ أو النعوت التي تكتب في المكتبات  
والولايات ، وإليك أمثلة منها :

الجانب : من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم ، كامام  
الزيدية اليميني في مكاتباته عن الأبواب السلطانية .

المقام : هو خاص بالملوك

المقر : يختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكاتب الشرف :  
كناظر الخاص ، وناظر الجيش ، وكاتب الدست .

الجناح : من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعاً . . فيما يكتب به

السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم .

المجلس : هو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ممن لم يؤهل لرتبة الجنب .

مجلس ( بلا أل ) : يضاف إلى ما بعده ، فإذا قيل مجلس الأمير كان لقب أرباب السيوف على اختلاف طبقاتهم ، وإذا قيل مجلس القاضي كان مختصاً بأرباب الأقلام . وإذا قيل مجلس الشيخ كان لقب الصوفية وأهل الصلاح . وإذا قيل مجلس الصدر كان للتجار وأرباب الصنائع .

الحضرة : ويراد بها حضرة صاحب اللقب ، وهي من الألقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء . . وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية ، ثم صارت تستعمل في العصر الذي نحن فيه للمخاطبة من الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك أو الأعيان .

هذه أمثلة قليلة مما تولد في اللغة العربية من الألفاظ التي اقتضاها عصر الدول الأعجمية ، وأكثرها كان له معنى وتنوع على ما اقتضته الأحوال عملاً بناموس الارتقاء .

## ٢ - الألفاظ الدخيلة في عصر التدهور

وأما الألفاظ الدخيلة ، ففيها الفارسي ، والتركي ، والكردي . . وكلها إدارية من اصطلاحات الحكومة ، وإليك أمثلة منها :

الاستادار : يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويتمثل أوامره فيه .

الجوكاندار : لقب من يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .

الطبردار : الذي يحمل الطبر .

سنجدار : يحمل السنجق وهو العلم .

البندقار : وهو يحمل جراوة البندق خلف السلطان أو الأمير .

الجمدار : الذي يتصدى للباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله  
جامادار

البشمقدار : يعمل نعل السلطان

المهمندار : يهتم بالرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم  
الضيافة .

الزنان دار : وهو الزمام دار يتحدث مع السلطان ، وهو من الخدم  
أو الخصيان .

الجاهشنيكر : يتصدى لذوقان المأكول خوف التسمم .

السرراخور : يتحدث عن علف الدواب .

أمير اخور : صاحب الاصطبل .

أمير جاندار : يستأذن على الأمير وغيره في أيام المواكب .

وقس على ذلك ما دخل اللغة في ذلك العصر من الاصطلاحات  
العسكرية والمالية والتجارية ، ومن هذا القبيل الاصطلاحات العسكرية  
والإدارية في الدولة العثمانية وبعضها تركي أو فارسي صرف وبعضها  
مركب من التركي ، أو الفارسي ، والعربي : كالجاويش ، واليوزباشي ،  
والبكباشي ، والسرعسكر ، والمابين ، والسركي ، والياور ، وأميرالاي  
والاوردي ، والآلاي ، والطابور ، والباشا ، والبيك ، والأغا ، ومنها ما  
هو عربي بصيغة تركية : كالمكتوبجي ، والمابنجي ، والمحاسبجي ،  
والبشكاتب ، والسلاملك ، وما ينتهي بلفظ « خانة » كالرصدخانة ،

والكتبخانة ، أو بلفظ « دار » كالدفتردار ، والخزندار . . ناهيك بالألفاظ العربية المولدة التي اكتسبت معاني جديدة في الدولة العثمانية : كالناظر ، والمتصرف ، والمحتسب والتابعة والمسؤولية ، والصدر الأعظم ، والمدعي العمومي ، والقائمقام ، ونحو ذلك وهو كثير جداً ، وسيأتي ذكر بعضه مفصلاً في أثناء كلامنا على النهضة العلمية الأخيرة .

# النهضة العلمية الأخيرة

لم يمر على اللغة العربية عصر أثر في ألفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الأخيرة في أواسط القرن الماضي ، لأنها جاءت على غرة دفعة واحدة . . فانهاالت فيها العلوم انبهاال السيل ، وفيها الطب ، والطبيعات ، والرياضيات ، والعقليات وفروعها ، ولم تترك للناس فرصة للبحث عما تحتاج إليه تلك العلوم من الألفاظ الاصطلاحية مما وضعه العرب أو اقتبسوه في نهضتهم الماضية ولا لوضع الأوضاع الجديدة . والسبب في ذلك أن الذين اشتغلوا في ميادين العلوم الحديثة عند أول دخولها مصر والشام في أواسط القرن الماضي ، لم يكونوا على سعة من علم اللغة . . فلما ترجموا تلك العلوم إلى اللغة العربية لم يهتدوا إلى مصطلحاتها القديمة ، أو اهتدوا إلى بعضها ووضعوا للبعض الآخر ألفاظاً لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق . . لكنها صقلت بتوالي الأعوام وصارت تدل على المراد ، كما أصاب أمثالها في أثناء النهضة العباسية وغيرها .

فلما انقضت تلك البغته ، وتكاثرت المدارس ونشأ الكتاب وعلماء اللغة ، عادوا إلى النظر فيما دخل اللغة من المصطلحات العلمية ، أو الإدارية الجديدة ، وقلما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصله وشيوعه في الكتب والجرائد والاندية وغيرها . . على أنهم لم يعدموا وسيلة في اصلاح

الانشاء والرجوع بعباراتهم إلى نحو ما كانت عليه في صدر الدولة العربية ، لأنهم تحدوا فطاحل الكتّاب في تلك العصور مع مراعاة الذوق والسهولة . . فنبح بيننا كتاب لا يفضلهم ابن المقفع ، ولا ابن خلدون ، ولا غيرهما من صفوة الكتّاب وعمدة المنشئين في شيء . . وقد اغفلوا السجع البارد ، وقللوا من الاطناب وأبطلوا المترادف . . وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاجماش والادران ، وما أصابها من الضعف في عصر الانحطاط . . وإذا تدبرت لغة الكتاب والمنشئين في أول هذه النهضة ، وقابلتها بلغة كتابنا اليوم رأيت الفرق كبيراً ، وتوقعت أن تعود إلى أسمى ما بلغته من درجات الكمال في عصر زهوها وشبابها . .

على أننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الألفاظ والتراكيب الأعجمية ، أو مما تولد فيها من الألفاظ العربية الجديدة على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات الجديدة والآداب الجديدة والعلوم الجديدة . وقد دثر من اللغة كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة . . شأن الكائنات الحية الخاضعة لنا موس الارتقاء .

فالتغير الذي أصاب اللغة العربية في النهضة الأخيرة ، قد أصاب ألفاظها وتراكيبها . . وبعضه دخلها من اللغات الاجنبية ، والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع . . وللاحاطة بالموضوع نقسم الكلام فيه إلى قسمين : نبحت في القسم الأول عن الدخيل ، وفي القسم الثاني عن المولد .

## ١ - الدخيل

يقسم الدخيل في اللغة العربية في أثناء هذه النهضة إلى أربعة أقسام :

( أ ) الألفاظ الإدارية ( ب ) الألفاظ التجارية ( ج ) الألفاظ العلمية



## الألفاظ الادارية الدخيلة

أكثر هذه الألفاظ من مصطلحات الدولة العلية ، وأكثرها تركيبي ، وفارسي ، وقد ذكرنا أمثلة منها في كلامنا عما دخل اللغة في عصر التدهور . . وبعض تلك الألفاظ أخذ من اللغات الافرنجية وخاصة اللغتين الايطالية والفرنسية ، وهي :

| معناها  | لفظها الأصلي | ١ - الألفاظ الإدارية التركية |
|---------|--------------|------------------------------|
| راية    | سجاق         | سجق                          |
| كتيبة ~ | طابور        | طابور                        |
| سرب     | بلوك         | بلك                          |
| فرقة    | آلاي         | آلاي                         |
| جيش     | اوردو        | اوردى                        |
| مزرعة   | جفلتك        | جفلتك                        |
| نموذج   | اورنك        | اورنيك                       |
| جيش     | اوردى        | اورطة                        |

ويلحق بالألفاظ التركية كل ما تركب تركيباً تركياً ، ولو كان عربياً أو فارسياً .  
والغالب أن يكون ذلك التركيب مه « جي » للنسبة أو « باش » رأس كقولهم : مكتوبيجي ، ومخزنجي ، واجزاجي ، وقرجي ، وهذه مركبة من تيمار بالفارسية ( سياسة المرضى ) وجي . وباشكاتب ، باشمهندس ( مهندس اسم فاعل من لفظ فارسي الأصل « اندازه » معناه التقدير ) .  
وحيكمباشي ، وقد يركب من الاثنين معاً مثل مخزنجي باشي ،

... وركبني باشي ، وقس عليه . .

| معناها      | لفظها الأصلي | الألفاظ الإدارية الفارسية |
|-------------|--------------|---------------------------|
| معاون       | ياور         | ياور                      |
| طوابع رسمية | تمغا         | تمغه                      |
| مرفأ        | بندر         | بندر                      |
| قطعة        | باره         | بارة                      |
| فارس        | سواره        | سوارى                     |
| بيت         | سرای         | سرای                      |

وبالنسبة للألفاظ الادارية الفارسية ما يركب من الألفاظ مع « دار »  
 « خانة » أو « خانة » بيت في اخر الكلمة أو « سر » رأس في أولها كقولهم :  
 حكمدار ، وبيرقدار ، ودفتردار ، وكتبخانه وخسته خانة ، وأجزاخانة ،  
 وِسردار ، وسرعسكر ، وسرتشريفاتي وقس على ذلك . وقد تقدم ذكر  
 بعضها في كلامنا عن عصر التدهور .

| معناها       | لفظها الأصلي | الألفاظ الإدارية الفرنسية |
|--------------|--------------|---------------------------|
| صاحب الأمر   | Commandan    | قومندان                   |
| قائد         | Général      | جيران                     |
| وكيل         | Consul       | قنصل                      |
| ضابطة        | Police       | بوليس                     |
| كاتم السر    | Secrétaire   | سكرتير                    |
| مجلس الأعيان | Parlement    | برلمان                    |
| مندوب        | Commissaire  | كوميسير                   |

#### ٤ - الألفاظ الإدارية الإيطالية لفظها الأصلي معناها

|           |          |            |
|-----------|----------|------------|
| بوسطة     | Posta    | البريد     |
| يونيفورما | Uniforma | بدلة رسمية |
| وردبان    | Guardino | حارس       |
| اسكله     | Scala    | سلم        |
| ديكريتو   | Decreto  | أمر عال    |
| باطنطة    | Patenta  | رخصة       |

٥ - وهناك ألفاظ إدارة مقتبسة من لغات أخرى ، كلفظ « الغرش » فإنه معرب Groschen بالالمانية و « امبراطور » من Emperor في اللاتينية وغيرها .

#### (ب) الألفاظ التجارية الدخيلة

أكثر هذه الاصطلاحات معربة عن الإيطالية والفرنسية ، لأن الإيطاليين أو أهل البندقية من أقدم تجار أوروبا اختلاطاً بالمشاركة في القرون الأخيرة . . وإليك أمثلة من الاصطلاحات الإيطالية :

#### ١ - الألفاظ التجارية الإيطالية لفظها الأصلي معناها

|          |          |             |
|----------|----------|-------------|
| كمبيو    | Cambio   | صرف         |
| كمبيالة  | Cambiale | حوالة       |
| فاتورة   | Fattura  | كشف         |
| سيكورتا  | Sicurta  | تأمين       |
| قومبانية | compagna | شركة        |
| استبالية | Ospitale | مستشفى      |
| بروتستو  | Protesto | اقامة الحجة |

|         |         |       |
|---------|---------|-------|
| بورصة   | Borsa   | تجارة |
| ديبلوما | Diploma | شهادة |
| اجيو    | Agio    | ..... |

## ٢ - الألفاظ التجارية الفرنسية لفظها الأصلي معناها

|         |            |                |
|---------|------------|----------------|
| بنك     | Banc       | مقعد ثم المصرف |
| قومسيون | Commission | لجنة           |
| كوبون   | Coupon     | القطع          |

وهناك ألفاظ متفرقة من لغات أخرى : كالكمرك مثلاً ، فإنه تعريب « كومركي » باليونانية ، وكذلك ناولون .. وشك مأخوذة من صك الفارسية أو أصلها صك بالعربية ، وطاقم بالتركية ، ودروباك في الانجليزية ، وقس على ذلك ..

ومثل هذا كثير في اصطلاحات تظاهرات الحكومة ومصالحها ، وخاصة في السكة الحديدية ، والتلغراف ، والبحرية .. واصطلاحات التجار ، وأصحاب الحوانيت ، والصناع ، وغيرهم . وهي تعد بالمئات ... وقد أغفلناها لشهرتها ، ولأن الكتاب يعدونها من قبيل الألفاظ العامة ، فلا دخل لها في بحثنا .

## (ج) الألفاظ العلمية الدخيلة

الألفاظ العلمية التي دخلت اللغة العربية في هذه النهضة كثيرة جداً ، ومعظمها مقتبس من الفرنسية ، والاطالية ، والانجليزية ، لأن أكثر العلوم المترجمة إلى لساننا منقولة عنها .. على أن المصطلحات العلمية متشابهة في لغات الافرنج ، لأن مصدرها عندهم إما اللاتينية ، أو

اليونانية . فلا غرو إذا اخذناها بلفظها كما أخذها الانجليز أو الفرنسيون أو غيرهم ، وعددناها من قبيل الألفاظ الوضعية بلفظها ومعناها . ويدخل في ذلك أسماء العلوم الجديدة : كالجيولوجيا ، والمترولوجيا ، والفيسيولوجيا ، والثرابيوتيا ، والفرينولوجيا ، والهيستولوجيا ، والهدروستاتيك ، والميكانيكيات ، وغيرها . ويدخل في ذلك أيضاً أسماء الآلات الطبيعية أو الفلكية أو الكهربائية أو نحوها . . مما لم يكن له مثيل عند العرب ، وسيأتي ذكرها .

فالألفاظ الطبية الدخيلة كثيرة ، وفي جملتها أسماء كثير من الأمراض أو العقاقير والأدوات ، وأكثره لم يكن له مثيل في الطب العربي ، كالدسبسيا ، والبانكرياس ، والنفرالجيا ، والبلورا ، والسمباتوى ، والبلهارسيا ، والدفتيريا ، والهستيريا ، والانيما ، والبروتوبلاسم ونحوها .

ومن المصطلحات الكيميائية غير أسماء العقاقير الكثيرة ما يحدث من تراكييها ، كالاسيد ، والكلوريد ، واليودور ، والكربونات ، والفوسفا ، والاكسموس ، والاندسموس ، والكربونيك والهدروكلوريك ، والهدروسيانيك ، والفوتوغراف ، والزنكوغراف وغيرها من الأسماء الصناعية المبنية على الكيمياء .

ومن المصطلحات الطبيعية ، البارومتر ، والكهربائية ( الكهرباء لفظ فارسي مركب من « كاه » التبن و « ربا » جاذب ) . والبطارية ، والكلفانومتر ، والثرمومتر ، والهيدرومتر ، والالكتروتيب ، والميكروسكوب ، والتلسكوب ، والسبكتروسكوب ، والتلغراف ، والفونوغراف ، والتليفون ، والفوتوفون ، والميكروفون ، وغيرها . ولو أردنا الاتيان بكل المصطلحات العلمية لما وسعها غير المجلدات فنكتفي بما تقدم على سبيل المثال .

## (د) التراكيب الأعجمية

معلوم أن أكثر المصادر التي يرجع إليها كتاب اللغة العربية في العلم الطبيعي وفروعه مكتوبة باللغات الافرنجية ، وأكثر الكتاب عندنا يحسنون لساناً أو غير لسان من اللغات الأعجمية ، وأكثر ما يقرأونه من الكتب أو الجرائد في اللغات الافرنجية . . فضلاً عن شيوع تلك اللغات بين العامة ، فحيث سار الكاتب في المدين الكبرى فإنه يسمع العبارات الافرنجية . فلا غرو إذا داخل عبارته تركيب افرنجي أو تعبير أجنبي . ولا يخفى أن لكل لغة أسلوباً في التعبير لا ينطبق بكل تفاصيله على أساليب اللغات الأخرى واللغات تتقارب وتتباعد في تلك الأساليب بتقارب أصول الشعوب وتباعدها ، والعرب بعيدون في أصولهم عن الافرنج . . فأساليب التعبير في لغاتهم متباعدة ومتباينة ، والغالب أن تمتاز كل لغة ببعض أساليبها على اللغات الأخرى وتقتصر في البعض الآخر . . يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان إلى لسان ، فاقتراس العرب بعض أساليب الافرنج في كتابتهم قد يكون من جملة مكملاتها ، وإذا عده بعض اللغويين فساداً في اللغة ، فلأن بعض كتابنا يبالغون في ذلك الاقتباس . . فيتناولون عبارات افرنجية ، في اللغة العربية ما هو أجل منها وأمتن . .

ومن أمثلة ما حدث في اللغة العربية من التراكيب الافرنجية ، وقد جرت على أقلام كثيرين قولهم :

- ١ - فلان كلاهوتي يقدر أن يؤثر كثيراً .
- ٢ - رأيت صديقي فلان الذي اعطاني الكتاب ( أي فأعطاني ) .
- ٣ - رغماً من مساعيه الحميدة لم ينجح في عمله .
- ٤ - مستمداً العناية من الله أقف بينكم خطيباً .

٥ - لعب فلان دوراً مهماً في هذه المسألة .

٦ - المعاهدة المصادق عليها من الدولة الفلانية .

٧ - إن الأمر الفلاني مضر بقدر وشرف ومالية فلان

٨ - يوجد في بلاد الحجاز عدة جبال .

ونحو ذلك من التراكيب التي ترى الصيغة الافرنجية ظاهرة فيها . .  
على أن أهل العناية في الانشاء العربي قلما يستخدمونها . وإن كنا لا نرى  
بأساً من استخدام بعضها في الأحوال التي تضيق التراكيب العربية فيها .

## ٢ - المولد

ونريد بالمولد ألفاظاً عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعاني  
التي اقتضاها التمدن الحديث في الإدارة أو السياسة أو العلم أو غير  
ذلك ، وهي كثيرة نذكر أمثلة منها :

## ١ - الألفاظ الادارية المولدة

وهي ما استخدمته الحكومة من الألفاظ العربية لمعان حدثت في  
الدولة أو تنوعت على مقتضى السياسة أو الإدارة ، وهاك أمثلة منها :

|                       |                 |          |             |
|-----------------------|-----------------|----------|-------------|
| المالية               | أموال غير مقررة | الارادات | مكافأة      |
| الداخلية              | المأمور         | التكليف  | قلم تحريرات |
| الخارجية              | رئيس قلم        | محافظة   | تشريفاتي    |
| الاشغال العمومية مفقش |                 | مركز     | خدمة سائرة  |
| المعية                | معاون           | عوائد    | تعويضات     |
| الخاصة                | متصرف           | رسوم     | معاشات      |

|                |         |               |                   |
|----------------|---------|---------------|-------------------|
| الدائرة السنية | مصلحة   | مصاريف نثرية  | مصلحة الرى والترع |
| المدير         | نظارة   | مساحة التوالف | شورى القوانين     |
| الناظر         | ميزانية | علاوة         | معاون اول         |
|                |         |               | وثاني الخ . .     |
| كاتب أول       | السخرة  | ملاحظ         | النيابة           |
| وثاني الخ . .  |         |               |                   |
| قواص           | مستشار  | رتبة أولى الخ | ناظر النفوس       |
| مراقب          | مساعد   | متمايز        | قضاء              |
| أموال مقررة    | مستخدم  | تذكرة مرور    | ناحية             |

## ٢ - الاصطلاحات الجندية ومنها :

|                       |               |                |             |
|-----------------------|---------------|----------------|-------------|
| المشير                | أركان حرب     | بدل سكن        | النسافة     |
| الفريق                | تجهيزات حربية | الاستعراض      | الطراة      |
| اللواء                | ضابط          | الحربية        | الغواصة     |
| قائم مقام             | نفر           | المهمات        | الدارعة     |
| خفر السواحل           | تعيينات       | الهدنة         | البارجة     |
| القرعة العسكرية كساوى |               | البلاغ النهائي | غرامة الحرب |
| بدل سفرية             |               |                |             |

## ٣ - الاصطلاحات القضائية ومنها :

|                    |                 |                              |            |
|--------------------|-----------------|------------------------------|------------|
| الحقانية           | محكمة الجزاء    | النيابة                      | مدعي عمومي |
| العدلية            | المجالس الأهلية | النقض والابرام               | مميز       |
| محضر               |                 | المجالس المختلطة معارضة      |            |
| المحكمة الابتدائية |                 | مجالس الاستئناف الحكم العرفي |            |



#### ٤ - اصطلاحات سياسية :

|         |                  |             |              |
|---------|------------------|-------------|--------------|
| مؤتمر   | السفارة          | المحافظون   | مجلس الأعيان |
| معتمد   | الاستعمار        | الاحرار     | مجلس العموم  |
| مندوب   | الاحتلال         | الاشتراكيون | المسؤولية    |
| السياسة | الدوائر السياسية | مجلس الشيوخ |              |

#### ٥ - اصطلاحات الصحافة :

|         |       |                             |           |
|---------|-------|-----------------------------|-----------|
| الصحافة | مراسل | بدل الاشتراك                | الاعلانات |
| جريدة   | مكاتب | المطبوعات الدورية المنشورات |           |
| مجلة    | محرف  | وغير الدورية                | الوصل     |

#### ٦ - اصطلاحات في الطبيعة :

|                           |                |                    |                 |
|---------------------------|----------------|--------------------|-----------------|
| الثقل النوعي              | السمعيات       | التبلور            | القوة           |
| الزخم                     | الحل الكهربائي | جاذبية الالتصاق    | السديم          |
| التباعد عن المركز التمعنط |                | والملاصقة والشعرية | العدسة البلورية |
| الجاذبية                  | انكسار النور   | التداخل            | البؤرة          |
| السطح المائل              | تشرف النور     | السرعة             | شفاف            |
| المفرغة                   | استقطاب النور  | تكهرب              | مظلم            |
| القابلة                   | الموشور        | المادة             | منير            |

#### ٧ - اصطلاحات في الكيمياء :

|       |       |       |             |
|-------|-------|-------|-------------|
| حامض  | كثافة | منقوع | متعادل      |
| قاعدة | مرونة | صبغة  | لفائف الحدة |

|                     |         |                  |              |
|---------------------|---------|------------------|--------------|
| تحليل               | غاز     | الجرم            | السمات       |
| الطيف الشمسي جامد   |         | الألفة الكيماوية | العبارات     |
| عنصر                | سائل    | قلوي             | يستحضر       |
| الوزن الجوهري محلول |         | حامض             | يحضر         |
| املاح               | تحليل   | كاشف             | الجوهر الفرد |
| تركيب               | البلبوس | الدقيقة          | الذرة        |

## ٨ - اصطلاحات طبية :

|                  |              |         |         |
|------------------|--------------|---------|---------|
| حويصلة           | صمامات القلب | الزهري  | انسكاب  |
| غشاء مخاطي       | اللين        | الصفير  | تصلب    |
| الخلايا الهوائية | تمدد         | الطنين  | التشخيص |
| الاختلاطات       | تدرن         | الاعراض | حؤول    |

## ٩ - اصطلاحات صناعية :

|       |         |                |         |
|-------|---------|----------------|---------|
| قطار  | حروف    | الباخرة        | المحامي |
| قاطرة | أمهات   | الرفاص         | الطباعة |
| مطبعة | المعامل | السكة الحديدية |         |

## ١٠ - اصطلاحات تجارية :

|          |             |             |             |
|----------|-------------|-------------|-------------|
| الرهونات | الشك المسطر | الفائدة     | مسك الدفاتر |
| عمولة    | الأستاذ     | حساب النمرة | الزنجير     |
| المقاول  | اليومية     | حساب جاري   | الجرد       |
| الرسمية  | الخرطوش     | العينات     | سدد الحساب  |
| الميرى   | الصندوق     | المضاربة    | الاستهلاك   |

|                         |            |                           |
|-------------------------|------------|---------------------------|
| أسهم الشركات القسيمة    | صرر النقود | مساهمة                    |
| القرطيس                 | الامضاء    | المتسبب                   |
| استحقاق                 | الذممات    | الاطيان                   |
| التحويل                 | الشركات    | التصدير                   |
| المشاركة                | فتح اعتماد | الاعتماد                  |
| عميل                    | دين ممتاز  | المصاريف الهالكة المزايدة |
| العمولة                 | الاقتصاد   | المال الاحتياطي المناقصة  |
| تحويل                   | الممارسة   | الساحب التسجيل            |
| تسليف نقود              | الرهونات   | المسحوب عليه ميعاد        |
| سحب ( السندات ) المحصول | حامل السند | استحقاق                   |

هذه أمثلة من الألفاظ المولدة في النهضة الأخيرة في الإدارة والسياسة والتجارة ، والعلم ، والصناعة . وهي كما تراها عربية الأصل والاشتقاق ، وأكثرها كان معروفاً في اللغة ومدوناً في المعجمات من قبل لمعان قريبة ، مما استعملها له المولدون أو شبيهة بها على نحو ما حصل في العصر العباسي . . . ولكل من هذه الألفاظ تاريخ يدل على ما تقلبت فيه من الدلالات المتقاربة من زمن الجاهلية ، فالعصر الاسلامي ، فعصر التدهور إلى هذا العصر .

ولا ننكر أن بعض هذه المولدات كان في الامكان الاستغناء عن توليدها باستعمال ألفاظ كانت في اللغة قبل هذه النهضة ، ولها نفس الدلالة المطلوبة ، ولكن قضت الأحوال بالتجديد المستمر . . . وهو من نواميس الحياة .

وأكثر التوليد المذكور حدث تدريجياً واعتباطاً لأسباب متفرقة ومختلفة ، لا يمكن تعيينها أو حصرها . . . على أن بعضها وضع عن روية وقصد وهو قليل . وأما الأغلب في هذا التوليد أن يدخل اللغة تدريجياً مثل تدرج

العوادات والآداب في تولدها ودخولها في جسم الأمة . ومن أوضح الأمثلة على ما تتقلب فيه الألفاظ من المعاني أو تتدرج في ابداله ، ما أصاب نعوت التفخيم من التغييز العجيب بانتقالها من عصر إلى عصر . . . فالأديب ، والألمعي ، والفاضل ، والعلامة ، والفهامة ، وحضرة ، وجناب ، يستخدمها الكتاب اليوم لغير ما كان يستخدمها له الأقدمون . . . وقد يكون الفرق بعيداً بين المعنيين . فالأديب مثلاً مشتقة من الأدب ، وهو يشمل معظم ضروب العلم . . . وقد استعملها المولدون في العصور الإسلامية الوسطى لما نستعمل له اليوم لفظ العالم الفاضل ، وما زالت دلالتها تتصاغر حتى صاروا يستخدمونها لأصغر خدمة الأدب والحضرة ، والجناب كانتا من نعوت الملوك والأمراء ، فأصبحتا تستخدمان لأحقر العامة . وقس على ذلك سائر الألقاب . . . وشأن هذه النعوت في حياتها شأن الرتب وأدوارها ، فلفظ « بيبك » مثلاً معناه الأمير ، أو الملك . . . وكانوا يسمون به كبار الأمراء والقواد ، ثم جعلوه لقباً ملكياً يمنح لبعض الوجهاء ونحوهم ممن يأتون عملاً عظيماً ، ثم صار إلى ما تعلم . ويقال نحو ذلك في سائر الرتب والنعوت ، فهي في صعود وهبوط وتولد ودثور في دلالتها ، شأن الطبيعة في كل أحوالها .

# لغة الحكومة المصرية في دواوينها

لا غرو إذا أفردنا للغة الحكومة المصرية باباً خاصاً لاختصاصها بألفاظ وتعابير لا مثيل لها في اللغة الفصحى ، وفيها ما لا يمكن تطبيقه على قاعدة ، ولا الرجوع به إلى قياس . . ففي مخاطبات الدواوين وصور الأوامر العالية من الألفاظ الغريبة ، والتراكيب الركيكة ما هو غريب في بابها ، وقد بلغ ذروة الغرابة في أواسط القرن الماضي قبل نضج هذه النهضة .

وأصل الركاكة والغرابة في لغة الدواوين ، يرجع إلى عصر التدهور في زمن الأمراء والمماليك . . وطبيعي أن اللغة تحيا بحياة أهلها ، وتموت بموتهم ، وتزهو بزهوهم ، وتنحط بانحطاطهم . . ففي عصر أولئك الأمراء ، بلغت مصر من التدهور في السياسة والإدارة والآداب والعلوم ما لم يبق بعده غاية . . فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغة الكتابة أشبه شيء بلغة العامة لركاكة عبارتها مع ما فيها من الألفاظ الأعجمية ، والعامية فدخل الفرنسيون مصر في أواخر القرن المذكور . ولغة العلماء تكاد تكون عامية ، وإليك أمثلة من كتاب نشره علماء مصر ومشايخها أثناء احتلال الفرنسيين ، قالوا :

« نعرف أهل مصر من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور

بين الرعاية والعسكر الفرنسية ، بعد ما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت الطاف الله الخفية ، سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرت ، وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة إلى الفقراء والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر احرقت جميع المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر ، فعليكم أن لا تحركوا الفتنة ، ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب . . .» .

وقد ذكرنا مثلاً من كلام الجبرتي مؤرخ تلك الحوادث في كلامنا عن اللغة العربية في عصر التدهور .

ولما جاء الفرنسيون إلى مصر ، كان في جملة حملتهم جماعة من الترجمة ليتوسطوا بينهم وبين الأهالي والعلماء ، وترجموا لهم المنشورات ، والمراسلات ، ونحوها . . والظاهر أنهم كانوا من غير أبناء اللغة العربية . . فكانوا إذا ترجموا عبارة صاغوها في قالب افرنجي ، وما لم يجدوا له لفظاً عربياً تركوه بلفظه الافرنجي أو وضعوا له لفظاً عاماً .

فلما أفضت الولاية إلى محمد علي مؤسس العائلة الخديوية ، وأخذ في انشاء الدواوين لم يكن له غنى عن مترجم بين حكومته وحكومات دول أوروبا ، فاستخدم الترجمة وفيهم جماعة من أهل المغرب وغيرهم ، واللغة لا تزال في انحطاطها وركاكتها . والذين يعرفون أساليبها ويحفظون ألفاظها قليلون جداً . . وخاصة بين الذين استخدموهم في الدواوين للكتابة أو الترجمة . وقد رأيت مثلاً من لغة المشايخ والعلماء ، وقد قضاوا أعواماً طوالاً في الأزهر ، وقرأوا كتب العلم والفقه . . فكيف بكتاب الدواوين والترجمة . .

ومما زاد أسباب الفساد في اللغة أن الحكومة بدأت في انشاء الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها ، قبل اهتمامها بتعليم الناس وتهذيبهم وترقية أفكارهم واصلاح شأنهم . . فدخل في العصر الأول لحكومة محمد علي كثير من الألفاظ والتراكيب العامية ، ثم تنوعت وتكيفت على أسلوب خاص وأوضاع خاصة وألفاظ خاصة . . وعرفت بلغة الدواوين .

فلما استنار الناس على أثر نشر الصحافة ، ونبع الكتاب والمنشؤون في أواخر القرن الماضي ، انتظم جماعة منهم في مناصب الحكومة الكتابية ، ففتحوا كثيراً من تلك الغرائب ، ولا يزالون عاملين على تنقيحها .

ومع ذلك فلا يزال فيها من الألفاظ المولدة والدخيلة ، وضروب التركيب ما هو بعيد عن لغة سائر الكتاب ، حتى في معاني الألفاظ العربية المستعمل عند كليهما ، وهاك أمثلة كثيرة الشيوخ . .

| ألفاظ ديوانية  | معناها     | ألفاظ ديوانية  | معناها            |
|----------------|------------|----------------|-------------------|
| مطاعة          | شكوى       | معناها         | ألفاظ ديوانية     |
| براءة الساحة   | تبرير      | معرض           | ( عرضحال )        |
| بالقضاء والقدر | عرضا       | ناحية          | قرية              |
| اتضحت ادانته   | ظهر ذنبه   | عزبة           | دسكرة             |
| صرف            | دفع        | ابعدية         | مزرعة             |
| عريضة          | براءة      | نزل            | ادارة تقديم المؤن |
| طاقم           | بحرية مركب | انجرارية       | ادارة المراكب     |
| مفتعل          | مزور       | مصرفات         | نفقات             |
| ظهورات         | موقت       | خوجا ( سفينة ) | كاتب              |
| نشاوى          | جديد       | تعلق فلان      | خاصه              |
| اضمحل حاله     | صار فقيرا  | أفرج عنه       | أطلق سراحه        |
|                |            | مستند          | سند               |

|         |               |        |            |
|---------|---------------|--------|------------|
| مباشرة  | رأساً         | جبر    | كسر        |
| دولاب   | خزانة         | نفق    | مات        |
| استيداع | راتب يعطي     | مراسلة | خادم عسكري |
|         | بعد الرفت     |        |            |
| عجوزات  | متأخرات المال |        |            |

وغير ذلك كثير من الألفاظ العربية وغير العربية . . وقس عليه التراكيب والتعبيرات الخاصة مثل ادخال « لم » على فعل المضارع كقولهم : « لم اتي » بدلاً من « لم يأت » وصوغ الفعل المجهول من المصدر وفعل الصيرورة على نحو ما في اللغات الافرنجية كقولهم : « صارت كتابته » بدلاً من « كتب » .

وقد ولدوا صيغة خاصة للفعل الماضي تركيب من المصدر ، ولفظ « معرفة » فيقولون : « كتب الكتاب بمعرفة فلان » بدلاً من قولنا : « فلان كتب الكتاب » وربما ركبوا هذه العبارة مع التي قبلها ، فقالوا : « صارت كتابة الكتاب بمعرفة فلان » وقس على ذلك . . ناهيك بركاكة التعبير ، وإن لم تخالف قواعد النحو أو الصرف مما يضيق عنه المقام وقد أغضينا عنه لشهرته . . على أن كتاب اللغة وعلماءها يعدون تلك الألفاظ وأمثالها من قبيل الاصطلاحات العامية واستعمالها خطأ ، وقد أخذت الحكومة في تنقيحها بالتدريج كما تقدم .



# الخلاصة

يتبين للقارىء مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور والأدوار في أثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية إلى هذا اليوم ، إنها سارت في كل ذلك سير الكائنات الحية بالذثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوي . . فقد تولدت في العصر الاسلامي ألفاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي ، وتولدت في العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها . وأخيراً تولدت في نهضتنا الأخيرة من الألفاظ والتراكيب ما لم يكن معهوداً من قبل . . فالوقوف في سبيل هذا النمو مخالف للنواميس الطبيعية ، فضلاً عن أنه لا يجدي نفعاً . . فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، ولا بد من توالي الذثور والتولد فيها . . إراد أصحابها ذلك أو لم يريدوا . تتولد ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة على مقتضيات الأحوال لحكمة شملت سائر الموجودات .

وقد آن لنا أن نخلص أفلاننا من قيود الجاهلية ، ونخرجها من سجن البداوة . . وإلا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرناً ، لأن لغة البراري والخيाम لا تصلح للمدن والقصور ، إلا إذا ألبسناها لباس المدن . . فلا بأس من استعمال الألفاظ المولدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي ، لأن معناها لم يكن معروفاً في الجاهلية ، أو التي كان لها لفظ وترك فأصبح غريباً مهجوراً . . فاستعمال اللفظ المولد خير من احياء اللفظ الميت ، واستبقاء المولود الجديد أولى من احياء الميت القديم . . وإذا عرض لنا تعبير أجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه لا بأس من اقتباسه . وفي اعتقادنا أن اطلاق سراح الأقلام على هذه الصورة ، يكشف لنا عن جماعة كبيرة من أرباب القرائح . . يقعدهم عن الاشتغال بالأدب خوفهم من الوقوع في خطأ لغوي أو بياني يؤاخذون عليه . . وليست فيهم شجاعة أدبية تحملهم على عدم المبالاة بالنقد . . إذا كان فيما

يكتبونه فائدة . . والخطأ اللغوي لا يقلل شيئاً من قدر الكاتب ، لأن الاحاطة بكل أوضاع اللغة وقواعدها وشواردها لا يتأتى إلا لقليلين .

\* \* \*

على أننا لا نقول في هذا الاطلاق نحو ما يقوله الافرنج في لغاتهم ، لأن شأننا في لغتنا غير شؤنهم في لغاتهم . . فلا بد لنا مع هذا الاطلاق من الرجوع إلى القواعد العامة والروابط الأساسية فلا نفسد اللغة بألفاظ العامة وتراكيبهم . . ولا نكثر من الدخيل حتى تصير لغتنا مثل اللغة التركية العثمانية التي أصبحت لكثرة ما أدخلوه فيها من الألفاظ العربية والفارسية والافرنجية ، لا مثيل لها في العالم إلا اللغة الهندستانية ( الاوردية ) التي يكتب بها الهنود جرائدهم وكتبهم . . أما اللغة العثمانية ، فإذا عدت ألفاظها باعتبار اللغات المؤلفة هي منها ، كان نحو ٧٠ في المائة من الألفاظ العربية و ١٥ في المائة من الفارسية ، و ٥ في المائة من اللغات الافرنجية ، وعشرة في المائة فقط من الألفاظ التركية الأصلية ، ويقال نحو ذلك في اللغة الاوردية ، وفي اللغة المالطية .

أما اللغة العربية ، فلا بد من المحافظة على سلامتها والاهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها ، وخاصة بعد أن أخذت تنهض إلى أرقى ما بلغت إليه في أبان شبابها . . فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل والمولد ، وإنما يؤخذ منها بقدر الحاجة ، على أن نعد ذلك الاقتباس نمواً وارتقاء ، لا فساداً وانحطاطاً .

على أننا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع خواطر أبديناها ، وفتحنها باب البحث . وأما استيفاء الكلام في تاريخ اللغة وألفاظها وتراكيبها فلا يسعه إلا المجلدات الضخمة . . فتتقدم إلى أئمة اللغة ، وكتابها ، وعلمائها أن يزدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة . .

# الفهرست

## تاريخ اللغة العربية

|     |   |
|-----|---|
| ٢٠١ | ..... المقدمة                                 |
| ٢٠٤ | ..... تمهيد                                   |
| ٢٠٧ | ..... أدوار تاريخ اللغة                       |
| ٢٠٨ | ..... العصر الجاهلي                           |
| ٢٢٨ | ..... الألفاظ الاسلامية                       |
| ٢٣٢ | ..... الألفاظ الادارية في الدولة الإسلامية    |
| ٢٤٣ | ..... الألفاظ العلمية في الدولة العربية       |
| ٢٤٩ | ..... التراكيب الأعجمية في اللغة العربية      |
| ٢٥١ | ..... الألفاظ العامة في الدولة العربية        |
| ٢٥٦ | ..... الألفاظ النصرانية واليهودية             |
| ٢٦٠ | ..... الألفاظ الدخيلة والمولدة في عصر التدهور |
| ٢٦٧ | ..... النهضة العلمية الأخيرة                  |
| ٢٦٩ | ..... الألفاظ الادارية الدخيلة                |
| ٢٧٥ | ..... المولد                                  |
| ٢٨١ | ..... لغة الحكومة المصرية في دواوينها         |
| ٢٨٥ | ..... الخلاصة                                 |

## هَذَا الْكِتَابُ

علم اللغة أو الفلسفة اللغوية - كما اسماء جرجي زيدان - علم حديث نوعاً . لقد ظهر علم اللغة الحديث في مطلع القرن التاسع عشر ، وكان مظهره في صورة نحو تاريخي مقارن . ووضحت في هذا القرن خصائص جوهرية للغات الرئيسية التي كانت تستخدمها الحضارات القديمة في العالم القديم ، وتحدد ما بينها من صلة وقراءة . وبالرغم من ذلك فقد ظل علم اللغة على حاله فترة طويلة . وحوالي سنة ١٨٧٠ تأثر علم اللغة بنظريات « داروين » والعلوم الطبيعية ، وأدخل علماء اللغة - نذكر منهم « شليشر » - على علم اللغة ، مناهج جديدة قائمة على أن طبيعة التغيرات اللغوية هي نفس طبيعة التغيرات المشاهدة في العالم الطبيعي ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن اللغات تتغير بفعل قوانين عمياء . وأخذ العلماء في الكشف عن القوانين التي تخضع لها لغة الانسان في تطورها وارتقائها من حيث أصواتها ، وقواعد تصريفها ، وما إلى ذلك .

\*\*\*

رَأَى الْهَدَاةَ

بِأَعْيُنِهِ وَالنَّشْرَ وَالنَّوْزِيعَ ش.م.م.

بَنَان. بيروت ص. ب ١٤/٥٦٣٦